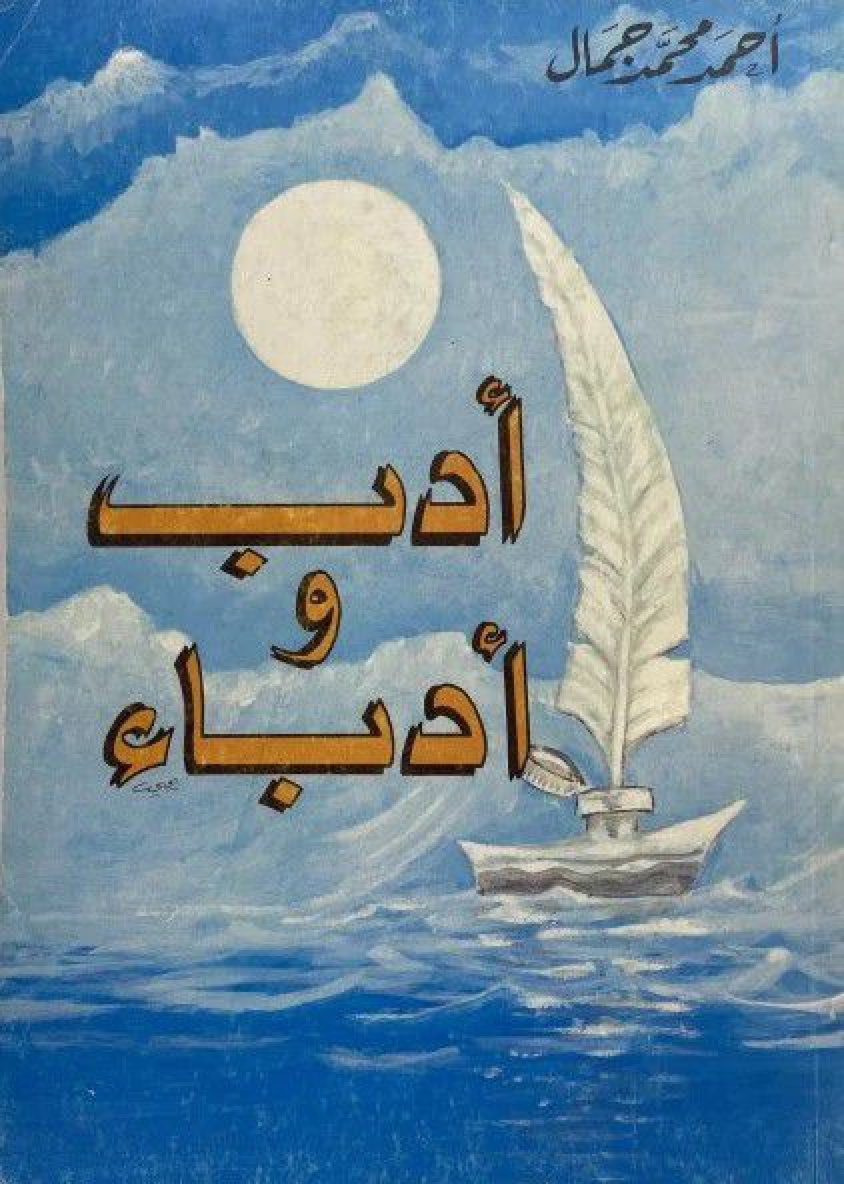
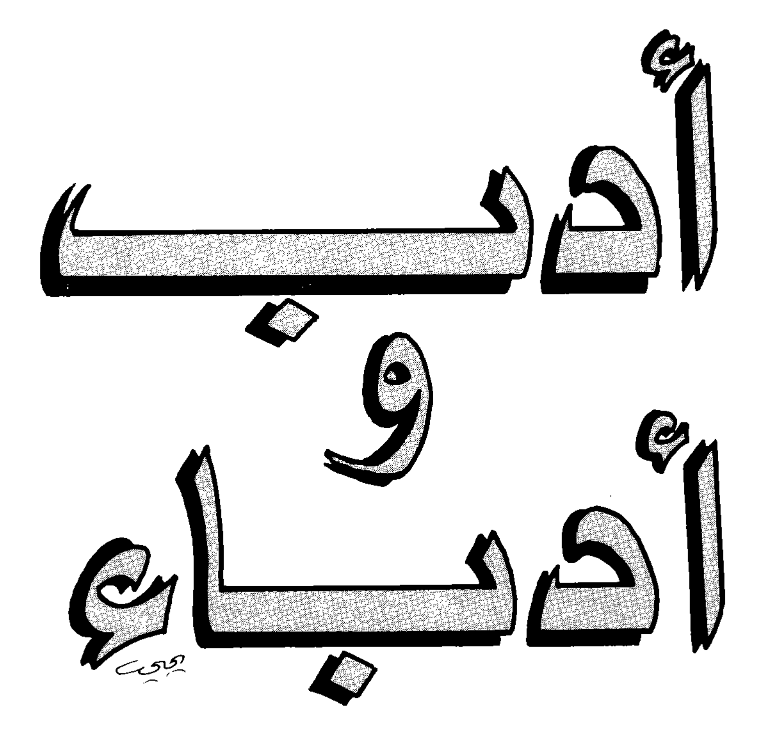

أحمد محمد جمال
أدب
و
أدباء

أحمد محمّد جمال



مصرح بطبعه من وزارة الاعلام
المديرية العامة للمطبوعات
برقم ١١٠٥ / م وتاريخ ٢٠/ ٢/ ١٤١١ هـ

* * *

الطبعـــة الأولى
سنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾

صدق الله العظيم



المقـــدمة

هذا الكتـاب يؤرِّخ بما يقـدِّم من دراسـات وأحـاديث وحـوارات أدبيـة ـ لفترةٍ زمنية عاشها الأدباء السعوديون قبل نحو ثلث قرنٍ أو يزيد.

لذلك أرجو أن يلاحِظ قراء الكتاب ـ وبخاصة الشباب ـ أن كثيراً مما دعوت إليه أو اقـترحتـه، أو انتقـدتـه في بعض فصـول هذا الكتاب . . قد تحقَّق فعلاً كالأندية الأدبية، والمجلات المختصة بالأدب وحده، ودور الطباعة والنشر.

كما أن الأوضـاع الاجتماعية والتعليمية والتربوية والاقتصادية والعمرانية والإدارية، قد تطورت إلى الأحسن والأفضل . . خلال ثلث القرن الماضي. وإنما أبقيت على هذه المقـالات أو الكلمات النـاقـدة والمقـترحة لأنها تشير إلى فترة تأريخية من تطور البلاد، وهي تذكر لتستدعي الشكر على الانتقال إلى الأفضل والأجمل . .

وسيلاحظ القراء أنِّي دعوت منذ أمسكت بالقلم ـ أي خلال فترة شبابي ـ إلى الالتزام الأدبي، أي إلى أن يكون أدبنا ملتزماً بالقيم والمبادىء الإسلامية، وأن تكون له شخصيته المستقلة الممتازة بمزايا الفكر الإسلامي الكريم العظيم.

ذلك أنِّي أعُدُّ الأدب جهاداً بالقلم واللسان، وقد عارضت في بعض فصول الكتاب الذين يدعون إلى أن يكون الأدب للأدب، أو الفن للفن، وقلت: إن الأدب ـ أو الفن ـ يجب أن يكـون للحيـاة . . أي في خدمتهـا، وخـدمة الإنسان إصلاحاً وتقويماً وترشيداً ـ وحجتي في هذا المنهـج الفكـري توجيـه رسـول الإسلام عليه الصلاة والسلام: «جاهدوا المشركين بأيديكم، وألسنتكم، وأموالكم»[1] وقوله أيضاً: «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه».

أي أن (الجهاد) ليس بالسِّلاح وفي ميدان الحرب فحسب، ولكنه مطلوب وواجب أيضـاً باللسـان والقلم في السلم عبر المجتمعـات الإنسانية كلها . . الأسرية والاقتصادية والتربوية والتعليمية والإدارية والسياسية أيضاً.

---

(١) رواه أبو داود

وحسبنا حجةً أقوى، لأنها حجة القرآن الكريم، قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾[٢] أي جاهد أعداء الإسلام وقِيَمِه ومبادِئِه بالقرآن وآياته وأحكامه وآدابه ومُثُلِه.

وقد سبق كتابي ـ وهو يؤرِّخ لفترة سابقة من حركة الأدب في بلادنا ـ كتابٌ بعنوان (أدب الحجاز) جمعه المغفور له الشيخ محمد سرور الصبان وأصدره سنة ١٣٤٤هـ، وتجدد طبعه سنة ١٣٧٨هـ - وقد ضم بعض الآثار الأدبية والفكرية لعدد من أدباء الجيل الأول عندما كانوا شباباً . . أي في بداية حياتهم الأدبية.

ثم صدر بعده كتاب (وحي الصحراء) وكتاب (نفثات من أقلام الشباب) يحملان نماذج من أدبِنا . . خلال فترات الشباب لأولئك الأدباء الذين أصبحوا فيما بعد كهولاً فشيوخاً، أي أعلاماً كباراً.

وسيجد القراء ألواناً من المقالات والكلمات والأحاديث الموضوعية ـ والحوارية ـ والنقدية ـ واللغوية ـ وما يتصل بالأدب النسائي ـ وأدب الشباب . . . الخ.

والمهم في الكتاب أنه يؤرِّخ بطروحاته المختلفة لفترة زمنية سابقة لأدبنا . . الذي نعتز به، ونَدافع عنه، ونحميه من الانهيار والإندثار، والله وحده هو الموفق والمعين.

أحمد محمد جمال

مكة المكرمة ـ في شعبان ١٤١٠هـ

مارس ١٩٩٠م

---

(٢) سورة الإسراء/ ٥٢

الفصل الأول

الآراء .. والتوجيهات





ما هو الأدب ؟
ومن هو الأديب ؟

ما هو الأدب؟ ومن هو الأديب؟ وهل يجب في الأدب (الإلتزام)؟ أي هل الأدب للأدب؟ أم الأدب للحياة؟ .

الجواب هو : إنَّ الأدب تعبير فني جميل عن المشاعر والخواطر والأفكار . . التي تختلج في نفس الأديب تجاه حوادث الحياة وتجارب الأحياء من وجهة النظر الذي ينظر من خلالها .

والأدب ـ كسائر الفنون ـ جزء من فطرة الإنسان ، والإنتاج الأدبي ـ من شعر ونثر وقصص ـ إنما يأتي تلبية للنزعة الفنية عند الأديب ، ويتأثر به الناس استجابة لفطرة الحس أو الذوق الجمالي المودع في نفوسهم .

وهو ـ أي الأدب ـ تقاس قيمته ، ويوزن مقداره بالدرجة التي يشبع بها ، ويمتع المشاعر والأذواق تفكيراً وتعبيراً وغاية ، يستهدف بها الاصلاح والإسعاد ، والتسامي بالمجتمع والمجتمعين .

والأدب يجب أن يكون ملتزماً بعقيدة ونظرة خاصة إلى الحياة والأحياء ، مهما كانت هذه العقيدة إيجابية أو سلبية ، ومهما كانت نظرة الأديب سوداء أو بيضاء ، متفائلة أو متشائمة .

حتى ما يبدو أو يخيَّل (للبعض) من أن شعر الشعراء ، وقصص القصاص ، ونثر الناثرين الفنيين : لا التزام فيها ، وأنها أدب للأدب . وليست أدباً للحياة : هو في الواقع ـ وخلافاً لما يظنون ـ «أدبٌ للحياة ، وليس أدباً للأدب» وليرجعوا إلى كتب الشعر والقصص والنثر الفني ، متأمِّلين ، متفكرين . . فسوف يجدونها تنطوي على نظريات وأفكار وعقائد دينية ، وَخُلُقية ، واجتماعية . . تمثل (التزام) الأديب أروع تمثيل .

والأدب الإسلامي ـ بصفة خاصة ـ أدَبٌ ملتزم بعقيدته الحقة ، وتصوره الصحيح تجاه الكون وبدائعه ، والإنسان ونوازعه ، والحياة ومرحليَّتها وغايتها .

هذه التعريفات للأدب والأديب والالتزام فيهما ليست من عندي ، وإن كنت أعتقدها وأعتنقها وإنما هي خلاصة لآراء كبار «المُعَرِّفين» من أهل الذكر في شؤون الأدب والأدباء .

وعلى ذلـك فليس الأدب هو هراء (الفـارغـين) من عقيـدة وتصـور ونظرة تجاه الحياة والأحياء، وإن جوَّدوا تعبيرهم وزخرفوه.

وإنما هو تفكير ملتزم وتعبير جميل[1]

أدبنا لا معالم له .. فلنضع معالمه

« في هذا المقال دعوة إلى استقلالنا الأدبي،
وعرض لأسلوب هذا الاستقلال . .
فما رأي الأدباء والقراء ».

كل أدب عربي أو غربي ممتـاز عن غيره في منهـاجيْ التفكـير والتعبـير، إلَّا **الأدب الحجـازي**، فما يزال مذبـذب التبعية للآداب العربية الأخرى، وبخاصة **الأدب المصري والأدب اللبناني**.

قال ذلك عن أدبنا كل من أرَّخ له وطنيٌ أو أجنبي، وكل من قدَّم مؤلفاتنا منَ نثر وشعر من كبار الكتاب المصريين ـ وهو قول صدق يجب أن لا نفزع له أو نجزع منه بقدر ما نهتم ونُعْنَى بدفعه عملياً، وتبرئة أدبنا من التبعيَّة، عن طريق العلاج السريع.

وأنـا ـ إلى الآن ـ لا أعلم أديبـاً حجـازيـاً، فكَّـر في تمييز أدبنا عن غيره، أو بحث مع آخـرين عن مميـزات يمكن إلحـاقهـا به، ولا أعـرف أيضـاً مدى استعداد أدبائنا لقبول أي اقتراح لاستقلال أدبنا المضاع.

ولكنِّي انتهيت الآن إلى أنَّ استقـلال أدبنـا عامـة ـ أو استقلال أدبي الشخصي على الأقل ـ لن يُحَقَّق إلَّا بالتزام الأسلوب الحجازي الأول، الذي كان قدامى كتابنا وشعرائنا يمتازون به عن القبائل الأخرى ـ كتميم مثلاً ـ

إن الإصرار على التعبير بجميع ألفاظ اللهجة الحجازية الأولى، كتابة ونُطْقاً، كفيل ـ مع مرور الزمن، واستقرار اللهجة في الألسنة والأذهان ـ بِصبَغْ أدبنا صبغة مميَّزة.

وقـد أحصيت الآن بعض مظـاهـر هذه اللهجة لأعرضها على الزملاء الأدباء، ليروا رأيهم فيهـا، ثم يحصـوا غيرهـا، ويضيفـوهـا إليهـا، إن رأوا أن يلبُّـوا هذه الـدعـوة إلى

(١) نشرته (عكاظ) في ١٠/١٠/١٣٨٦هـ.

الاستقلال الأدبي، أو ارتضوا هذا المنهاج إليه.

١ - **ما العاملة - كليس. كقوله تعالى ﴿ما هذا بشراً﴾.**

٢ - **فك الإدغام في المضارع المضعَّف المجزوم، والأمر مثال ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه﴾ الآية، و﴿اشدُدْ بِهِ أزري﴾.**

٣ - هَلُمَّ: في المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث.

٤ - عسى - غير ملحق بها الضمائر ولا التأنيث: هند عسى أن تقوم، الحمدان عسى أن يقوما، الزيدون عسى أن يقوموا.

٥ - هنالك (هناك لتميم)

٦ - حسب يحسب، وبرأ يبرأ، وعرض يعرض.

٧ - تخذ (اتخذ تميم).

٨ - القِنْية، والقِلنسوة، والقِير بكسر الأوائل.

٩ - منذ. (مذ لتميم).

١٠ - القِنوان ج قنو (القِنيان لتميم).

١١ - الإِسوة (الأسوة لتميم).

١٢ - عُقر الدار.

١٣ - المِصحف.

١٤ - إعمال ليس بنصب خبرها بعد الاستثناء: «ليس ملاك الأمر إلاَّ طاعة الله».

١٥ - بناء أمس على الكسر في حالات الرفع والنصب والجر.

١٦ - بناء ما كان عَلَماً على فعال (كحَذام وقطام).

١٧ - بناء ثلاثة إلى عشرة مضافة إلى ضمائرها على الفتح «جاء القوم ثلاثتهم - رأيتهم ثلاثتهم - مررت بهم ثلاثتهم».

١٨ - تأنيث الطريق، والسوق والزقاق والذهب.

١٩ - استعمال «الزوج» للذكر والأنثى - وقد جاء القرآن به.

٢٠ - براء (بريء لتميم).

٢١ - الوَتْر - بمعنى الفرد - والوَتر بمعنى الثأر (تميم تكسر فيهما).

٢٢ - حَجّ البيت (تميم تكسر فيه).

٢٣ - استحيا يستحيي (استحا يستحي لتميم).

٢٤ - أرجا يرجي مرج أرجه (تميم تهمز فيهما) .
٢٥ - أوصد الباب فهو موصد (تميم أصد يُؤْصد) .

هذه - كما أسلفت بعض مظاهر الأسلوب الحجازي القديم، وعلينا أن نضيف عليها أمثالها - كما يجب علينا أيضاً تطهير أسلوبنا من هذه الأخطاء اللغوية التي لا يسيغها أي أسلوب عربي صحيح فصيح : «مدراء» و«سد الرمق» و«لا يجب أن نفعل كذا» بدلاً من «يجب ألَّا نفعل كذا» إن الفرق بينهما واسع شاسع، فقولك: «لا يجب أن أزوره» يحتمل جواز الزيارة وإباحتها بحال من الأحوال، ولكن قولك : «يجب ألَّا أزوره» يعني أن عدم الزيارة واجب لسبب من الأسباب، وغير ذلك من أخطاء.

كما ينبغي أن يكون لنا استقلال تفكيري، فلا يقول أحدنا - مثلا - **أنا عقَّادي** المذهب أو **مازنيَّه**، **أو حسينيَّه** . . ولا يقول شاعرنا ما أروع أسلوب **إيليا**، أو أسلوب **نسيب** ، أو غيرهما من شعراء لبنان في مهجرهم دون تفكير وتدبُّر في المنهج العَقَدي أو الأخلاقي الذي يتخذه هؤلاء الأدباء - بل يجب أن نقرأ كثيراً، ونفكِّر أكثر، ونزن ونقيس ونكيل أيضاً حتى يستقر لنا رأي أو آراء استقلالية في الأدب، مؤيدة لتلك الآراء أو معارضة أو جديدة.

ومن سُبُل هذا الاستقلال الأدبي، أن لا نحكم بأفضلية أديب مصري أو لبناني على آخر من جنسه أو من بلد آخر، فالواقع الذي تكشفه الدراسة الاستقلالية أن لكل أديب من هؤلاء ميزة من ميزات العبقرية ليس له فيها شريك، والدارس - الفارس في هذا الميدان الأدبي - هو الذي يعجب بميزة كل أديب، وينتفع بها في نوعها الخاص من الدراسات الأدبية المختلفة.

إنني أدعو إلى استقلال الأدب الحجازي تفكيراً وتعبيراً لأن فرصة جديدة قد أتيحت لاستقلاله، بل أوجبته.

وتلك هي **الإذاعة السعودية** الجديدة على بلادنا، فقد رأت أنَّ الاستعانة بأحاديث الأدباء والعلماء وقصائد الشعراء - كغيرها من الإذاعات - أمرٌ لزام، وبذلك أصبح أدبنا أكثر ذيوعاً عند علماء الخارج وأدبائه وأكثر عرضة - بين أيديهم - للفحص والانتقاد.

هذا رأيي أبديته، وفوق كل ذي رأي حكيم[1]

(١) كتب هذا المقال في صفر ١٣٦٩هـ، ونشر في جريدة (البلاد السعودية).

دعوة إلى التجديد الأدبي

إن «المنهـل» يخطـو إلى عامـة العـاشر وإن «صاحب» المنهل يريد مقالاً مناسباً، وإنني أجد المناسبة بين خطوة «المنهل» هذه وبين مقالي هذا تامة أو شبه تامة.

فليفسـح صاحب «المنهـل» صدره مشكوراً ـ وليفسح الأدباء ـ مشكورين ـ صدورهم .. فما أنا قائلٌ إلاَّ ما أراه ـ على تواضع رأيي ـ دافعاً لتطور صحافتنا وتقدم أدبنا.

لقد خدم «المنهل» الصحافة والأدب طوال تسعة أعوام خَدمات لا تنسى، وإن كانت معينة محدودة، وأحب الآن أن أدعو إلى توسعتها وتنويعها:

نعم يجب ألاَّ ننسى خدمـات «المنهـل» الأدبيـة بما نشـر من بحـوث تأريخيـة ومقالات أدبية، وقصص خيالية وواقعية، وتراجم للعظماء والعلماء، وقد كان أكثر ذلك رائعاً ونافعاً ككل مجلة أكثر ما تنشره رائع ونافع.

وفي الـوقت نفسـه يجب أن نقـول لصاحب «المنهل»: أن مبدأه القديم في امتناعه عن نشـر الانتقـادات العلميـة والأدبيـة في مجلتـه، الذي لم يزل ممسكاً به إلى اليـوم قـد آن أن يتخلىً عنه، لتكتسب مجلته جدة وأهمية أكثر من جدتها وأهميتها الآن، لأن النقد يسترعي انتباه القراء ويستدعيهم إلى مطالعة مجلته، كما يسترعي «النزاع» في الأسواق انتباه المارة، ويستدعيهم إلى التجمع حوله لمعرفة أسبابه ونتائجه.

على أني أشـتـرط ما يحبـه صاحب «المنهـل» **لتحقيق هذه الـدعـوة إلى نشـر النقـد بمجلته: أن يلغي من مقالاته ما يمس الأشخاص، ويبقى ما يتصدى للأفكار والآثار.**

ثم إني أقـتـرح عليـه أن يضيف إلى أبواب مجلته باباً للأسئلة والأجوبة عليها من قبله فهـو علامـة بحـاثـة، ومن قبـل بعض العلماء وكبـار الأدبـاء والأطبـاء الأخصائيين، فهم موجودون بحمد الله لدينا، وهو ـ على ذلك ـ طيِّب الصلة بكثير منهم.

● **والقصص الرائعة** التي كان ينشرها «المنهل» أين هي الآن؟

لقد احتجبت منذ أمد طويل، فهل لصاحب «المنهل» أن يعيد سفورها، ويطلب إلى كُتَّابها أن ينتزعوا قصصهم الجديدة من صميم حياتنا الاجتماعية، ووقائعنا الأخلاقية؟!

● وهـل لصـاحب المنهل أن يفتح باباً آخر في منهله، يلخص فيه الكتب العلمية والتربوية الكبيرة كما كانت تفعل (**المختار**) وكما تعمل (**الهلال**) الآن؟!

إنـه هو أقـدر كاتب على تولِّ هذا البـاب ، لغلبـة النزعة العلمية على النزعة الأدبية فيـه ، ولأن تلخيص الكتب وتنسيق أجـزائهـا ، وتقـريب شتـاتهـا ، أحـوج إلى العلم ذي الأصول والقواعد منه إلى الأدب ذي الخيال والارتجال .

هذا ما أجـده الآن لأقـدِّمـه هديـة فكـرية للمنهل في عامه الجديد ، وأرجو أن يتقبلها صاحبه الفاضل بنية حسنة ، كما قدَّمتها بمثل هذه النية .

أما ما أدعو إليه أدباءنا عامة ، فليس عندي جديد غير ما أسلفته إليهم في مقال «**أدبنا لا مَعَالِم له فكيف نضع معالمه**»[1] ، لقد دعوتهم فيه إلى الاستقلال التعبيري ، والاستقلال التفكيري ، ليكون للحجاز أدب ممتاز . . كما لمصر ولبنان والعراق آداب ممتازة .

ليكون لنا قصصنا المصبوغ بصبغة بيئتنا ، أحداثاً وأبطالاً .

وليكون لنا شعرنا المصور لحياتنا واقعاً وخيالاً .

ولتكون لنا بحوثنا التأريخية والاجتماعية التي تعرف بنا ، ونعرف بها أخلاقاً وأعمالاً .

أما أن نظل هكذا نخطف من هنا ونقطف من هنالك ، ونصدر في كل ما نكتب شعراً أو نثراً عن الخطف والقطف ـ فليس ذلك مما يُرجَى معه لأدبنا نماء ، ولفكرنا ذكاء .

وبعـد ، فتلك هديتي لصـاحب «المنهـل» في مستهـل عام منهله الجـديد ، وهذه تحيتي لكُتَّاب «المنهل» على ما رافقوا به «المنهل» خلال الأعوام الماضية من أضواء أفكارهم وحداء أقلامهم ، وإن كلتا الهدية والتحية : شكر ورجاء . . وهل يرد الشكر والرجاء؟[2]

---

(١) نشرته جريدة البلاد السعودية سنة ١٣٦٩هـ .

(٢) نشر هذا المقال بمجلة (المنهل) عدد المحرم ١٣٦٩هـ .

ما هي مقومات أدبنا الحديث ؟

استفتت **مجلة (الأضواء)** بعض الأدباء . .
فوجهّت إليهم هذا السؤال . .
وكان هذا جوابي مع الاختصار :

عندما تلقيت دعوة **(الأضواء)** إلى الإجابة على هذا السؤال هممت أن أبدأ إجابتي بسؤال عما تقصده **(الأضواء)** من هذه **(المقوِّمات)** هل هي مقومات واقعية فعلاً؟ أم هي مقوِّمات مرجوَّة لأدبنا الحديث؟ .

ولكني فوجئت بإجابة أستاذي **عبدالكريم بن جهيمان** مبدوءة بالسؤال نفسه : **«هل السؤال عن مقوِّمات أدبنا بحسب ما هو كائن؟ أم بحسب ما يجب أن يكون؟»** .

ثم قال **الأستاذ عبد الكريم** : «إذا كان السؤال عن أدبنا الحاضر فإنني لا أستطيع أن أعطي جواباً عليه لأنني أشك مع الشَّاكِّين في وجود أدب مستقل لدينا[1] . أما إذا كان السؤال عن مقومات أدب المستقبل فإنني أستطيع أن أجيب عليه» .

وجاء رأي **الأستاذ عبد الكريم** في مقومات أدبنا المستقل : أن يمنح هذا الأدب الحرية . . الحرية التي تنقصه ، والتي بها يكون أدباً بحق ، وبها أيضاً تتفتح الأذهان وتطمح الأبصار، وتتسع المجالات لرواد الحقيقة ، وتخرج الكفاءات المغمورة .

وقد قرأت من قبل - في إجابات الأدباء على سؤال **(الأضواء)** - آراء كثيرة متشابهة من حيث عدم وجود أدب مستقل لنا .

ولا أذكر - بالضبط - رأي كل واحد منهم في أدبنا كيف يجب أن يكون مستقلاً؟ عدىٰ رأي أستاذي **الجهيمان** الذي قاله آنفاً ، والذي يرى فيه أن الحرية هي وحدها الكفيلة بجعل أدبنا السعودي مستقلاً .

وأنا أتفق مع الفريق القائل بأن أدبنا غير متميز ولا مستقل ، ولعل القراء - إن لم ينسوا - يذكرون مقالاً نشرته في جريدته **«البلاد» السعودية** ، قبل خمس سنوات أو أكثر - قلت فيه : **«إن أدبنا لا معالم له . . فكيف نضع معالمه؟»** ونشرت بعده مقالاً بمجلة **«المنهل»** عن أدبنا وكيف نجدده؟ .

---

(١) رأي الأستاذ عبد الكريم هنا يؤيد وجهة نظري السابقة في فصل (أدبنا لا معالم له . .)

ولا اختلف مع الأستاذ الجهيمان في أن الحرية دعامة الأدب الأولى . . ولكني أتساءل: هل إذا ضمنّا الحرية لأدبنا سوف نظفر بأدب متميّز واضح المعالم؟ وبالتالي هل فقدان الحرية في أدبنا هو وحده السبب في فتوره وضعفه وعدم استقلاله؟ .

من رأيي أن أدبنا يمر ـ منذ أكثر من عشر سنوات ـ بفترة انقراض وفناء . . أي بعد أن ترك شيوخ الأدب عندنا الميدان للمتأدبين يخوضون فيه بما شاءوا من لغو، وكيف شاءوا من عبث، ظانين أن الأدب هو هذا الإنشاء الذي يتعلّمه الطلبة في المدارس . . مجرد الكتابة، وإتقان الأسلوب، وترتيب النشر في الصحف أو إصدار الكتب والدواوين والأقاصيص . ولا شيء بعد ذلك من ثقافة واسعة مركزة مستمرة، ومباديء فكرية مستقيمة ثابتة، ورسالة أدبية مرسومة معلومة .

وحتى أدباؤنا الشيوخ ـ بعد تركهم للميدان، وانصرافهم إلى الوظائف الكبيرة أو المشاغل الخاصة ـ لم يعودوا أدباء أدباً واضح المعالم، متميز الحدود، مستقل الأفكار إلاّ قليلاً منهم .

أما أسباب محنة الأدب السعودي ـ عندي ـ فهي :

● أولاً : عدم الثبات على الأدب . . فالأدب عندنا هواية غير دائمة ـ في حين أن الهوايات الأخرى يجب أن تدوم ـ وكلما وجد أحدهم فرصة للكتابة والنشر كتب ونشر، وإن لم يجد انصرف عن القراءة، والتزود من المعارف، وتركيز الفكر على رسالة أدبية معلومة .

● ثانيا: التقليد . . التقليد في القصة، والتقليد في الشعر، حتى في نفس الألفاظ ونفس المعاني ونفس البيئات . وهو أمر مفضوح للقراء في أكثر ما ينشر من قصص وأشعار.

● **ثالثا** : نظرتهم إلى الأدب كمشغلة مؤقتة، أو وسيلة إلى الشهرة وطريق إلى الوظيفة، في حين أن الأدب : رسالة، وجهاد مدى الحياة .

● رابعا : عدم وجود رابطة بين الأدباء يتعاونون بها على تركيز الأفكار، وتبادل المعارف، وتحديد معالم الأدب السعودي، وإنهاضه، والتقدم به، ومعالجة نقائصه .

وقد يكون هنالك أسباب أخرى .

ولكن هل تراني «**الأضواء**» قد أجبت على سؤالها عن مقومات أدبنا الحديث؟ .

نعم : إنني أوضحت العلل المانعة من أن تكون لأدبنا مقوِّمات . . وبديهي أنه إذا عولجت هذه العلل وجدنا ما تسميه «**الأضواء**» مقومات أدبنا الحديث[1]

الإلتزام .. بين المعارضة والتأييد !

كنت أول من كتب عن ضرورة «**الإلتزام**» في الكتابة الصحفية، وكان ذلك في «**وجهة نظر**» يوم ٨/١٠/١٣٨٤هـ حيث قلت في ختام الوجهة : « . . على أية حال أرى أن تتميز صحافتنا بوجه محلي في أخبارها، وصورها ومقالاتها واستطلاعاتها، ومشاكل مجتمعنا ومطالبه، وأن تختص كل صحيفة بعدد محدد من الكُتَّاب لا يكتبون في غيرها ـ وأن يخلص الكُتَّاب الذين هم أعضاء في مؤسسة صحفية ما ـ لإنجاح صحيفتهم فبذلك تتميز كل صحيفة بوجه خاص، تلقى به قراءها، ، ولا يشتبه عليهم بوجه آخر» .

وكان لهذا الرأي معارضون ومؤيّدون . . فمن المعارضين **الدكتور عبدالله مناع ، والأستاذ عبدالعزيز الرفاعي** . . ومن المؤيدين **الأستاذ عبدالغني العطري، والدكتور عصام خوقير**

ومما قاله الصديق الدكتور عصام ـ وهو آخر من ناقش فكرة «الإلتزام» ـ أن كل الصحف في العالم العربي والغربي تتبع سياسة تخصيص بعض الكُتَّاب للكتابة في كل صحيفة، وضرب مثلاً (**بأخبار اليوم ـ والأهرام**) وغيرها من الصحف العربية .

ولقد أعادني إلى تناول موضوع «**الالتزام**» ـ اليوم – خطاب كتبه إليَّ قارئٌ صديق هو الأخ «**سعد البشري**» من الطائف، حول الموضوع نفسه . . يطالبني فيه بأن أدعو إلى إجراء استفتاء بين القراء في إحدى يوميات (**البلاد**) . . ويختم الأخ (البشري) رسالته برجائه أن أقرِّر موقفي من هذه الفكرة . . وأن أقف (على منبر واحد) على حد تعبيره (لأننا ـ هو والقراء ـ لا نقدر على شراء كل الصحف اليومية والأسبوعية . .) . . . الخ .

فأما «**الاستفتاء**» المقترح إجراؤه . . فها هو بابه مفتوح أمام القراء، ليقولوا كلمتهم بالمعارضة أو التأييد .

---

(١) نشرته الأضواء في ١٣٧٨/٢/٢٨ هـ.

وأمـا عن الفكـرة فأنـا صاحبهـا وأول داعٍ إليها وأضيف الآن على ما سبق : تأييدي لرأي الـدكتـور عصـام خوقـير الـرامي إلى أن يحزم رؤ ساء التحرير أمرهم ، ويتخيّر كل منهم لصحيفتـه كتـابـاً يلزمون بعدم الكتابة في صحيفة أخرى ، وبتقديم إنتاجهم الأدبي مزهراً مثمراً لصحيفتهم الخاصة بعيداً عن عملية (سلق البيض) على حد تعبير الأستاذ قنديل[1]

أدبنا ينبغي أن يكون ملتزما[2]

قرأت في مجلة (الجنـاح الأخضـر) العـدد ٨ شهـر جمادي الأولى ١٣٩٤هـ حواراً ممتعاً حول المؤتمـر الأول للأدبـاء السعـوديـين ، بين الأسـاتـذة الفضلاء الدكتور محمود زيني ، والدكتور مجاهد الصواف ، والدكتور عبدالصبور مرزوق ، والدكتور عبد الحكيم حسان .

وقـد ظهـرت في الندوة خلال حوار الأساتذة الفضلاء وجهات نظر قيمة حول أبحاث المؤ تمر ومدى نجاحه ، وما ينتظر له من خطوات تطورية قادمة .

ومـع ما خصني به الـدكتـور مصطفى عبـد الـواحد من إشارة أو لفتة كريمة كقوله : «يجب الإشارة إلى آثار المؤ تمر . . فالأستاذ أحمد محمد جمال - مثلا ـ قدم اقتراحاً في اليوم الأول بعقـد مؤ تمـر للأدبـاء الإسلاميين . . » ثم تحدث عن الأدباء السعوديين الذين كانوا ينطلقـون إلى العـالم العربي ، ويلقون التقدير كالأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، والأستاذ حمد الجاسر فقال : « . . والأستاذ أحمد محمد جمال الذي عرف في مصر منذ أكثر من عشرين عاماً . . » .

- أقـول مع تقـديـري لهذه اللفتـة الكريمة ، إلا أني أعتب على المتحاورين الفضلاء أنهم لم يذكـروا من الأبحـاث أو القضـايـا الأدبيـة التي أثـيرتْ في المؤ تمر إلا قضية الأصالة والتجديد ، ومصادر الأدب السعودي .

ونسى المتحاورون ـ مع احترامي لهم وإعجابي بحوارهم الممتع عن أدبنا السعودي ـ أني ألقيت في اليوم الأول للمؤ تمر حديثاً عن ضرورة أن يكون الأدب السعودي (ملتزماً) بما تقتضيه ظروفه الزمانية والمكانية ، مبتعداً عن التقليد الأعمى ، والانحراف الذليل .

---

(١) نشر في جريدة (البلاد) يوم ١٣٨٥/٢/٢٩هـ.

(٢) نشر بجريدة (البلاد) ١٣٩٤/٥/١٩ هـ

ولذلك يسرني أن أرجو جريدة (**البلاد**) اليوم أن تنشر حديثي أو محاضراتي التي ألقيتها في المؤتمر عن **وجوب (الالتزام) في الأدب السعودي!**

في أوائل عام ١٣٨٦ هـ نقل **الأستاذ عبدالله خياط رئيس تحرير جريدة (عكاظ)** رأياً لأديبنا الكبير **الأستاذ عزيز ضياء** يقول فيه: إن بلادنا لا أدب فيها ولا أدباء . . لأننا نفتقد الجو الذي يخلق رجالات هذا الميدان - وأضاف **الأستاذ الخياط** إلى ذلك إعجابه برأي **الأستاذ ضياء**، ووصفه بأنه اعتراف بالحقيقة، وهو فضيلة وهو رأي له قيمته . . لأنه صادر عن أحد أدباء الجيل القديم.

وقبل ذلك - أي في عام ١٣٧٨هـ - نشرت **جريدة الأضواء** (استفتاء) حول **مقومات الأدب السعودي؟** وكان جواب أحد الأدباء حينذاك، أنه إذا كان السؤال عن أدبنا الحاضر فإنه يشك مع الشاكين في وجود أدب مستقل لدينا!

وفي إجابات بعض الأدباء على استفتاء (الأضواء) ما يؤيد وجهة نظر ذلك الأدب: بأننا نفتقد الاستقلال أو التميز في أدبنا.

وكانت إجابتي على الاستفتاء نفسه: أنني أتفق مع القائلين بأن أدبنا غير مستقل ولا متميز، وأعدت ما سبق أن نشرته لي جريدة (**البلاد السعودية**) على عهد رئيس تحريرها **الأستاذ عبد الله عريف** - بعنوان: (**أدبنا لا معالم له . فكيف نضع معالمه؟**) وما نشرته بعد ذلك مجلة (المنهل) لي حول **أدبنا وكيف نجدده؟ ونحدد شخصيته؟**.

وقد تساءلت - في إجابتي على إستفتاء الأضواء - يومذاك: هل إذا ضمنا (الاستقلال) لأدبنا سوف نظفر بأدب متميز المعالم، وبالتالي هل فقدان الاستقلال في أدبنا هو وحده السبب في فتوره وضعفه وعدم امتيازه؟!

ثم أضفت قولي: من رأيي أن أدبنا يمر منذ أكثر من عشر سنوات - وكان ذلك في عام ١٣٧٨هـ بفترة انقراض وفناء - أي أن ترك شيوخ الأدب عندنا الميدان للمتأدبين الصغار . . يخوضون فيه بما شاءوا من لغو، وكيف شاءوا من عبث، ظانين أن الأدب هو هذا الانشاء الذي يتعلمه الطلبة في المدارس . . مجرد الكتابة، وإتقان الأسلوب، وترتيب النشر في الصحف أو إصدار الكتب والدواوين والأقاصيص - ولا شيء بعد ذلك من ثقافة واسعة مستمرة، ومباديء فكرية مستقيمة ثابتة، ورسالة أدبية مرسومة معلومة - **وإن إخلاء شيوخنا لميدانهم هو أحد الأسباب الرئيسية لاختفاء أدبنا أو إنتهائه.**

وقلت أيضاً حتى أدبائنا الكبار أو شيوخ الأدب بعد تركهم للميدان للصبيان والغلمان العابثين لم يعودوا أدباء ينتجون أدباً واضح المعالم، متميز الحدود، مستقل الأفكار إلا قليلاً منهم . .

أدبنا .. بين الشيوخ والشباب

كان الدكتور **فهد العرابي الحارثي** - رئيس تحرير **(اليمامة)** حالياً - محرراً لصفحة **(الأدب والفكر)** في جريدة **«الرياض»** خلال عام ١٣٨٩هـ وكان يستكتب الأدباء رسائل يتحدثون فيها عن أدب الشيوخ وأدب الشباب، فكتبت له الرسالة التالية، ونشرها تحت عنوان **(رسالة من أحمد محمد جمال)** ثم تلقيت منه رسالة يقول فيها:

(سيدي الأستاذ أحمد محمد جمال . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد . . فقد وصلتني رسالتكم، فكان اغتباطي بها شديداً، واعتزازي بها أشد - وأبعث إليكم بالعدد الذي نشرت فيه كلمتكم، وإلى جانبها مقال **للأستاذ عبد العزيز الرفاعي** يناقش فيه أسباب انصراف الشباب عن القراءة، وهي قضية جديرة بالبحث والدراسة، فحبذا لو تناولتموها بالنقد وإبداء رأيكم فيها - آمل منكم التعاون معي بأي موضوع والله يرعاكم).

فهد العرابي الحارثي

وهذه هي كلمتي . . التي نشرتها (الرياض) في ١٣ / ١١ / ١٣٨٩هـ:

(رسالة من أحمد محمد جمال)

أخي فهد . .

نحن لا نفتقد في أدبنا شيئاً كما نفتقد النقد الثاقب الصائب، ونفتقد الناقد النزيه . .

إن فاقد الشيء لا يعطيه - كما يقول المبدأ المعروف.

أدباء الشباب عندنا - إلَّا القليل يهتمون بالسطوح لا الأعماق، ومغرمون بحفظ ألفاظ وصيغ وأساليب حديثة يرددونها دون أن يفهموا مدلولاتها في البيئة التي سرقوها منها - إنهم يظنون أنهم بذلك يبدون رائعين مجددين . . ونحن نبحث بين أدبائنا الشباب عمن يكتب في الأعماق ومن الأعماق . . وأن يكون ملتزماً طريقاً واحداً في تفكيره وتعبيره . . وأن يخلو تفكيره وتعبيره من تلك الصيغ والألفاظ التي يسرقونها من أدب غير أدبنا - أي أن

يكون مؤهلاً ذاتياً للاستقلال . . والإبداع . . والتعبير عن بيئتنا، والتفكير في قضيتنا.

أما شيوخ أدبنا . .

- ففريق منهم معتزل يريد لنفسه وأدبه السلامة.

- وفريق يكره النقد أو يخافه، ولا يريد أن يوجِّه الشباب.

- وفريق جبان منافق يريد أن يلتف الشباب حوله بأي ثمن، فهويسرف في تملقه ومجاملته، ويملي له في خطئه وانحرافه، وتقليده وسرقته.

وهنا أريد أن أقرِّر أنه على الرغم من كل ذلك (النقص) أو (الضعف) في أدبنا ـ فإن لدينا أدباً . . وما علينا إلاَّ أن نهتم شيوخاً وشباباً بإعطائه (شخصيته) المحلية والعربية والإسلامية المستقلة الممتازة، ولست مع المتشائمين أو المثبطين، القائلين بأن كل ما ينشر لدينا من أدب، سخف وهراء وكلام فارغ ـ فهذا ظلم عظيم.

أخي فهد . .

إن النقد كما أسلفت لا يأتي إلاَّ من (صيارف) يملكون ملكة التمييز، وهم معها أغنياء بالأفكار والقيم التي يستطيعون بها أن يزنوا الأمور، وينقدوا الزائف من الصحيح ـ وقد أسلفت الحديث موجزاً عن معظم شيوخنا . . ومعظم شبابنا ـ ولا أزعم بأنني أصبت في كل ما قلت، ولكني قلت ما أعتقد. وشكراً . . والسلام عليكم».

محنة الأدب السعودي وأسبابها

ختمت إجابتي ـ على استفتاء الأضواء ـ بأن أسباب محنة الأدب السعودي عندي ـ هي:

● **أولاً** : عدم الثبات على المبدأ، فالأدب عندنا هواية غير دائمة في حين أن الهوايات الأخرى تدوم عند أصحابها، وأدباؤنا غير دائمين على القراءة والكتابة معاً، فهم إن وجدوا فرصة للنشر كتبوا، وإن لم يجدوا صمتوا. مع أن الكتابة سواء أكانت في نطاق الصحف والمجلات، أم في النطاق الأوسع نطاق التأليف ـ هي حافزة على القراءة، والقراءة أيضاً حافزة على الكتابة، فكلتاهما تستمد من الأخرى نشاطها وحيويتها واستمرارها، بحيث يكون العمل الأدبي أو الفكري عندئذ (رسالة) يحملها الأديب أو المفكر طوال حياته دون انقطاع.

● **ثانياً التقليد في القصة، والتقليد في الشعر** . . حتى في نفس الألفاظ وذات المعاني، وهو أمر مفضوح للقراء في أكثر ما ينشر من قصص وأشعار.

● **ثالثاً**: نظرتهم إلى الأدب كمشغلة مؤقتة، أووسيلة إلى الشهرة، وطريق إلى الوظيفة، في حين أن (الأدب) رسالة فكر، وجهاد قلم مدى الحياة.

● **رابعاً** : عدم وجود رابطة بين الأدباء يتعاونون بها على تركيز الأفكار، وتبادل المعارف، وتحديد معالم الأدب السعودي، وإنهاضه والتقدم به، واستكمال نقائصه.

وهذا الذي قلته عن أدبنا وأدبائنا لا يعني بإطلاق: أن بلادنا لا أدب فيها ولا أدباء ـ كما يرى **عزيز ضياء** ـ ولذلك كان تعقيبي عليه في جريدة **(عكاظ)** نفسها وبتاريخ ٢٧ / ٤ / ١٣٨٦ هـ: بأن لدينا أدباً وأدباء، **والأستاذ عزيز ضياء** في مقدمتهم فكراً وأسلوباً ـ ولكن الأدب في بلادنا يحتاج إلى تشجيع وتنظيم، فهويفتقر إلى نواد للنقاش والجدل والحوار، وتبادل الآراء والأفكار[1]، وإلى مؤسسات ودور للطباعة والنشر والتوزيع على نطاق عربي عام[2]، ولو تحققت هاتان الحاجتان: النوادي ودور النشر لرأينا لأدبنا وأدبائنا شأناً.

وأضفت إلى ذلك في تعقيبي على الأستاذ ضياء: أن هناك مؤثراً سلبياً في تطور أدبنا

---

(١) أنشئت الأندية الأدبية ـ الآن ـ ولها نشاط كبير في إلقاء المحاضرات . . لكن الندوات قليلة، بل نادرة، وهي في نظرنا مهمة لتحقيق الحوار والنقد حيث يصحح الخطأ، ويتطور الفكر، ويتجدد العطاء الأدبي المنشود.

(٢) قامت دور للطباعة والنشر . . ولكنها محلية محدودة.

ورقيه . . وهو اشتغال الأدباء بالكتابة في الصحف والإذاعة . وهو مجال - كما هو ملحوظ وملموس - لا يغري بالتجديد اللفظي ، ولا التعمق الفكري ، وإنما تغني فيه عمليات (سلق البيض) على حد تعبير أديبنا الكبير **الأستاذ أحمد قنديل** .

على الأدباء أنفسهم أن يتحركوا

وفي حوار آخر مع صديق العمر، ورفيق المدرسة **الأستاذ عبد العزيز الرفاعي** والذي يقوم الآن بعمل أدبي كبير - وإن سمّاه (**المكتبة الصغيرة**)[1] - أشار الأستاذ الرفاعي إلى لجنة متواضعة ضمّتني وإياه وبعض الأفاضل منذ ربع قرن ، تقريباً - تعونت مادياً وأدبياً على نشر بعض المؤلفات السعودية مع ضعف الإمكانات ، وقلة الإقبال على الأدب المحلي ، وندرة العون أو التشجيع الحكومي يومذاك ، وهو اليوم يبذل بسخاء لبعض المطبوعات السعودية .

وقد نادى **الأستاذ الرفاعي** عندئذ - أي في أوائل سنة ١٣٨٦هـ - نادى المتحمسين لنشر الأدب السعودي أن يعملوا في هدوء وتواضع كما فعلنا من قبل وكما يفعل هو الآن وحده مشكوراً .

وحاورته فقلت - في **عكاظ** - تعقيباً عليه : لقد أحسن حين ذكر بعض الأدباء والشعراء الذين قاموا بنشر مؤلفاتهم على حسابهم كالأساتذة **السباعي - وعارف - والقرشي - والسنوسي - والزمخشري - والأنصاري - والعوّاد - وابن خميس** وأمثالهم .

وأرى - كما قلت في تعقيبي - أن بقية الأدباء والشعراء الذين تثار الضجة حول أدبهم ، وتنطلق النياحة على ضياع آثارهم وأفكارهم وأشعارهم المطمورة أو المقبورة ليسوا فقراء ولا بؤساء يعجزون عن نشر إنتاجاتهم الأدبية على نفقاتهم الخاصة ، كما أنهم سيجدون من تشجيع بعض الوزارات والمؤسسات العلمية والأدبية نصيباً موفوراً بشراء القليل أو الكثير من مطبوعاتهم . . ولو فرضنا أنهم حصلوا على رأس مالهم الذي بذلوه في الطبع دون ربح أو خسارة فذلك مكسب أدبي كبير .

ومن الملاحظ أن هؤلاء الأدباء البخلاء المحجمين عن نشر إنتاجهم الأدبي - يملأون

---

(١) تطورت المكتبة الصغيرة فأصبحت (دار الرفاعي - للطباعة والنشر) فالحمد لله ، وشكراً لمؤسسها . . وأعانه الله وسدد خطاه .

الصحف والمجلات والإذاعة بأحاديثهم وكتاباتهم وقصائدهم، ويتقاضون عليها أجوراً سخية - فماذا عليهم لو اختصوا بجزء منها طَبْع كتبهم وَنَشْرَهَا.

أدبنا بين الاتهام والدفاع

وفي محاضرة طويلة تحت عنوان: (أدبنا بين الاتهام والدفاع) ألقيتها بنادي الوحدة الرياضي الثقافي بمكة المكرمة خلال شهر ذي القعدة ١٣٨٧هـ تناولت الموضوعات التالية:

● قلت: إن في محيطنا الأدبي: خلافاً واختلافاً. أما الخلاف فهو ناشب بين شباب أدبنا وشيوخه .. في صورة اتهام متبادل بين الطائفتين بالعجز والتقصير أو بالكسل والانطواء - وأما الاختلاف فهو قائم بين فريق من أدبائنا وفريق آخر على أمور لا أحصيها .. وإنما أعدُّ منها: (الالتزام)، و(ركود الحركة الأدبية)، و(أهلية أدبنا للنشر).

● وقلت - في المحاضرة - إن الشباب الناقم على الشيوخ لم نعرف له سوى الاختلاس والتقليد بفهم ودون فهم، مع انحراف عن الحق، وتمجيد للمنكر من الأفكار والنظريات.

● وطلبت يومذاك بأن تكون صحافتنا واسعة الصدر تفسح المجال للنقد الأدبي الموضوعي المهذَّب، وتتيح لأدبنا التطور والنماء.

● وقلت: إننا عندما ندعو إلى الحرية والتجديد في أدبنا فإننا نشترط لذلك أن نحترس من المفاهيم الخواطىء لمعنى الحرية، ومعنى التجديد، فالخلط فيهما سبيل إلى الضياع والفناء.

● وتحدثت أيضاً: عن شيوخ الأدب كيف نشأوا؟ وماذا كانت نشاطاتهم الفكرية، وتنظيماتهم الاجتماعية عندما كانوا شباباً ينتهلون في شغف بالغ من موارد العلم والثقافة من كل باب، وفي كل طريق - على الرغم من ضعف الإمكانات يومذاك، وصعوبة المواصلات، وقلة ما يصل إلى أيديهم من كتب ومجلات.

● كما تحدثت كذلك: عن أدباء الشباب وما ينبغي لهم من متابعة الدراسة، وإتقان الأداء قبل العجلة إلى النشر، والتماس الشهرة بإنتاج ضعيف هزيل - مع الالتزام والأصالة في الإيمان برسالة الأدب وأدائها بإخلاص.

● وتصدَّيت للأدب النسوي، وقلت إنها مسألة فيها نظر، وأعتقد أن وراء كل أديبة - رجلاً

أديبــاً، وذكــرت شيئــاً من سيرة الأديبـات العـربيـات : مي ـ ومـاري العجمي ، ووداد سكاكيني . وما جاء في أدب **طه حسين** ، **والرافعي** ، **وإسماعيل صبري** من إطراء للأديبات العربيات . . وبواعثه العاطفية .

وهذا لا يعني أنه ليس هناك أديبات عربيات على مدى تأريخ الأدب العربي إطلاقاً ، فهناك نوادر منهنَّ قديماً وحديثاً . ولكن النادر لا حكم له ولا عبرة به .

بهذا التقديم بما يقال حول أدبنا يتبيْن لنا :

● أن أدبنا ضعيف أو راكد .

● ولذلك فهو لا شخصية له .

● ويجب أن نعمـل جادين ومخلصـين لتقـويتـه وتغـذيته وإعطائه «شخصية» يمتاز بها ولن يتحقق ذلك إلَّا بأن يكون (أدبنا) بعد تطويره وتحريره : (ملتزماً) .

أدبنا وكيف نطوِّره ونحرِّره؟

فكيف نطوِّره ونحرِّره؟ وكيف نوجِّهه نحو الإلتزام بالحق والخير والجمال؟

الجواب :

● **أولاً** : على القـادرين من أدبـائنـا أن يقـومـوا بأنفسهم وعلى نفقاتهم الخاصة بنشر إنتاجهم الفكري المطمور أو المقبور، دون أن ينتظروا تجارة رابحة من وراء ذلك؟

● **ثانيـاً** : أن تنشأ مجلة أو مجلات أدبيـة على مستـوى رفيـع مكـين تختص بنشـر المقالات والـدراسـات الفكـرية ، وقصائد الشعر الرائع والقصص الاجتماعية التي تمتاز بموضوعاتها وأساليبها الممتعة ، إلى جانب النقد الأدبي الموضوعي المهذَّب .

● **ثالثاً** : أن تقوم **أندية أدبية** خاصة بالنشاط الفكري : وهنا أذكر بالخير **الأندية الرياضية** التي أقـامت في السنـوات المـاضيـة مواسم ثقـافيـة نشط الأدب السعودي خلالها شيئاً ما . ولكني آسف الآن لانقـاطعهـا أو انصـرافهـا عن مواصلة نشـاطهـا الثقافي . . وهي ظاهرة اجتماعية عجيبة في بلادنا تصور المثل العربي : (**شقشقة هدرت ثم قرَّت**) أحسن تصوير، فقد بدأ بهذه المواسم الثقافية **نادي الوحدة الرياضي بمكة** فتبعته الأندية الرياضية الأخرى ـ حتى إذا أدركه الملال والكلال أصيبت معه بما أصيب ، وكما بدأت جميعاً انتهت جميعاً

في وقت واحد[1].

● **رابعاً** : أن تهتم مديريات التعليم، وإدارات المعاهد والكليات والجامعات بصفة خاصة إلى جانب اهتمامها بالمكتبات - أن تهتم بأدبنا السعودي ومنشوراته ومطبوعاته مساهمة في شراء كميات منه، وحثاً للطلاب على دراسته والعناية به فهماً ونقداً.

● **خامساً** : بعد ما تقدم من مطالب التيسير والتشجيع لأدبنا حتى يقف على قدميه، وحتى يتميز بشخصية مستقلة لابد لأدبائنا من الاجتهاد في تحقيق الاستقلال التعبيري، والاستقلال التفكيري . . ليكون لنا قصصنا المصبوغ بصبغة بيئتنا أحداثاً وأبطالاً، وليكون لنا شعرنا المصور لحياتنا واقعاً وخيالاً، ولتكون لنا بحوثنا ودراستنا التاريخية والاجتماعية التي تعرف بنا ونعرف بها - وبذلك ينتهي عهد القطف والخطف من هنا وهناك، وينتهي عهد التقليد المحاكاة لآداب الآخرين وأساليب الآخرين ونظريات الآخرين.

الإلتزام ضروري لأدبنا

وحتى تتكامل صورة الشخصية الممتازة المستقلة لأدبنا السعودي ينبغي أن تأخذ بمبدأ (الإلتزام).

وإذا كان الإلتزام في الأدب واجباً فكرياً على الأدباء العرب جميعاً، فهو على السعوديين بصفة خاصة أوجب.

فنحن هنا في مهبط الوحي الإلهي، ومنطلق الرسالة المحمدية الإسلامية الراشدة الخالدة، التي جاءت إلى العالم نوراً وهدىً لأفكاره ووجداناته وأخلاقه.

وإذا كانت المجتمعات العربية والإسلامية - اليوم - لا تنتج أدباً إسلامياً خالصاً، فإن علينا نحن أدباء هذه الديار المقدسة أن نكون (ملتزمين) فندعو بأفكارنا وأشعارنا وقصصنا إلى إيجاد هذه المجتمعات المنشودة المفقودة.

إن الأدب: هو رسالة الفكر الإنساني، وهو يستلزم جهاداً في سبيله وعناداً لأدائه سلمياً قوياً لنشر الحق والخير في المجتمع الإنساني. ورسالة الفكر هي رسالة الأنبياء وورثتهم العلماء والأدباء الذين يفكرون بنظافة، ويكتبون بشرافة . . والأدباء إخوان العلماء، ولهم

(١) انشئت اخيراً أندية أدبية - والحمد لله - في كل من مكة والرياض وجدة والطائف والمدينة المنورة والدمام وجيزان، ولها نشاطات نافعة.

مثل فخرهم ونفس أجرهم

والأدب . . ليس ترفاً فكرياً، ولا ملتمساً للسمعة والشهرة، ولا طريقاً لكسب لقمة العيش . . فهذه أمور قد تضطر صاحبها إلى الكذب والنفاق والخديعة حتى يظفر بأمانيه الكواذب.

والأدب ـ أيضاً ـ ليس مجرد صدى لما يعتور المجتمع الإنساني من حاجات ومشكلات وآفات فحسب . . ولكنه أيضاً دعوة إلى إيجاد المجتمع الأفضل، والأديب الملتزم لا ينتظر المجتمع الأفضل ليكتب عنه بل يقوم داعيا إليه بانياً له.

نلتزم لننشىء المجتمع الأفضل

إن (أدبنا) كما أتصوره وأتوقعه وأطالب به: هو النظر والتأمل من خلال تصور إسلامي في الكون والحياة والناس بما لهم من قضايا ومشكلات ومعتقدات، ثم الانفعال على هذا الأساس، وبعد ذلك يأتي العطاء المبارك، والبناء المتماسك لِلْمجتمع.

وفي سبيل تثبيت (الإلتزام) الأدبي الذي ندعو إليه أولاً في ديارنا المُقدسة، وثانياً في العالم الإسلامي ـ نطالب بعقد مؤتمرات للأدباء الإسلاميين في شتَّى أنحاء العالم لمواجهة أخطار الأفكار والفلسفات والعقائديات الملحدة المفسدة ـ وأنا أقدِّم هذا الرأي أو الاقتراح لجامعة الملك سعود بالرياض، كي تدعو إلى **مؤتمر للأدباء المسلمين**، كما دعت **جامعة الملك عبدالعزيز بجدة إلى مؤتمر للأدباء السعوديين**، وبذلك تؤدي **جامعة الملك سعود بالرياض** واجباً فكرياً دينياً عظيماً . . أهملته ـ مع الأسف الشديد ـ كل مؤتمرات الأدباء العرب التي انعقدت خلال السنوات الأخيرة في بعض العواصم العربية . . وأغفلت البحث في القيم الروحية والأخلاقية الإسلامية، التي هي الجانب الأخطر والأهم في تاريخنا وتراثنا وحياتنا، والتي ينبغي أن تكون قواعد أدبنا وأركانه الرواسي.

ولعل هناك فريقاً من الأدباء يظن أن الأدب شيء، والكتابة شيء آخر، أو أن تراث الفلاسفة والأدباء شيء والدراسات العلمية شيء آخر.

وأنا هنا لأقول لهؤلاء: إن أهل الثقافة العلمية في حاجة ماسة إلى الفكر الروحي، والوجدان الديني، ليتعلموا مبادىء الحق والخير والجمال، وليدركوا أن ثمة مثلاً أخلاقياً أعلى ينظِّم حياة الناس، ويخلع عليها كل معناها، وحتى يفطنوا إلى أنه لابد من العمل على صيانة الشخصية الإنسانية من أخطار التقدم الصناعي اللاإنساني، وحماية الحضارة

البشرية من جنون الحياة الآلية المادية.

كما أقول أيضاً إذا كان من شأن العلوم أن تعرفنا ما هو (الحق) فإن شأن الآداب أن تكشف لنا عما هو خير، ولذلك ومن أجل تحقيق الخير في أفكارنا ووجداننا دعونا وندعو إلى (الإلتزام) في أدبنا السعودي كمرحلة أولى، ثم إليه في الأدب العربي والإسلامي أجمع - في مرحلة تالية - والله الموفق والمستعان

أدباؤنا الروّاد!

كانت من ضمن لجان المؤتمر لجنة سرية لاختيار الرواد من الأدباء السعوديين وقد قدمت هذه اللجنة تقريرها إلى معالي وزير المعارف الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ متضمناً أسماء هؤلاء الرواد على أساس أنهم حملوا أمانة العلم منذ عام ١٣٥١هـ وما قبل ذلك.. فتفضل معالي الوزير بإهدائهم الميداليات والبراءات الشاهدة بجهادهم الفكري والأدبي. وهؤلاء الرواد المختارون هم:

الأساتذة: أحمد إبراهيم غزاوي - أحمد قنديل - أحمد عبد الغفور عطار - أحمد محمد جمال - أحمد سباعي - أحمد محمد العربي - أمين مدني - حسين سرحان - حسين عرب - حمد الجاسر - ضياء الدين رجب - عبدالعزيز الرفاعي - عبدالعزيز الربيع - عبدالقدوس الأنصاري - عبدالله بن إدريس - عبدالله الفيصل - عبدالله بن علي بن حميد - عبدالله بن خميس - عبد الوهاب آشي - عبيد المدني - علي حافظ - محمد حسن فقي - محمد حسن عواد - محمد حسين زيدان - محمد سعيد العامودي - محمد علي السنوسي - محمد ناصر العبودي.

ومن الأدباء المتوفين: المرحوم حمزة شحاته - المرحوم خالد فرج - المرحوم الطيب الساسي - المرحوم محمد سعيد عبدالمقصود - المرحوم عبدالله بن بليهيد - المرحوم محمد العثيمين - والمرحوم محمد عمر عرب[1]

وقد وجهتُ إلى مدير جامعة الملك عبد العزيز الدكتور محمد عبده يماني وعميد كلية الآداب الدكتور محمد زيان عمر خطاباً في أعقاب إعلان هذا البيان قلت فيه:

«تحيةً وإجلالاً وبعد: فأكرر شكري لما قامت به الجامعة من عمل جليل - وهو تكريم

---

(١) نشرت هذا البيان بأسماء الرواد جريدة (الندوة) في ١٣٩٤/٣/٧ هـ.

الأدباء السعوديين بإقامة أول مؤتمر للأدب السعودي، ثم ألفت أنظاركم الكريمة إلى أن هناك أدباء لا يقلون - إن لم يزيدوا - أثراً في حركة الأدب السعودي عن بعض من كرَّمهم المؤتمر - وهم الأساتذة عبدالله عريف - وحسن عبدالله القرشي - وطاهر زمخشري - وعبد السلام الساسي - وعثمان حافظ - ومحمد علي مغربي.

فحبذا لو استدركت الجامعة فمنحت هؤلاء البراءات والميداليات التي أعطيت لأمثالهم من الأدباء . . مع أطيب التمنيات لكم بالتوفيق الدائم).

توصيات المؤتمر

أصدر مؤتمر الأدباء السعوديين في ختام اجتماعاته توصيات مهمة جاء في صدرها:

● التمسك بالقيم الإسلامية في إنتاجنا الأدبي والفكري، وأن يكون الأديب السعودي متمسكاً بقضايا الإسلام الكبرى ومعالجتها، والدفاع عنها. وفي مقدمتها قضية العرب والمسلمين الأولى قضية فلسطين

● إنشاء مجمع علمي سعودي لخدمة اللغة والعلم والآداب والثقافة والتراث . . وترجمة كل ماكتب عن الجزيرة العربية والتراث الإسلامي إلى اللغة العربية ومنها إلى اللغات الحية الأخرى.

● وأن تهتم الجامعات في المملكة بالآداب الإسلامية خاصة، وذلك بإنشاء كرسي لهذه المادة بأقسام اللغة العربية وآدابها.

● كما أوصى المؤتمر بمساعدة الجامعات الأجنبية التي تهتم بالدراسات العربية والإسلامية والأدب السعودي، وتشجيعاً على إنشاء كراسي فيها خاصة بمادة الأدب السعودي، وتقديم المساعدات المالية لها.

● وأوصى المؤتمر القائمين على أمور الصحافة والإذاعة والتليفزيون بوجوب العناية باللغة العربية أسلوباً وأداء.

● كما أوصى المؤتمر بدراسة إمكانية تخصيص جوائز سنوية في ميزانيات الجامعات، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ودارة الملك عبد العزيز، والجهات المختصة الأخرى لغرض:

(أ) تقدير رجال الفكر المنتجين من كبار الأدباء في مجالات الفكر والآداب.

(ب) تشجيع النتاج الفكري والادبي الجديد بقصد إثراء الحركة الأدبية وإضافة عطاء جيد.

● كما أوصى المؤتمر بدراسة إمكانية إنشاء جوائز أدبية وعلمية تمنح سنوياً باسم المغفور له جلالة الملك عبد العزيز لأفضل نتاج سعودي علمي وأدبي . . . الخ.

هوامش حول مؤتمر الأدباء

في بداية المؤتمر وخلال الاستعداد له، لفتُّ نظر الدكتور محمد زيان عمر المسئول عن إدارة المؤتمر - إلى بعض التراتيب التي يجب اتخاذها في سبيل التنظيم المطلوب للمؤتمر، وضبط سير أعماله - من ذلك:

● توزيع قصائد الشعراء مع الأبحاث والأحاديث التي تلقى في المؤتمر.

● التنبيه على الأدباء بإلقاء ملخصات لأحاديثهم لأن الوقت لا يتسع لإلقاء جميع المحاضرات كاملة.

● استبعاد الموضوعات المستهلكة والخارجة عن مقاصد المؤتمر مثل الإسلام في شعر شوقي، والإصلاح في شعر حافظ، لأن موضوع المؤتمر هو (الأدب السعودي) وحده.

● كتب الأستاذ على العمير في جريدة (البلاد) في أعقاب إطلاعه على محاضرتي تعليقاً قال فيه:

«إن الأستاذ أحمد محمد جمال قد طرح في موضوعه هذا مجموعة من الآراء المتعلقة بشئون الأدب والأدباء في بلادنا، وهي آراء لا يتيح لي المجال في هذه الزاوية أن أبدي فيها رأياً، سلباً أو إيجاباً . . ولكن في إمكاني أن أشير إلى أنها أي آراء الأستاذ جمال - من الأهمية بمكان . . وهي لذلك تستحق أن تكون موضع نقاش وجدل، وأخذ ورد إذ بذلك وحده تتضح معالم الحق وصور الطريق.

وإنني باسم الصفحة الأدبية في هذه الجريدة أدعو جميع أدبائنا وقرائنا الواعين إلى مناقشة الأستاذ جمال وإبداء مرئياتهم فيما طرحه من أفكار وآراء. وإنا لمنتظرون»!

حـــديث مـع أديـــب

كتبت (عكـاظ) يوم ١٠/٤/ ١٣٨٦هـ تقـول: «في هذا الحديث يلتقي القارىء مع **الكـاتب الإسـلامي أحمـد محمـد جمال عضو مجلس الشـورى** . . والأستـاذ جمال من الشخصيـات الفـذة التي أسهمت ولاتـزال تسهم إلى حد كبير في إرساء الثقافة في بلادنا، والعمل على بث الوعي الإسلامي بين صفوف أبنائها.

موعـدنـا معـه كان في منزله . . وفي مكتبته العامرة بشتى ألوان المؤلفات . . وسعيت أولاً لأعـرف شيئـاً عن جوانب هذا الـرجل . . ولأنقل ثانياً للقليلين الذين لا يعرفونه شيئاً عنها وكان هذا الحديث:

جوانب من شخصية المتحدث

● **آمل أن تكشفوا للقراء مختلف جوانبكم الشخصية، والمراحل الدراسية التي مررتم بها؟**

- الحديث عن الجوانب الشخصية لإنسان ما إنما هو من حق الآخرين الذين درسوا أو عرفوا شخصية هذا الإنسان، وأدركوا ما لها من جوانب متعددة أو جانب واحد، وليس من حقي أن أتحدث عن نفسي إلاَّ بمقدار ما يجب . . دفعاً لظن كاذبٍ أو بياناً لحقيقة مطموسة أو إثباتاً لحق مهضوم.

أمـا **المـراحـل الـدراسيـة** التي قطعتها فهي **المرحلة الابتدائية**، وكانت تستغرق سبع سنوات ـ على عهدنا ـ وتشمل على مقررات المرحلة المتوسطة المحدثة بعد ذلك، وظللت سنـة واحـدة في **المـرحلة الثـانـويـة** التي كانت ـ على عهـدنا أيضاً تسمى **«المعهد العلمي السعـودي»** ثم اضطـررت إلى ترك الـدراسـة ـ بمعنـاهـا المحدود ـ إلى الدراسة الواسعة الـدائمـة ـ إلى الحيـاة العمليـة مع الانكبـاب ـ على البحث والتحصيـل والنقد، وممارسة الكتـابـة وقـول الشعـر . . على منـوال كثير من أدباء بلادنا الذين سبقوني بحكم سنهم، والذين عاصروني، من رفاقي بالمدرسة، وأصدقائي على درب الحياة.

الاتجـاهــات الأدبيـــة

● **لكم اتجاهات معينة في الكتابة ـ ما سبب هذه الاتجاهات؟! وما هي الدوافع التي دفعت**

بكم إلى هذا المنهاج؟

- اتجهت في بداية حياتي الأدبية إلى **نظم الشعر**، وتأثرت يومذاك بالشعراء الحماسيين والوطنيين ولذلك تجد معظم قصائدي - من ديوان **الطلائع** تصطبغ بالحماس والوطنية والأخلاقية والأحداث الاجتماعية، وإن كان الديوان لا يخلو من نبضات عاطفية، ولكنها قليلة جداً، ثم تحولت **إلى الناحية الدينية كدراسة ونقد**، وكدعوة وتوجيه في نفس الوقت، فبدأت **أحفظ القرآن الكريم**، **وأقرأ مختلف التفاسير القديمة والحديثة**، وكانت حصيلة هذا الاتجاه «كتباً أربعة» وضعتها في نقد بعض الآراء والنظريات لعدد من المفسرين والكتاب، حول فهم معاني القرآن وقصصه وأحكامه، وكذلك تحدثت فيها عما يحتويه **القرآن الكريم** من مبادىء ومُثُل سامية، وعن كون الإسلام دين عقيدة وعبادة إلى جانب كونه دين حُكم وسياسة.

وتأثراً بهذا الفهم لمعاني القرآن ولحقيقة الدين الإسلامي اتجهت - في نفس الوقت - إلى الخوض في **الميدان السياسي**، فكنت أكتب في الصحف والمجلات المحلية والخارجية تعليقات سياسية، وأقدِّم في (**الإذاعة**) برنامج «**ثقافتك السياسية**» ثم أصدرت كتاب «**استعمار وكفاح**» وكتاب « **نحو سياسة عربية صريحة**»[1]

دوافع الاتجاه

أما دوافع هذا الاتجاه الديني السياسي وأسبابه فلا أستطيع أن أحدِّدها. بل لا أعرف سبباً أو دافعاً لاتجاهي الفكري إلاَّ قدر الله وتسخيره وتيسيره، فكل ميسَّر لما خلق له، وأنا راض عن هذه المشيئة الإلهية - وإن كنت ألاقي بسبب اتجاهي الفكري - الديني السياسي - صعوبات ومتاعب نفسية وخارجية . . ذلك لأني أعد **«رسالة الفكر» جهاداً وعناداً، في سبيل الحق والخير، لا ترفاً أو سمعةً أو تكسباً حيث يجوز الكذب، ويهون النفاق، وتروق الخديعة.**

إن رسالة الفكر هي رسالة الأنبياء، وورثتهم العلماء. والأدباء الذين يفكِّرون بنظافة، ويكتبون بشرافة، هم إخوان العلماء ولهم مثل فخرهم ونفس أجرهم.

مؤلفاتي

● كم عدد مؤلفاتكم؟ وما هو المُؤَلَّف الذي تعتزون به؟

(١) وصدر لي أخيراً كتاب «مأساة السياسة العربية» سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢).

– مؤلفاتي هي : «سلسلة على مائدة القرآن» أربعة أجزاء (١) ما وراء الآيات (٢) دين ودولة (٣) مع المفسرين والكتاب (٤) مبادىء ومثل[1]، وقد تلقيت في العام الماضي رسالة من العلاَّمة الأستاذ علي الطنطاوي يقول فيها : «إنه قرأ (مع المفسرين والكُتَّاب) ووجده خيراً من مائة كتاب» وقد وجده في مكتبة كلية الشريعة حيث يقوم بالتدريس فيها، وكانت هذه الرسالة فاتحة اتصالي به شخصياً، وقدَّمت له بقية مؤلفاتي وكنت قبلها أعرفه من مقالاته في «الرسالة» و «المسلمون» وكتبه القيِّمة .

وأنا ـ جواباً على الشطر الأخير من سؤالك ـ أعتز بسلسلة «على مائدة القرآن»[2] لأن عدداً من كبار العلماء في مصر وسورية رضوا عن اتجاهها، وأعجبهم أسلوبها العصري المتميِّز.

واستغفر الله العظيم إن كان كلامي هذا من العُجُب أو من الإعجاب الذي يؤاخذ به ويُلام عليه .

الطلائع والخواتيم

● نظمتم الشعر في بداية حياتكم الأدبية وأصدرتم ديواناً واحداً كما أعتقد . . ما سر توقفكم عن قرض الشعر حتى الآن؟

– قلت الشعر في بداية حياتي الأدبية ـ كما أسلفت ثم اتجهت إلى البحث والدراسة والنقد في المجالين الديني والسياسي، وليس لي إلَّا ديوان واحد هو (الطلائع) وقد سمَّيته بهذا الإسم أملاً في أن تتبعه دواوين أخرى، وأبى الله سبحانه لِحِكمةٍ قدرها إلَّا أن يكون (الخواتيم) أما السر لانقطاعي عن قول الشعر فهو أولاً مشيئة الله وحِكمته كما أشرت سابقاً، وهو ثانياً: ما وجدته في نفسي من استثقال للنظم، واستصعاب لاختيار القوافي والأوزان، وهو ثالثاً: إدراكي أن (الشعر) ليس ميداني، أو ليس سلاحي الذي أستطيع أن أخوض به معركة الإسلام مع أعدائه من الخارج .

رأيي في المرأة بين الرضا والسخط

● للمرأة حظ وافر من انتقاداتكم وملاحظاتكم . . حتى كتبتم في سبيلها كتاب (مكانك

---

(١) ابدلت اسم الأول إلى (القصص الرمزي في القرآن) واسم الثالث إلى (القرآن كتاب أحكمت آياته) في جزئين كبيرين، وضممت الرابع إلى الثاني في مجلد واحد.

(٢) اصدرت في سنة ١٤٠٤ – ١٩٨٤ كتاب ـ (مأدبة الله في الأرض) في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

تحمدي)[1] فهل أنت عدو للمرأة . . كما يقول البعض؟

- يقال في الأمثال المأثورة عن العوام وعن الخواص أيضاً (**المطر له محب وكاره**) ، و(**رضاء الناس غاية لا تدرك**) . وكتابي (**مكانك تحمدي**) ومحاضرتي (**رفقاً بالقوارير**) نالا من رضاء القراء وسخطهم معاً الشيء الكثير . وحسبي أن فريقاً عاقلاً فاضلاً من المواطنين، رجالاً ونساء ـ قد رضي عن الكتاب والمحاضرة . وما زالت رسائل قرائي من **جدة والرياض وعنيزة والطائف** . . تصل إليَّ تطلب نسخاً منهما . . بعد الثناء عليهما، وذلك من فضل الله عليٍّ وتوفيقه، وحسبي قول الشاعر: (**إذا رضيت عني كرام عشيرتي**) أما ما يقال من أنني عدوٌّ للمرأة فهو كلام أطفال لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون .

فالمرأة أهلي، والمرأة ابنتي، والمرأة والدتي، والمرأة أختي، وقد كتبت عنها ما كتبت بدافع الحفاظ عليها، والخوف من انحدارها باسم التمدن والتقدم إلى هاوية الانحلال انحلالها هي أولاً ثم انحلال الأسرة ثانياً .

والذي يقرأ ما كتبته وما أكتبه عن (المرأة) بعقل صاح، وضمير نظيف، يدرك بوضوح ويسلم بإيمان: أن الذي يدعو إلى تعليم المرأة وتشغيلها في نطاق ما خُلِقت له، وما تستطيع أن تؤديه بحكم طبيعتها وفطرتها، وينادي بأن تبقى المرأة ملكة البيت الذي ترأسه وتنشىء عقول رعاياها ونفوسهم إنشاء كريماً سليماً ـ لا يمكن أن يكون عدوًّا لها كما لا يمكن أن يكون عدواً لها من يسوق الأدلة والتجارب من حياة المرأة في الشرق والغرب، التي سبقتنا إلى التحلل والانفساخ من مبادىء الدين وتقاليد الوطن بدعوى المساواة الكاذبة، وباسم التحرر والتقدم، والسعيد من اتعظ بغيره. مع ذلك فغداً سوف يذكرون ما أقول لهم، وسيندمون حين لا ينفع الندم، وحسبي أنني أديت واجبي وقلت كلمتي .

دور الفرد في المجتمع

● **ما هو دور الفرد في بناء المجتمع؟ وما هو دور المجتمع في صقل مواهب الفرد؟**

- الفرد لبنة في بناء المجتمع، والمجتمع مجموعة من هذه اللبنات التي هي الأفراد، ومن الأفراد الصالحين يتكوَّن المجتمع الصالح، والعكس صحيح. والذين ينادون بحرية الأفراد إنما يسعون لتهديم المجتمع ـ فللحرية حدود ـ وللمصلحة الفردية نطاق معلوم . والمصلحة العامة أو مصلحة المجتمع هي التي يجب أن تكون الغالبة، ولذلك جاء الإسلام

(١) صدر لي بعد ذلك كتاب (نساء وقضايا) وكتاب (كرائم النساء) .

بنظام اجتماعي فريد يعطي ما للفرد له في عدل ورحمة، ويخوِّل المجتمع أو الجماعة حقوقها في الدعاية والسياسة في حزم وحكمة.

أسلوبي في التربية

● ما هو الأسلوب التربوي الذي تمارسونه مع أبنائكم؟ وما مدى نجاح هذا الأسلوب؟

- أسلوبي في تربية أولادي يجمع بين التوجيه والمراقبة في لينٍ مرة، وبقوة أحياناً. وهو اجتهاد مني، وأنا ألتمس دائماً عون الله وتوفيقه، وأدعوه أن يصلح لي في ذريتي وأتمثل أبداً قول القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

الأديب المفضل

● لكل قارىء أديب محبَّب يأنس بالاجتماع به بين دفتي الكتاب فمن هو أديبكم المفضل؟ ولماذا فضلتموه؟

- يهمني الموضوع أو المادة التي أقرأها من قبل الكاتب، وأنا أقرأ لعدد كبير من الكتاب، لا أقرأ لهم لأنهم فلان وفلان وفلان وإنما أقرأ لهم لأنهم تناولوا الموضوع الفلاني أو المادة الفلانية بالبحث أو الدرس أو النقد. فأنا أبحث دائماً عن الموضوعات، وأقرأ لكل من يتناول الموضوع الذي أبحث عنه.

ذكريات صحفية

● ما هي الذكريات التي تحملونها أيام كنتم تعملون في جريدة «البلاد السعودية» إبان رئاسة الأستاذ عبد الله عريف لتحريرها؟

- جريدة «البلاد السعودية» هي أول جريدة **عملت بها سكرتيراً، وأول صحيفة مارست فيها نشاطي الصحفي على نطاق واسع** إلى جانب جريدة **«المدينة المنورة»** التي كنت أكتب فيها أيضاً - وأحتفظ **للأستاذ عبدالله عريف** الذي كان رئيساً لتحريرها بذكريات طيبة. من صدق الإخاء، ونبل الزمالة، وسخاء التشجيع، وإن كان الجو حينذاك لم يخل من خلاف بيننا في الرأي، ولكن الود كان ومايزال قائماً حتى الآن. والصحافة مهنة (المتاعب) كما يقولون عنها وسيأتي يوم أكتب فيه متاعبي الصحفية إن شاء الله[1].

---

(١) كتب المؤلف عن متاعبه الصحفية خلال ذكرياته التي نشرت بعضها مجلة المنهل، ونشرت بعضها مجلة التجارة والصناعة خلال الأعوام السابقة..

● **بمناسبة حديثكم عن (متاعب الصحافة) هل تذكرون الأعمال الصحافية التي قمتم بها؟**

- بدأت عملي الصحفي سكرتيراً لتحرير الجريدة الأم (البلاد السعودية) في عام ١٣٦٥هـ ثم قمت بعمل مدير التحرير لجريدة (حراء) التي كان يصدرها أخي الأستاذ صالح جمال والتي تحولت إلى اسم (الندوة) بعد ذلك، وظللت في نفس العمل إلى أن انتقلت الصحف إلى المؤسسات.

● **نود أن تذكر أيضاً الوظائف الحكومية التي اشتغلتم بها مع ما اشتركتم فيها من لجان أو مجالس أو هيئات رسمية وأهلية؟**

- بدأت حياتي العملية بعدد من الوظائف في رئاسة القضاة، وكاتب العدل، والمحكمة الشرعية الكبرى ـ ثم عينت مديراً مساعداً لقسم الثقافة والتعليم بوزارة الداخلية عندما كانت تشرف على مديرية التعليم، وقبل أن تنشأ وزارة خاصة بالمعارف ـ ثم أصبحت مديراً لقسم الجوازات والجنسية بوزارة الداخلية ـ وفي بداية عام ١٣٧٥هـ صدر مرسوم ملكي بتعييني عضواً بمجلس الشورى.

أما اللجان والهيئات والمجالس .. فقد اشتركت في لجنة نظام الحكم ـ ورشحت عضواً في اللجنة الفرعية المنبثقة عن مجلس التعليم الأعلى - واشتركت في المجلس البلدي بمكة المكرمة، ولا أزال عضواً مرشحاً لا منتخباً ـ ومازلت عضواً في اللجنة الثقافية العاملة برابطة العالم الإسلامي[١]

نصائح للمبتدئين

● **بما أنكم مارستم العمل الصحفي خلال حياتكم العملية، ولكن خبرة واسعة في هذا الميدان ـ فما هي نصيحتكم للمخبر الهاوي والصحفي الناشيء لصقل مواهبه؟ وأي اتجاه ترسمونه له للتمشي على ضوئه؟**

- يا أخي .. ليس كالصدق والإخلاص أداة ووسيلة إلى نجاح الصحفي الناشيء

---

(١) كنت زميلاً في هذه اللجنة لأصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ عبدالله خياط - والشيخ إبراهيم الشوري ـ والشيخ صالح العثيمين ـ والشيخ أحمد علي ـ والشيخ عبدالله البسام. وعندما عين السيد أمين عقيل عطاس أميناً مساعداً بالرابطة الغي هذه اللجنة .. مع أنها استمرت في نشاطها منذ عهد الأمين الأول للرابطة الشيخ محمد سرور الصبان، ثم عهد الشيخ محمد صالح قزاز ثم عهد الشيخ محمد الحركان!

والمخبر الهاوي - إلى جانب الإصرار على النجاح مهما لقي من متاعب في (مهنة المتاعب).

ولي ملاحظات على الصحفيين الناشئين والمخبرين الهاوين فهم مسرفون مفرطون في المديح والإطراء . . وتهويل الأمور وتضخيم الصغائر، والملاحظة الأخرى أنهم لا يحاولون تطوير ثقافتهم وتنمية معارفهم، والملاحظة الثالثة أن رؤساء التحرير ينشرون لكل من هب ودب . . ما يسمى بتحقيقات صحفية عن أشخاص وأعمال لا تستحق شكراً ولا تستأهل ذكراً!!

فلابد في العمل الصحفي من كفاءة وكفاية وجدارة، وصدق وإخلاص، وهدف: هو نشر الحقيقة وكشف الحق.

أمنيتي . . وهوايتي

● **في الختام . . ما هي أمنيتك؟ وما هي هوايتك؟**

- أمنيتي أن يبرم الله لهذه الأمة أمر رشد يُعَزُّ فيها أهل الطاعة . . ويُذَلُّ أهل المعصية وَيُؤْمَر فيه بالمعروف ويُنْهَى عن المنكر . . أما هوايتي في أوقات السأم والملل كنتيجة للقراءة أو الكتابة . . ولا أقول (في أوقات الفراغ) فليس عندي فراغ بالمعنى الصحيح، فهي اللجوء إلى حركات رياضية كالمشي، وتهذيب الغروس والأشجار في حديقتي المتواضعة الصغيرة، وأحياناً كنس الحديقة وتنظيفها والقيام بسقياها . . نيابة (عن القائم بأعمالها).

فلسطين

● **ما هي الأغنية المأثورة أو الأثيرة عندك؟**

- أغنية محمد عبد الوهاب (فلسطين)

أخي جاوز الظالمون المدى　　　فحق الجهاد وحق الفدا

حقيقة الأدب ..
اهتمام فكري وانفتاح وجداني
على الحياة والناس

تلقيت رسالة كريمة من الصديق العزيز **الأستاذ عبد المجيد شبكشي رئيس تحرير جريدة (البلاد)** ومعها بيان ببعض الأسئلة حول الأدب والأدباء، فأجبت عليها ونشرت (البلاد) هذا الحوار يوم ٥/٢/١٣٨٧هـ:

«كان الفكر الأول ـ ولازال ـ أداة توجيه الأمم في كل مراحل تاريخ حياتها منه تستمد قوتها وعظمتها .. وعن طريقه تحدد اتجاهاتها .. ومركزها على الأرض .. هذا إذا أحسن استغلاله .. أما إذا تسلمت دفة قيادته نفوس شريرة ماتت بين جوانبها طاقات الخير والصلاح، فهو بلا شك سلاح هدَّام .. أخطر من الحرب .. وأفتك من القنابل، ولو تتبعنا المراحل التي مر بها الفكر الإنساني .. وما قام به من تغيير على وجه الأرض سياسياً واقتصادياً وأدبياً واجتماعياً لوقفنا أمام معجزة هائلة لم يظهر لها ند حتى الآن .. **والفكر سلاح ذو حدين يقود نحو الأفضل .. أو الأسوأ** .. والفكر العربي جزء من الفكر الإنساني الخالد مر بمراحل عديدة .. وأسهم في كثير من نواحي الحياة .. حياة الأمة العربية وأمم غيرها أيضاً.

- فهل أدَّى دوره؟

- وهل قام به على خير وجه؟

وعلينا ـ وأمتنا تعيش مرحلة حاسمة من تاريخ حياتها ـ أن نسترد أنفاسنا لِنَتَحَسَّسَ وقع خُطَانا من هذا الجري .. وهذا اللُّهاث الذي تعيشه الشعوب العربية.

علينا أن نعرف مكاننا .. مركزنا .. دورنا في التاريخ وبالأخص في هذه المرحلة التي اجتاحت العالم فيها موجة من النظريات السخيفة، والمبادىء الهدَّامة، والمذاهب الغربية ـ والأقطار المختلفة منها ما يحمل معول الهدم جهاراً، ومنها ما يستتر وراء مظاهر الإخلاص الزائفة.

وجريدة «**البلاد**» عندما تقوم بهذا الاستطلاع الفكري في هذا الوقت بالذات فإنه لا يعني رغبتها في الظهور هوىً وافتخاراً، بل تعده جزءاً من واجبها الكبير نحو الأمة العربية والإسلامية.

ويسـرنـا ونـحن نقـدم هذا الاستطـلاع أن نشكـر كل مفكِّـر ساهم برأيـه في صراحـةووضـوح من مفكـرينـا الكـرام كما عودونـا دائـماً . . وسيتم نشـر حلقـات هذا الاستطلاع حسب تسلسل وصولها إلينا ، وفيما يلي إجابة **الأستاذ أحمد محمد جمال**» :

هل الأدب مرآة للأديب؟

● **هنـاك من يقـولـون بأن الأثـر الأدبي مقـالاً كان أم قصيـدة إنـما يمثـل في الـواقـع مرآة لصاحبه ، فهم يطالعون فيه حقيقته من خلال أحاسيسه وانفعالاته . فما مدى واقعية هذا الرأي بالنسبة لما طالعت من آثار أدبية ، وهل تنعكس هذه الواقعية على ما قرأتموه لأدبائنا؟**

جـ : قد يمثـل الأثـر الأدبي مرآة لصـاحبه ـ على حد تعبير السؤ ال فيطالع القارىء فيـه حقيقـة الكـاتب أو الشـاعر من خلال أحاسيسه وانفعالاته ، إذا كان هذا الأديب دائم الحديث عن نفسه ، أي إذا كان أنانياً منطوياً على آلامه وأفراحه . لا يهتم بما حوله ولا بمن حوله .

وأنا أعرف أدباء من داخل بلادي وخارجها ، من هذا النوع ولكن «الأدب» بمفهومه الـرحب الـواسع ليس هو هذا «الانطواء» أو «الانزواء» النفسي والفكري ، إنما الأدب . . اهتمام فكري شامل ، وانفتاح وجداني كامل على الحياة والناس جميعاً وعلى آمالهم وآلامهم .

وقـد قرأت ـ في الأيـام الأخـيرة ـ رأيـاً **للدكتور طه حسين** (عميد الأدب العربي) كما يسمونه ، يقول فيه : «إن كل أديب يعيش في بيئة اجتماعية ، وهو بطبعه ملتزم بأن يشارك في ترقية بيئته ، وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح من شؤونها ، فهو يوجِّه الحكومة بالنقد ، ويقوِّم بعض الاعوجاجات في أعمال الأفراد الذين لهم مكانة في حياة البيئة ، وإذا لم يلتزم الأديب بهذا فقد أشياء أهمها وطنيته»!

ثم يضيف **الـدكتـور طه حسين** : «أن الأديب مشارك مشاركة أساسية في ترقية بيئته ، وإصلاح ما يحتاج منها إلى إصلاح! وأظنه نجح ـ في هذا العصر ـ نجاحاً لا بأس به»!

على أن هذا الـذي قلتـه عن «الأدب» بمفهومه الرحب الواسع من أنه اهتمام فكري شامـل بالنـاس جميعـاً ، وانفتاح وجداني كامل على الحياة كلها ـ وهذا الذي يقوله **الدكتور طه حسـين** عن (التـزام) الأديب بالمشـاركـة في شئون بيئته الاجتماعية . . لا يعني أن ننفي

كلياً الأثر الأدبي على نفسية الأديب وأحاسيسه وانفعالاته . . فلكل أديب لونه الخاص الذي ينمُّ عن بواعث شعوره، ومصادر تفكيره.

هل واكب الأدب العربي الأحداث العالمية

● هل استطاع الأدب العربي أن يواكب الأحداث العالمية في محاولة لمشاركة الآداب الأخرى في التعبير عن مشاعر هذا القرن، وإذا لم يستطع أن يحقق شيئاً من هذه المشاركة فما الذي حال دون ذلك ثم ما هي الطريقة التي تؤدي به إلى تحقيق هذه الغاية؟

وبالمناسبة فهل ثمة انعزال بين الأدب العربي القديم والأدب المعاصر، وإذا كان فما العامل الرئيسي الذي أقام هذه الثغرة بينهما . . أهي الثقافة الغربية أم اندفاع البعض لكل ما هو مستورد من الخارج؟

وبالمناسبة أيضاً ما رأيكم في الترجمة بوضعها الراهن؟ وهل أثبتت خدمتها للأديب؟

جـ: أعتقد أن الأدب العربي استطاع أن يواكب الأحداث العالمية في محاولته لمشاركة الآداب الأخرى في التعبير عن مشاعر (العرب) في هذا القرن، والكتب ودواوين الشعر، التي وضعها الكُتَّاب والشعراء العرب خلال النصف الأول من هذا القرن . . سواء أكان موضوعها سياسياً أم مذهبياً، وسواء أكانت بأسلوب البحث والدراسة أم بطريقة الشعر والقصة ـ هذه الكتب والدواوين دليل قائم على قدرة الأدب العربي على المشاركة العصرية.

أما الفقرة الأخيرة من السؤال فجوابها أن الأدب العربي القديم كان يمثل عصره وبيئته وناسه، وكذلك الأدب الحديث يمثِّل اليوم عصره وبيئته وناسه ـ وما بينهما من فوارق أمر طبيعي بحكم التطور في الثقافة والأخلاق، وتقدم العلوم، ويسر الاتصال بين الناس غربيّهم وشرقيّهم، واختلاط العادات والأعراف.

وسيأتي (عصر) آخر يعتبر الأدب العربي الحديث فيه أدباً قديماً . . (سنة الله التي قد خلت من قبل) و(تلك الأيام نُدَاوِلها بين الناس).

أما الترجمة فقد قلت رأيي فيها من قبل . . وهو أن الطابع التجاري قد غلب عليها فمعظمها رديء، وأكثرها خطأ، وهي خلو من التحقيق والتعليق.

ما هو تأثير الأدب في الحياة

● هل لنا أن نقف منكم على مدى الأثر الذي تركه الأدب في الحياة بوجه عام وفي حياتنا على الخصوص؟ ثم ما رأيكم في التفرُّغ له؟ وهل يحقق التفرُّغ من النتائج ما قد يسمو بواقعه؟ ثم هل في قدرة الأديب بالتالي أن يعيش من قلمه؟

جـ : للأدب أثر لا ينكر في الحياة، من قديم، وفي الحديث، وإلى أن تقوم الساعة، فالأدب هو (الفكر الإنساني) وهل قامت حياة أو تقوم بدون تفكير الإنسان؟

أما التفرُّغ للأدب فهو ممكن ومثمر ومفيد في بيئة دون بيئة، ومجتمع دون مجتمع، وهناك أدباء في بعض الأقطار العربية تفرغوا للأدب، وعاشوا على إنتاجه كتابة في الصحف، ونشراً للكتب.

الالتزام باليمين واليسار

● منذ ما قامت «الماركسية» في روسيا ثم في الصين من بعد وهي تفرض على الأدباء من القيود ما تحوَّل بهم إلى أن يكونوا مجرد أبواق لها، وهذا ما انتهجته الاشتراكية في عالمنا العربي حتى ليعاب اليوم على الأديب في مصر مثلاً أن لا يكون يسارياً كما حدث بالنسبة للقاضي يوسف إدريس حينما نعى عليه الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي أن يقف من اليمين واليسار موقفاً وسطاً فما رأيكم في هذه المحنة التي يعيشها الأدب على يد الاشتراكيين في الوقت الحاضر؟

جـ : في رأيي أن الأديب إذا لم يكن ملتزماً بيمين أو يسار من تلقاء نفسه، وايماناً منه بهذا المبدأ أو ذاك ـ فليس أديباً ـ وإنما هو آلة مسخرة بيد السلطة.

إن الإنسان ـ لكي يكون أديباً صادقاً حاذقاً ـ يجب أن يكون حرًّا في تفكيره وفي تعبيره على سواء، وأن يكون ثابتاً على المبدأ الذي اتخذه منذ البداية.

الجوائز والمؤتمرات :

● نهجت مصر نهج روسيا في فرض جوائز للأدباء، بينما شجب الأدباء الروس أنفسهم هذا الإجراء من قبل فما رأيكم في هذه الجوائز التي أصبحت تصنف الأدباء على درجات؟ ثم ما رأيكم أيضاً في المؤتمرات التي تعقد باسم الأدب، وتُسخَّر للأغراض السياسية التي لا تتصل بواقع الأدب في شيء؟

جـ : ما قلتـه عن حريـة الأديب يسـري على موضـوع الجـوائـز الأدبية، فإذا كانت الجــوائـز تقـرر للبحـوث الحـرة فهي خير للأدب نفســه، وللأديب أيضـاً حيث يجد فيهـا التشجيع والمثوبة والتكريم.

وإذا كانت الجـوائـز تقـرر لأغـراض سيـاسيـة، يضطـر بها الكُتّـاب إلى الانحـراف بمبادئهم وأخلاقهم عن طريقها الأول - فهي تدمير للفكر، وتخريب للخلق.

وكذلك شأن المؤتمرات الأدبية التي تعقد باسم الأدب، وتسخّر للأغراض السياسية.

وهذا - بلا شك - لا يعني أن الأدب لا شأن له بالسياسة، لا . . ولكن الذي يعنيه ألّا تفرض السياسة على الأديب اتجاهاً لا يرضاه.

هذا ما استطعت أن أساهم به في استفتاء (البلاد) الأدبي، وهو بضاعة المقل، وجهد الضعيف، أرجـو أن يتقبله أخي الكـريم **الأستـاذ عبـد المجيـد شبكشي** رئيس التحـريـر المحترم مشكوراً على تفضله بالقبول.

علـــى الأديــــــب أن
يـرتـفـع بأذواق الـنـاس وأفـكـارهـم

نشـرت جريـدة (**البـلاد**) الحديث التالي الذي أجراه **الأستاذ فهد العرابي الحارثي**[1] معي يوم ٢٠/٦/ ١٣٨٧هـ ـ فقد كتب يقول:

(شـاعـر مبرز . . أتحف المكتبـة العـربيـة ببـاكـورة إنتـاجه الشعري ـ وهو لا يتجاوز العشرين من سنيه ـ في ديوان أسماه (**الطلائع**)[2] نال إعجاب أكثر من اطلع عليه . . ولكنه ما لبث أن ترك النظم شعراً، واتجه إلى الكتابة نثراً لأنه اتخذ لنفسه منهجاً جديداً لا يرضخ لقيود الشعر الكثيرة.

(صحفي ناجـح . . رمى بسهم بالـغ في العمـل بالصحـافـة حيث عمل مدة طويلة مديراً لتحرير جريدة (**الندوة**) يوم أن كان أخوه **الأستاذ صالح محمد جمال** صاحبها ورئيس تحريرها، ولطالما أمتع قراءة بكتاباته ومناقشاته الصحفية الهادفة.

(كـاتب إسـلامي . بذل جهـده في الدفاع عن الإسلام . . وإظهار مزاياه . . وشرح كوامنـه وليست أحـاديثـه الإذاعيـة . . ومحاضراته ومؤلفاته الإسلامية ببعيدة عنا . . فهي تشهد له بالإخلاص لهذا الدين والتفاني في سبيله.

(ذلكم هو **الأستاذ أحمد محمد جمال** . .

(قابلته صدفة في **مستشفى الملك فيصل بالطائف** يعود نزيلاً بالمستشفى . . وبطبيعة عملي اهتبلت الفرصة لأجري معه هذا التحقيق، فقلت لسيادته كفاتحة لهذا الحديث:

س : من هو أحمد محمد جمال؟

جـ: عبـدٌ من عبـاد الله يرجـو رحمتـه ويخشى عذابه، ويحاول أن يكون قوله وفعله خالصين لله تبارك وتعالى.

س : لو لم تكن أحمد محمد جمال الكاتب فمن تودّ أن تكون؟

جـ : لا أتمنى أن أكون غير ما أنا عليه داعياً إلى الله، مدافعاً عن دينه، حريصاً على أن

---

(١) هو اليوم الدكتور فهد العرابي الحارثي رئيس تحرير مجلة (اليمامة)

(٢) طبع طبعة ثانية، وقد بدل اسمه إلى (وداعاً أيها الشعر)

يعود للإسلام مجده وللمسلمين رشدهم .

س : كيف تنظرون إلى الحياة؟

جـ : الحياة في نظري ، وكما يقول شوقي رحمه الله : عقيدة وجهاد . . رأي وخُلُق يلتزم بهما الإنسان ، ويعيش عليهما ، ويموت غير مبالٍ بأحد ، ولا خائف من انقطاع رزق أو انتهاء أجل[1]

س : هناك من يتفوَّه بانخفاض مستوى الوعي الإسلامي في الدول التي تعتنق مبادىء هذا الدين ، ويزيد إمعاناً ويقول إن المسلمين لا يعرفون من الإسلام إلَّا اسمه فكيف تقدرون أنتم مستوى الوعي الإسلامي في هاتيك الدول؟

جـ : المسلمون هناك بخير ، وهم مخلصون ومتحمسون للإسلام أكثر منا نحن العرب في بلادنا العربية ! !

س : رابطة العالم الإسلامي التي أُنشئت في معقل الإسلام ـ مكة المكرمة ـ لتمثِّل حلقة الاتصال لاتحاد الرأي العام الإسلامي . . فهل ترونها قد أدَّت مهماتها كما ينبغي ـ بعد أن مرت بمرحلة التجربة؟

جـ : أرجو للرابطة الإسلامية ـ وقد كتبت عنها الكثير من المقالات ـ أن تقوم بدورها الإيجابي العملي الواسع قريباً . . فهي أمل المسلمين جميعاً في أقطار الإسلام كافة .

س : الإسلام كدين سماوي يستعلى على جميع الأديان الأخرى الوضعية وغير الوضعية لابد أن هناك أخطاراً محدقة به تهدف إلى الإطاحة به ـ وهذا طبعاً مستحيل ـ فما هي أهم تلك الأخطار التي تداهم الإسلام كعقيدة؟ وكيف تمكن مواجهتها؟

جـ : الإسلام يحارب ـ بفتح الراء ـ في عدة جبهات ، وأهم هذه الجبهات وأخطرها جبهتان الأولى **الشيوعية الدولية الملحدة** . . والثانية **الحضارة الغربية المفسدة** ـ فنحن المسلمين نُحارَب بإغراءات الشيوعية لنكفر، وبإغواءات الحضارة الغربية لنفجر . . وقد قطعنا أشواطاً بعيدة مع الأسف الشديد في الانهزام أمام هذين العدوين اللدودين وبقية «الجبهات» سياسية وتعليمية وتربوية وإعلامية وداخلية . . من المسلمين أنفسهم الذين يُخْرِبون بيوتهم بأيديهم .

---

(١) المرحوم الأستاذ محمد حسين زيدان كان يثني على المؤلف دائماً في أحاديثه ويصفه : «صاحب الثبات والإثبات . . رجل العقيدة . . ليس فيه شيء من العقد، صريح فيما يكتب . . هدفه أن يكون للحق» جريدة البلاد في ٤/ ٥/ ١٤٠٧هـ

س : ما هو مدى تأثير تغيُّر الجو الفكري والخُلُقِي والاجتماعي على أدب الأمة؟ بصفتكم أحد المسهمين في الحركة الأدبية لدينا ـ وهل يمكن أن تلتمسوا لذلك مثلاً؟

جـ: التغيُّرات الفكرية والخُلُقية والاجتماعية والاقتصادية لها تأثيرها الواضح الثابت على أدب الأمة، لأن الأدب هو نتاج الفكر والخُلُق والاجتماع والاقتصاد، مع سموها يَسْمو، ومع هبوطها يهبط، ومع فسادها يفسد، ومع اضطرابها يضطرب.

واختلاف الأدب في أمة عنه في أخرى بين الارتقاء والانحطاط، أو بين الظهور والانزواء، أو بين الطهارة والدعارة: هو الدليل، وهو المثال الذي تريد.

س : الشعر هو الأدب المحض الذي يستدعي الأنانية الأدبية . . بينما النثر يستدعي الغيريَّة الأدبية ـ هل لكم من موافقة على ذلك؟ ولماذا؟

جـ: الشعر والنثر هما (الأدب) في مفهومه الكلي، وكلاهما صادر من نفس الإنسان، ومعبرٌ عن مشاعره وخواطره وأفكاره ـ والأنانية والغيريَّة إنما تكونان في نفس الأديب، وتنعكسان على أدبه سواء أكان نثراً أم شعراً، وكذلك قد تجد شعراً غيرياً ونثراً أنانياً وبالعكس . . وإذاً فلا حصر للأنانية في الشعر، وللغيرية في النثر.

س : المعروف أنك نظمت شعراً في أول حياتك الأدبية، فأخرجتم إلى الوسط الأدبي ديوانكم الوحيد (الطلائع) . . ولكن الملاحظ أنكم كَبلتم شاعريتكم في الآونة الأخيرة . . فهل يمكن أن نعرف أسباب ذلك؟

جـ: بدأت حياتي الأدبية شاعراً كما بدأها كثير من الأدباء، ثم تركت الشعر لأنه يقيد صاحبه بقوافيه وأوزانه ومعانيه وموضوعاته الخاصة، واتجاهي الفكري كما تعلم يضيق بهذه القيود . . فأنا لا أستطيع أن أنظم تعليقاً سياسياً في (قصيدة) أو أحاضر في موضوع اجتماعي أو ديني أو تربوي بأسلوب شعري.

س : الكلمات العامية مألوفة سريعة الفهم، وقد يكون لها نفس التأثير الذي تتركه الكلمات العربية الفصيحة ـ فهل ترى على الشاعر أو الكاتب حرجاً إذا ما استعمل العامية في أدبه بقصد التأثير من طريق أسهل؟

جـ: نعم . . لأن على الأديب شاعراً كان أم ناثراً أن يرتفع بذوق الناس وتفكيرهم لا أن يهبط إلى ذوقهم ولغتهم . . ولكن هذا لا يعني أن يستعمل الأديب الكلمات الغريبة التي بَعُدَ بها العهد . . ففي العربية ثروة من الكلمات والتعابير السهلة البليغة المؤثرة.

وإن الدعوة إلى استخدام (**العامية**) في الكتابة الأدبية: دعوة تخريبية وهي واردة ووافدة من خارج النطاق العربي الأصيل، ومن آثارها السيئة أن ينسى الجيل الحاضر تراثه الفكري الثقافي لأنه لا يستطيع أن يفهمه ولا يتأثر به، ولا ينتفع بمُثُله وآدابه . . وبذلك يفتقد «أصالته» العربية و«تأريخه» الذي يشده إلى أسلافه الماجدين، وهذا ما يريده أعداء العروبة والإسلام.

وأجمع «**العروبة والإسلام**» في كلامي لأن العربية لسان الإسلام، وإجراء التخليط والتغليط فيها إجراء لهما فيه.

س : ما من شيء على هذه البسيطة إلاّ وله وظيفة أو هدف ـ فما هي يا ترى وظيفة الفنون في رأيكم؟

جـ: وظيفة الفنون يجب أن تكون خدمة الحق والخير والجمال، لا إثارة الغرائز الحيوانية في الإنسان، وشغله باللهو واللغو عن رسالة الحياة التي هي كما أسلفت عقيدة وجهاد.

وحبذا لو خلا الأداء الفني، سواء أكان غناء أم تمثيلاً من المآثم والمحارم، إذاً لأدى واجبه كاملاً فاضلاً في المجتمعات الإنسانية.

س : القصة صورة من صور الحياة الإنسانية . . فما هي الأسس التي تقوم عليها في نظركم ـ كأثر فني؟

جـ: القصة لون تعبيري من ألوان الأدب، وكما كان للشعر محبون ومعجبون . . فللقصة محبون ومعجبون . . أما أنا فقليل الاهتمام بقراءة القصص، وبخاصة الطوال، لأني أرى أنها تأخذ وقتاً أطول مما تستحقه «فكرتها» أو «موضوعها»، والكُتّاب الذين يصرون على كتابة القصص الغرامية إنما يحرصون على الترويج والربح من ورائها ـ وهذه وجهة نظري ارتأيت تسجيلها هنا.

س : ما هي العلاقة التي تراها بين الأدب والصحافة ـ بصفتكم صحفياً قديماً ـ وأيهما خدم الآخر في نظركم؟

جـ: الصحافة أدب سريع، وفي رأيي أن الصحافة قد جنت على الأدب وعلى الأديب، فقد استخفت الأدباء . . فراحوا يتناولون الموضوعات الفكرية والاجتماعية بأسلوب سريع خفيف لا يُقنع ولا يُمتع.

س : ما هي النواحي الثقافية . . التي يمكن للصحافة اليومية أن تُمِدَّ بها القارىء؟ وما مدى التزام صحافتنا بها في رأيكم؟

جـ: ألاحظ على «صحافتنا» أنها أسرفت في الاعتماد على النقل والاقتباس، وأما التناول الفكري للموضوعات الأصيلة فقليل بل نادر، ونظرة واحدة على الصفحات «الإسلامية» والأخرى الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية، تكفي لتصديق هذا الحكم الذي قد لا يعجب القائمين على أمر الصحف.

س : وعندما ترخي العنان لقلمك في تناول أحد الموضوعات ما هي الخطوات العلمية التي تحتذيها في كتابتك؟ وهل تراعون اعتبارات وفروضاً بين كتابتكم للجريدة وبين حديثكم للإذاعة؟

جـ: أحاول أن يكون أسلوبي واحداً في الكتابة الصحفية والإذاعية ما استطعت ـ ولكني قد أتخفَّف في كتابة الكلمات القصيرة للصحف مثل **«وجهة نظر»** التي كنت أنشرها في **«الندوة»** ثم **«عكاظ»**[1].

س : الفتاة السعودية بدأت تقدم لصحافتنا نماذج من إنتاجها الفكري والأدبي . . ما هي انطباعاتك يا ترى عن هذا الإنتاج؟! . وما هو المستقبل الأدبي الذي ينتظرها في رأيكم؟

جـ: الأدب النسوي بصفة عامة مسألة فيها نظر، وأعتقد أن وراء كل أديبة رجلاً أديبا[2]

س : ما هي الظاهرة الاجتماعية الحديثة التي استلفتت انتباهكم في مجتمعنا؟ وهل أنتم راضون عنها؟

جـ: الظاهرة الاجتماعية التي تسألني عنها أنت أعرف بها مني، وهي لا ترضي كل مواطن غيور حريص على احتفاظ مجتمعنا بأصالته العربية والإسلامية . . وبخاصة في محيط الأسرة . . والطالبة.

س : كيف ترون السبيل إلى نشر الوعي والتثقيف بطريقة أوسع في مجتمعاتنا وخاصة البدوية؟

جـ: وسائل نشر الوعي الثقافي في الحاضرة والبادية معاً كثيرة . . في مقدمتها المدارس والإذاعة والصحافة والأندية الاجتماعية والأدبية والمهم في الأمر هو الإخلاص والاجتهاد، وحسن النية وصدق العزم على التوعية الصحية النظيفة.

---

(١) المؤلف يكتب الآن في جريدة المدينة تحت عنوان: (الحديث ذو شجون) وفي جريدة اليوم تحت عنوان: (هذه سبيلي)

(٢) مضى على هذه الاجابة نحو خمس وعشرين سنة ـ والآن قد تطورت الفتاة السعودية بحكم التعليم الذي أتيح لها حتى المستوى الجامعي وما فوقه . . وقد ظهرت بينهن أديبات وصحفيات ومدرسات!

س : ماذا يحزنك في شبابنا وماذا يفرحك؟

جـ: الشباب هم رجال الغد، وقادة المستقبل . . وهم ليسوا مسؤولين عن أنفسهم بقدر مسئولية الآباء والمربين والمعلمين وأجهزة الإعلام والمجتمع عنهم. إنهم يكادون يكونون ضحايا لهذه العوامل والمؤثرات جميعاً، وبصراحة: **إن شبابنا معظمه لا كله يفتقد الأصالة الاسلامية.**

س : وأخيراً . . ماذا تريد أن تقول؟

جـ: أريد أن أقول للآباء والمعلمين والمربين والقائمين على أجهزة الإعلام، وللشيوخ ذوي التوجيه الاجتماعي: اتقوا الله في الشباب وفي الطلاب . . والطالبات . . جنّبوهم اللهو واللغو، وكل ما يفسد الأخلاق والذمم والضمائر . . وابعدوهم عن تقليد أعداء الله وأعدائهم في عاداتهم وأزيائهم وسلوكهم . . ووجهوهم إلى الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة، وصحّحوا مفاهيمهم الخواطىء عن دينهم وتأريخهم وأسلافهم الصالحين.

حوار مع واحد من أدباء الشباب

الأستاذ فاروق صالح باسلامة من أدباء شبابنا الجادّين النشطِين، وهو كثير الحوار مع أدباء الشيوخ يسألهم ويكتب عنهم ـ وقد وجَّه إليَّ بعض الأسئلة الأدبية وأجبته عليها، ونشرها بجريدة (المدينة) يوم ٢٨/٣/ ١٤٠٣هـ وهذا هو نص ما كتب:

(على ما اشتهر في الإنتاج باتجاهاته الإسلامية إلاَّ أن **الأستاذ أحمد محمد جمال** يعد مساهماً فعّالاً في الحركة الثقافية والأدبية بالمملكة، وهو أديب إسلامي وكاتب وشاعر.. وهو هنا يبدي نظرات ورؤىً مجيباً بها على قضايا وأسئلة سريعة في نشاط الساحة الأدبية وحركة الأدب في المملكة، وقد يجد القراء فيها أجاب الأستاذ جمال ـ من جديد ـ تلك النزعة الأدبية والصحفية لديه فها هو السؤال)

ما هو مفهوم الأدب الإسلامي؟ :

●● **هل من تعريف (للأدب الإسلامي) في مسيرة الحركة الثقافية؟**

* أن يكون الأدب إسلامياً يعني ذلك أن يكون الأديب ملتزماً بمكارم الأخلاق.. أي يتضمن الشعرُ أو النثرُ أو القصةُ: الصدق والأمانةَ والحياء في النقد والتوجيه.. فلا دعوة إلى الفجور ولا إغراء بالخيانة، ولا تزوير للواقع، ولا تشويه لوجه الحق.

هذا هو مفهوم الأدب الإسلامي في كل مجالاته أو فروعه من شعرٍ ونثرٍ وقصة وصحافة، ونستطيع أن نضيف أحاديث الإذاعة والتلفاز، وإن كانت في حقيقتها (نثراً) إلا أن وسائل عرضها قد تختلف عن المقالة المعروفة في مقاييس الأدب القديمة.

ومما يلاحظ ـ في السنوات الأخيرة ـ أن نقاد الأدب عامةً ومؤرّخي حركاته وتطوراته يخرجون الأدباء الإسلاميين من قائمة الأدب أو قائمة الأدباء، ويسمونهم (مفكّرين إسلاميين أو علماء) مع أن الواجب عليهم: أن ينظروا أولاً في أساليب عرضهم لأفكارهم وأثارهم.. فإن كانت (أدبية) من حيث صحة اللغة، وإجادة البلاغة، وروعة الأسلوب وسلامة المقصد.. فهم أدباء بل في ذروة الأدباء.

مصدر الأدب.. الفكر أم العاطفة؟

●● **هل الأدب شعراً أم نثراً خاضع لفكر الإنسان أم لعاطفته؟**

★ نتـاج الأديب كسلوكه الأخـلاقي تماماً، وسلوكـه ـ كما نعلم ـ يأتي تارةً نتيجـة لعاطفته النفسية وتارةً أخرى لتفكيره العقلي.

فمثلاً عندما يرفض الإنسان أن يستقبل أو يصافح إنساناً آخر يختلف معه في الرأي، فإنـه في هذا السلوك متأثـر بعـاطفتـه النفسيـة. أمـا إذا استقبله بصدر رحب، وسلم عليه وصـافحـه بيـده، فهو عندئذ متأثِّر بحكمته العقلية.. لأن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية كما هو معروف في علاقات الناس العقلاء المتسامحين.

وكـذلـك قصـائـد الشعـر أو المقـالات النثـريـة أو القصص إذا جاءت تصور أحداثاً عاطفيـة، أو لقـاءات غراميـة، أو خصـومـات انفعـاليـة.. فهي من نتـاج التأثر النفسي العاطفي السريع، وعكسها ما يكون صادراً عن الحكمة والعقل، وداعياً إلى الحق والخير.

لماذا هجرتم الشـعر؟

●● كنتم أصدرتم ديوان شعركم بعنوان (الطلائع) على أمل المزيد من الإنتاج الشعري ـ ثم أعدتم طباعته بعنوان (وداعاً أيها الشعر) فَلِمَ هجرتم الشعر؟ أرجو تفسير ذلك نظرياً؟

★ بدأت حياتي الأدبية بالنثر والشعر.. فكنت وأنا طالب بالمرحلة الابتدائية أنظِّم الشعر، وأكتب الكلمات والمقالات القصيرة وأنشر بعضها بجريدة (**المدينة المنورة**) وجريدة (**البـلاد السعـوديـة**) ومجلة (**المنهـل**) وكنت أرمـز لأسمي مرةً بتوقيع (**الفتى المعهدي**) وتارة باسم (**إبن محمـد**) كما كنت أوقِّـع كلماتي وقصـائـدي أحيـاناً باسمي الصريح (**أحمد محمد جمال**).

ومـع تطـور سنِّي وتقـدُّمُ مطـالعتي ودراساتي الأدبية والدِّينية أهملت نظم الشعر، وان كنت لم أهمل قراءة الشعـر الجيـد لغـيري، والإِسْتِـمَاع إليـه يُنْشَـدُ في النـدوات والمحـافـل والإذاعة والتلفاز.. حتى اليوم.

وشغلتني الكتـابـة في القضـايا والمسائل الدينية والسياسية، والاهتمام بتتبع الأحداث العـربيـة والإسلامية، والتعقيب عليها ـ وفي المجال السياسي أصدرت كُتُباً ثلاثة (**استعمار وكفـاح**) و (**نحـو سيـاسـة عربيـة**) و (**مأسـاة السيـاسـة العربية**) وفي الميدان الإسلامي صدرت لي كتب متعـددة يأتي في مقـدمتهـا (**محـاضرات في الثقافة الإسلامية**) وهو مجموعة المحـاضـرات التي بدأت تدريسهـا **لطـلاب جامعـة الملك عبـدالعزيز بجدة، وجامعة أم**

القرى بمكة منذ عام ١٣٨٧هـ حتى الآن .

وهناك سلسلة **(على مائدة القرآن)** و **(مفتريات على الإسلام)** و **(قضايا معاصرة في محكمة الفكر الإسلامي)** و **(نحو تربية إسلامية)** و **(مكانك تحمدي)** وغيرها مما لا ضرورة لسرده الآن في هذا الحديث عن الأدب والأدباء .

وقد أصدرت في عهد الدراسة والصبا كتيب **(سعد قال لي . .)** وهو **مجموعة قصص قصيرة** ذات موضوعات اجتماعية بقصد النقد والإصلاح .

فأنت ترى كيف اتجهت اتجاهاً كلياً إلى الكتابة في المجال الديني والسياسي ، مع النقد الاجتماعي ـ الأمر الذي صرفني كلياً عن الشعر، فلم أعد أطيق الانتظار والتفكير لنظم قصيدة في موضوع ما . . نتيجةً لإهمال عادة التمرّس والتعوّد على تلقي خواطره وصيد نوافره .

الإصدارات الحديثة . . مارأيكم فيها؟

●● ظهرت في الآونة الأخيرة إصدارات كثيرة عن بعض دور النشر المحلية فما رأيكم في هذه الظاهرة كماً وكيفاً؟

★ لا شك أنها ظاهرة تستدعي الرضا والحمد . . فقد ظهرت أفكار وأشعار وموضوعات علمية وأدبية كثيرة بفضل هذه (الظاهرة) ولكن يلاحظ عليها أنها أسرفت في (الإصدار) دون إصطفاء للأحسن ، واختيار للأفضل . وقد تحدثت مع بعض القائمين على هذه الإصدارات ـ بصراحة ـ عن ذلك ، ونصحتهم بضرورة حسن الاختيار للمهم والصالح والنافع من الكتب ، وتقديم المجيدين والمصلحين فكراً وأسلوباً من الكُتَّاب . . **ولكنهم ـ مع الأسف ـ لم يستجيبوا ، وظلت الإصدارات تتوالى وأكثرها غثاء كغثاء السيل .**

كيف ترون جيل أدباء الشباب

●● جيل الشباب الأدبي هل يمثله الباحثون والأكاديميون في الجامعات السعودية أم كتاب الشباب في الصحافة ، أم المجموعتان من هؤلاء معاً؟

★ هناك ملاحظة على جيل الشباب الذين يمارسون الكتابة في صحفنا ومجلاتنا المحلية . . وهي أنهم لا يهتمون بالدراسة والمطالعة والبحث للاستزاده من المعارف الأدبية

والفكـــريـــة، ولإتقـان الأسلوب الأدبي تعبـيراً وتصـويـراً، فمعظم ما يكتبـونـه وتنشـره الصحف والمجلات (سلق بيض) على حد تعبير **الأستاذ أحمد قنديل** رحمه الله.

أمـا الكُتَّـاب الجامعيون المشاركون في الكتابة الأدبية خلال صحفنا ومجلاتنا، وعبر ما يصـــدرون من مؤلفـــات وكتب، فهم قليلون . . لأن معظمهم لم يتخصص في (الأدب) تفكـيراً وتعبـيراً والشهـادات ـ من البكـالوريوس إلى الدكتوراه ـ لا تعني اهتمامَ أصحابها بالأدب دراسةً ونقداً، ولا قدرتهم على دخول هذا الميدان بسلاحه الفعَّال.

وبـاختصـار: إن المهتم بالأدب دراسـةً ونقداً، والقادرَ على ممارسته تعبيراً وتصويراً، والمتقن له لغة وبلاغة ـ من الفريقين ـ هو الذي يمثِّل جيل الشباب من الأدباء.

ما هي نظرتكم إلى الأندية الأدبية؟

●● كيف تنظرون إلى الأندية الأدبية . . وأثرها أدبياً واجتماعياً؟

★ الأندية الأدبية قامت ببعض الواجب، وأرى أن البعض الآخر من (الواجب) هو مسؤوليـة الأدبـاء الـذين لا يشاركون هذه الأندية اهتمامَها ونشاطهَا. وعندما لاحظت قلة الحضور في المحاضرات التي تلقى بالأندية ـ قلت لرئيس **نادي مكة الثقافي**: «إن الشباب والطـلاب قد لا يعجبهم المحـاضر الواحد فحبذا لو أحلنا المحاضرات إلى ندوات يشترك فيهـا ثلاثـة من العلماء أو الأدبـاء أو الصحـافيـين، ويكون موضوع الندوة مثيراً للأفكار، مشجعاً على الحضور».

أسـئلة سـريعة؟

●● هل من إنتاج جديد ستقدمونه للطبع؟

★ سيصـدر لي بإذن الله وعـونـه قريبـاً كتابان أولهما: (**نساء وقضايا**) **عن دار الرفاعي بالرياض** - والثاني كتاب (**القرآن كتاب أحكمت آياته**) عن **رابطة العالم الإسلامي**، وأعد الآن كتاباً ثالثاً عنوانه (**الشباب من الجنسين عم يتساءلون**) أسأل الله التوفيق والتيسير، وقد صدر لي كتاب في مصر قريباً عنوانه (**مأساة السياسة العربية**) أصدرته ووزَّعته **دار الأهرام**.

●● كنتم شغلتم منصب مدير تحرير جريدة (الندوة) فهل للصحافة دور في تكوينكم الأدبي والثقافي؟

★ اشتغلت بالصحافة منذ صدور (**جريدة البلاد السعودية**) خلفاً لجريدة (صوت

الحجاز) كسكرتير للتحرير عندما كان **الأستاذ عبدالله عريف** رئيساً لتحريرها[1].

ولا ريب أن (الصحافة) تجري في دمي حتى الآن . . فهي مجال تنفّسي الفكري والنقدي . . وقد مارستها منذ كنت طالباً في **المعهد العلمي السعودي مع زملاء الدراسة الأساتذة عبد العزيز الرفاعي - وعبد العزيز الربيع - وسراج مفتي - والدكتور عبد القادر جان (الطبيب) وسراج خراز (الشاعر)** وغيرهم .

●● بم تنصحون شُدَاةَ الأدب وهُوَاته من الشباب والناشئة؟

★ أنصحهم أن ينكبوا على الدراسة الدائمة لكي يتقنوا التفكير أولاً ، والتعبير ثانياً ، وألا يستمروا في عملية الخطف السريع أو عملية (سلق البيض) - كما أسلفت .

بمناسبة مؤتمر الأدباء العرب

في **الدورة الخامسة لمؤتمر الأدباء العرب ، الذي انعقد في بغداد** في عام ١٣٨٥هـ الماضي تكررت أحاديث المؤتمرين في مختلف الشؤون الفكرية ، وتكرَّرت أيضاً مقترحاتهم وأمانيُّهم في سبيل مستقبل أفضل للأدب العربي .

وعلى كثرة ما طُرِحَ في **مؤتمرات الأدباء العرب الخمسة** من بحوث ودراسات قيمة ، وبخاصة ما يتصل منها بالدعوة إلى تحرير الفكر العربي من المحاكاة والتقليد والذوبان في تيارات الفكر الغربي - لم نجد أثراً إيجابياً لذلك خلال السنوات الخمس الماضية - على **الأقل** - بل ازداد **الغزو الفكري الغربي** لدنيا الأدب العربي ، لا في مجال الكتابة فقط ، بل في مجال الأخلاق والسلوك أيضاً .

لذلك يهمني أن أذكِّر الأدباء في بلادي - وهو أضعف الإيمان وأقل الجهد - بما نادت به **الدكتوره نازك الملائكة** في المؤتمر الأدبي الأخير ، في ختام محاضرتها القيمة عن **(الأدب والغزو الفكري)** - من ضرورة مواجهة التيارات الفكرية الغربية بالأعمال التالية :

● **أولاً** : إنشاء مؤسسة عربية كبيرة تشرف على الترجمة ، وتنسق جهود المترجمين العرب في ديارهم كلها . . . بحيث تلاحظ ما يحتاجه المواطن العربي من المترجمات دونما

---

(١) تبدَّل اسمها إلى (البلاد) في عهد رئاسة تحريرها للأستاذ حسن قزاز . ثم تحولت إلى مؤسسة عامة مع جميع الصحف السعودية .

نظـر إلى عالميَّـة الأسماء الغربية ، فقد يكون الأديب الغربي عالمياً ، ولكن فلسفته مُتنَاقضة لأخلاقنا وأهدافنا فتسيىء إلينا بدلاً من أن تفيدنا .

● **ثانياً** : إنشاء قانون للطباعة والنشر، يجعل الصحافة والإنتاج في خدمة الأمة العربية لافي مصلحـة المؤسسـات الأجنبيـة وتجار الأفكار والقيم ، وبذلك تطهر الأسواق من كتب الجنس ، والابتذال الخُلُقي ، والسطحية الفكرية .

● **ثالثـاً** : تحديـد مجال الإذاعـة والتلفـزيـون ووضـع فلسفة عامة لمناهجها تراعي فيها مصلحـة المـواطن ، وتمنع عرض أفلام العصابات والسفاكين ، وروايات التفسُّخ الخُلُقي ـ لأن مشـاهـدة الفتيـان والفتيـات لمثـل هذه الأشـرطة كل مساء حري بأن يهدم كل ما تبنيه المدرسة والتربية المنزلية من مُثُل أخلاقية .

فهل آن ـ بعد تكرار هذه المؤتمرات ـ للأدباء العرب ، وللمسؤولين في الديار العربية : أن يحوِّلوا مثل هذه الأفكار الطيبة إلى أعمال صالحة تحقق للأدب أصالته ، وتحفظ للأخلاق العربية طهارتها ، وتنفي عن مجتمع العروبة خبث الغزو الفكري الوافد من غرب أو شرق على سواء[1]

---

(١) نشرت في (عكاظ) في ٢٠/٦/١٣٨٦هـ

أليس الأدب الإسلامي أدباً ؟!

وجَّه إليّ المحرر الأدبي لجريدة (البلاد) السؤال التالي :

● (كتبت في إحدى وجهات نظرك في صحيفة «عكاظ» مدافعاً عن مكانتك كأديب، واستشهدت بالعقاد وطه حسين كأديبين لم يخرجهما من زمرة الأدباء مشاركتهما في التأليف الإسلامي، وأرى في ذلك تشبيهاً مع الفارق، ، فإن التأليف الأدبي لهذين الكاتبين لا يقل عن التأليف الإسلامي إن لم يزد في الوقت الذي تعتبر فيه كل مؤلفاتكم تآليف إسلامية، ولا يقلل ذلك من قدرك، وليس من الضروري أن يكون كل كاتب أديباً، وإنما يكفي امتلاكه لناصية اللغة واقتداره على ملكة الكتابة الصحيحة، ليتجه بعد ذلك الوجهة التي يرتضيها والتي تتفق مع ميوله فما رأيك في ذلك؟) .

فأجبته : الذي قلته بالحرف الواحد هو: « . . . . وربما ظن **الأستاذ الأنصاري** أن الدراسات الإسلامية والسياسية والاجتماعية التي اصطبغ بها عملي الأدبي أخيراً، وأصدرت بها عدداً من المؤلفات معروفاً لدى القراء ـ ليست أدباً . وأعتقد أن هذا الظن ـ إن كان قد خالج **الأستاذ الأنصاري** ـ غير صحيح . . . فالأدب كما هو معروف ـ هو التناول الفكري والعمل الكتابي لمجموعة من الفنون والأفكار والموضوعات المختلفة، وليس أدل على ذلك من كتب الآداب القديمة والحديثة أيضاً . . ومن بين أدبائنا المعاصرين ـ في العالم العربي على الأقل ـ من مارس الكتابة في الشؤون الإسلامية والاجتماعية والسياسية في أواخر سنواته، ولم يخرجهم هذا الاتجاه من محيط الأدب ودائرة الأدباء . . **كالعقاد، وطه حسين، والزيات، والطنطاوي . . وسيد قطب** وأمثالهم» .

هذا ما قلته تعليقاً على عدد «**المنهل**» الخاص بتراجم الأدباء لأن **الأستاذ الأنصاري** ـ عفا الله عنه ـ اكتفى بذكر كتابين قديمين من مؤلفاتي هما «**ماذا في الحجاز؟**» و «**سعد قال لي**» واختار من ديواني «**الطلائع**» أبياتاً ليست «**أحسن ما نظمت**» كما قال الخ . . .

أما قول المحرر : إن في ذلك تشبيهاً مع الفارق . . فأود أولاً أن أؤكد أني لا أعني أني بلغت مبلغ هؤلاء الأعلام لا سناً ولا تفكيراً ولا تأليفاً، وإنما عنيت «الاتجاه» الأدبي أو الفكري لهؤلاء الأعلام الذين اشتغلوا بالأبحاث الإسلامية سياسةً واقتصاداً واجتماعاً .
ولا أوافق المحرر الفاضل في قوله : «إن التأليف الأدبي لهؤلاء الأدباء لا يقل عن التأليف الإسلامي إن لم يزد . . » فالواقع أن مؤلفات **العقاد** الإسلامية والسياسية والعقائدية أكثر

من مؤلفـاتـه الأدبيـة ، والأديب الشهيـد **سيـد قطب** ـ رحمـه الله ـ كذلـك تزيـد مؤلفـاته الإسلامية عن مؤلفاته الأدبية .

وأؤكـد رأيي السـابق : إن الأدب هو التنـاول الفكـري والعمل الكتابي لمجموعة من الأفكـار والفنـون والمـوضوعات المختلفة ـ ولو رجع المحرر الفاضل إلى تعريفات «الأدب» القديمة والحديثة واختلاف أصحابها لارتاح فيما اعتقد إلى رأيي في تعريف الأدب وإلى ما ضربت من أمثلة . .

فاعـترض المحـرر الأدبي قائـلاً : أخالفك في الفقرة الأخيرة من ردك فلم يعد الأدب اليـوم كما كان في السـابق «الأخـذ من كل فن بطـرف» ، وإنـما هو في مفهـومـه الحديث إما دراسات أدبية «مثل مؤلفات **طه حسين** عن **المتنبي وأبي العلاء المعري**، ومؤلفات **العقاد** عن **ابن الرومي** ، **وأبي نواس**» وإما مؤلفات إبداعية على سبيل المثال «**الأيام**» لطه حسين ، و «**حياة قلم**» للعقاد فضلاً عن القصة والمسرحية والشعر وما إلى ذلك .

فعقبت عليـه بقـولي : كتب العقـاد وطـه حسـين الأدبيـة التي أشرت إليها ومؤلفاتهما الأخـرى عنـدي سواء ، فهي أدب على مفهـومي الـذي شرحتـه فيـما سبق ، وأزيد الأمر وضـوحـاً بأني أرى ـ أيضـاً أنّ الأدب للحيـاة ، وليس الأدب للأدب ، فالاتجـاه الأخير في نظـري ترف نفسي وفـراغ فكـري ، ولا أدل على ذلـك من أن معظم الأدبـاء في العالم كله متجهـون الآن إلى ممارسـة الأدب للحيـاة ، فهم يمارسـون بأدبهم بحث مختلف المشـاكـل الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية ، حتى ما يبدو لك أنه أدب بحت في دراسات الأدبـاء عن **ابن الـرومي** ، **وأبي العـلاء** وأمثـالها هو أدب للحياة لأنه دراسة لأفكار هؤلاء الشعراء ونظرياتهم النفسية والأخلاقية والاجتماعية .

مرحباً برابطة الأدب الإسلامي

انعقد **المؤتمر الأول لرابطة الأدب الإسلام** خلال ربيع الثاني ١٤٠٦هـ - يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦م **في مقر ندوة العلماء بلكناو في الهند** بقيادة **سماحة الأستاذ أبي الحسن على الحسني الندوي** ، ولأول مرة في تاريخنا المعاصر يتلقى الأدباء الإسلاميون في ظل رابطة أدبية ، وعلى أرض قلعة حصينة من قلاع الإسلام ولغة القرآن **في ندوة العلماء بالهند** .

واستمر المؤتمر تحت رئاسة الأستاذ **أبي الحسن** ـ أمده الله بالعافية والتوفيق ـ ثلاثة أيام يواصل أعماله وأبحاثه ومناقشاته ، حتى انتهى إلى قراراتٍ وتوصياتٍ مهمة ونافعة لامتداد الفكر الأدبي الإسلامي ، وانتشاره عبر العالم يضيء له طريق الحق والخير والجمال .

ومن مقررات المؤتمر : وضع نظام خاص للرابطة يتضمن واجبات الأدباء وشروط العضوية في الرابطة ، وتكوين مجلس أمناء وبعض اللجان الاختصاصية كلجنة الشعر ، ولجنة القصة والمسرحية والسيرة ، ولجنة أدب الأطفال واليافعين ، ولجنة النقد الأدبي ، ولجنة التحقيق والدراسات ، ولجنة الترجمة . . . الخ .

وقد شرَّفني **سماحة الأستاذ أبي الحسن الندوي** رئيس الرابطة بخطاب بعثه إليَّ يخبرني فيه بأن الرابطة رشَّحتني لعضويتها ، وللعمل في إطارها وقال في خطابه الكريم : (إن مجلس الأمناء قرَّر أن يمنح عضويته لشخصيات إسلامية نابهة بمناصرة الأدب الإسلامي ودعمه ، رشَّحها مجلس الأمناء ووافق عليها مجلس الرابطة . . ومن بينها اسمكم الكريم فأهنئكم بعضوية الشرف للرابطة وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبَّل منا ومنكم جميعاً ـ كما أرجو أن تسعد رابطة الأدب الإسلامي بتعاونكم الكريم فيما تسعى إليه من الأهداف الإسلامية الكريمة ، بارك الله في مساعيكم الخيِّرة وتقبل منكم) .

وأنا سعيد جداً بأن أكون عضواً **في رابطة الأدب الإسلامي** برئاسة **الأستاذ الندوي** وصحبة الأساتذة الأجلاء : **عمر بهاء الأميري ، وأحمد شوقي الفنجري ، ويوسف القرضاوي ، وعماد الدين خليل ، وأنور الجندي ، وعبدالله عباس الندوي ، ومحمد رابع الندوي ، وعبد الرحمن رأفت الباشا ، ومحمد المجذوب** . . وغيرهم ممن ضمهم المجلس المبارك !

أجل أنا سعيد بقيام هذا المجلس ، وسعيد بالتعاون معه ، لأن فكرته سبقت إلى ذهني وإلى قلمي ولساني منذ أمد بعيد .

فقد كتبت وتحدثت في الندوات الأدبية، وفي الصحف المحلية منذ عشرين عاماً داعيأت إلى مبدأ (**الالتزام**) في الأدب الذي ينتجه أدباء مسلمون بالمنهج الإسلامي.

وأجبت صحافياً شاباً على سؤال له عن المدرسة التي أنتمي إليها سنة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م بأن المدرسة التي أنتمي إليها هي مدرسة الحق والخير والجمال، والالتزام بهذا **الثالوث الأدبي قولاً وسلوكاً**، وأقول (**الالتزام**) **لأن فاقد الشيء لا يعطيه**، والكاتب الكاذب يضحك على نفسه قبل أن يضحك على قرائه.

وفي عام **١٣٩٤هـ** انعقد مؤتمر للأدباء في مكة المكرمة بإشراف جامعة الملك عبدالعزيز في جدة وشاركت فيه المؤتمرين بمحاضرة كان موضوعها (**أدبنا ينبغي أن يكون ملتزماً**).

وفي عام **١٣٩٥هـ** جددت الدعوة إلى الالتزام الأدبي في **الملتقى الفكري التاسع الذي انعقد في الجزائر** على نحو ما فصّلته في زاوية (**بلاغ وذكرى**) في جريدة (المسلمون)

وبعد . . فمرحباً برابطة الأدب الإسلامي رئيساً وأعضاء، ودعاءٍ خالصاً للرابطة بالتوفيق والنجاح[1]

حوار حول الأدب الإسلامي ؟

أدارت جريدة (المسلمون) حواراً حول الأدب الإسلامي؟ وهل هناك أدب إسلامي فعلاً وواقعاً؟ وما هو مفهوم الأدب الإسلامي؟ وهل يحسب القرآن الكريم نموذجاً أدبياً؟ الخ.

● والكُتَّاب الأفاضل بعضهم زعم أنه ليس هناك أدب إسلامي . . وأنه لا يصح أن نقول: إن ما كتبه **الأستاذ عبدالحميد جودة السحار، والدكتور طه حسين** كان أدباً إسلامياً. وكذلك لا يمكن أن نعد الخطب الدينية، والحديث عن آية قرآنية أو سنة نبوية، أو عرض سيء من سيرة **الرسول ﷺ** - أدباً إسلامياً. وإنما الأدب الإسلامي - في نظر هؤلاء الأفاضل - يتمثّل فيما كتبه **أبو العلاء المعرّي في رسالة الغفران** عن الرحلة إلى العالم الآخر!!

● وقال بعضهم: إن **القرآن الكريم** يمثّل نموذجاً أدبياً رائعاً . . وأنكر بعضهم أن

---

(١) نشرتها الشرق الأوسط في ٢٣/ ، / ١٤٠٦هـ.

يكون القرآن الكريم أدباً بأي حال.

وأنا أريد أن أشترك بوجهة نظري في هذه القضية الفكرية الخطيرة التي أثارتها (المسلمون) وأقول: الخطيرة لأنها ستكون ذات أثر بعيد في أذهان الشباب المسلم، وسوف يتحيرًون بين القول: بأن هناك أدباً إسلامياً، وبين القول بنفي أي أدب إسلامي بإطلاق.

في البداية.. لابدَّ من تحديد مفهوم (الأدب) بصفة عامة، وأعتقد أنه لا خلاف بين الأدباء على أن مفهوم الأدب هو أنه: **النتاج الفكري للمثقف ثقافةً واسعة.. في صور متعددة فإما أن يكون نثراً أو شعراً أو قصة أو خطبة أو مثلاً مرسلاً** - والأدب العربي - قبل الإسلام - كان حافلاً بهذه الصور المتعددة: من مقالات نثرية، وقصائد شعرية، وقصص واقعية وخيالية، وأمثال، وخطب مأثورة عن فصحائهم تتميز بالحكمة والفصاحة والعبرة.

هذا المفهوم للأدب العربي.. هو المفهوم نفسه لكل الآداب العالمية - بلا اختلاف - **وعندما نقول: أدب غربي نعني أنه أفكار صادرة عن بيئة غربية تتميَّز بعاداتها وأخلاقها وعقائدها ونظراتها إلى الحياة - وكل (أدب) في أية بيئةٍ إنسانية أخرى يتميز بطبيعة أهله فكراً وحياةً وعقيدةً وسلوكاً.. كالأدب الفرنسي، والأدب الإنجليزي، والأدب الأمريكي، والأدب الروسي - فكل أدب من هذه الآداب يصطبغ بلون أهله الفكري والأخلاقي والعقائدي.**

وإذا سلَّمنا بهذا المفهوم للأدب عامة.. كان علينا أن نسلّم أيضاً بأن كل مقالة نثرية، أو قصيدة شعرية، أو قصة واقعية أو خيالية، أو خطبة، أو محاضرة.. حسب اصطلاحنا العصري - تصطبغ باللون الإسلامي وتلتزم منهجه، فهي أدبً إسلاميً بلا جدال.

حتى الصحيفة أو المجلة أو الكتاب.. إذا كان واحد منها يتحدَّث بأسلوب إسلامي عن فكرة إسلامية، أو تأريخ إسلامي أو قصة إسلامية فهو صحافة إسلامية، أو أدب إسلامي.

والصحافة - بطبيعة الحال - انبثاق جديد للأدب أو لون حديث من ألوانه.. لم يكن معروفاً من قبل، وهي - أي الصحافة - تصطبغ بلون بيئتها الخاصة فليست الصحافة الفرنسية - مثلاً - كالصحافة الإنجليزية أو الأمريكية أو الروسية.. من حيث الاعتقاد أو الاتجاه والأسلوب.

وكذلك الصحافة الإسلامية تنفرد بأسلوبها واعتقادها واتجاهها عن الصحافة العِلمانية، والصحافة الشيوعية، والصحافة الفنية التي تحمل شعار: (الفن للفن) أي لا تلتزم بِخُلُقٍ، ولا تهتم بموانع الإثارة الجنسية بما تنشره من صور وأخبار وقصص.

أما القرآن الكريم فهو الذروة والقدوة في الأدب الإسلامي من حيث المعنى والأداء ولكن يجب ألا نسلكه مسلك الأدب البشري، لأنه كلام الله عز وجل، وليس لكلام الله مثيلٌ ولا نظير.

وأما ما كتبه **الدكتور طه حسين، والأستاذ عباس محمود العقاد، وعبد الحميد جودة السحار، والرافعي، والزيات، والغمراوي، ومحمود شاكر، والغزالي، وسيد قطب، ومحمد قطب، وأنور الجندي** - وأمثالهم ممن قضوا نحبهم ومن ينتظرون في مَوْضُوعاتٍ أو قضايا أو تراجم إسلامية فهو بلا شك أدب إسلامي.. لأنه يتحدث عن الإسلام ووفقاً لمنهجه وبأسلوبه.

● **والخلاصة أن هناك أدباً إسلامياً منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا مع اختلافٍ بين القوة والضعف، وفقاً لاختلاف الدول الإسلامية المتتابعة بين الاستبداد والحرية**[1]

* * *

وقد وجهت (الندوة) استفتاءً للأدباء عن إعادة كتابة الأدب الإسلامي - فكانت إجابتي التالية:

● تاريخ الأدب الإسلامي - في نظري لا يحتاج إلى إعادة الكتابة من جديد، وإنما نحتاج نحن إلى دراسته والإهتمام به، والإستمرار في تتبع آثاره، ثم الالتزام بالمنهج الفكري الإسلامي في كل ما نصدر عنه من كتابة أو خطابة أو حوار في مجال الأدب.

● وعن احتياج الأمة لهذا الأدب كمطلب: - فإن الأدب الإسلامي أدب منهج أخلاقي يلتزم بالشرف والعفة، ونظافة القلم واللسان والفكر.. والإنسانية، وبخاصة في مرحلتها الراهنة محتاجة إلى الأدب الإسلامي ليوقظ ضميرها النائم، ويرشد فكرها الهائم في دروب الضلال والحيرة والفساد.

● **وحول اتهام الأدب بالتقليد، وأنه أدب غير متميز أجبت على سؤال الندوة:**

هذا الاتهام صحيح في بعض جوانبه.. لأن الفريق الأكبر من الأدباء المسلمين ينهج

---

(١) نشرتها (المسلمون) في ١٦/٢/١٤٠٨هـ.

منهجاً غير إسلامي تقليداً للآداب العالمية الأخرى، والفريق الأقل الناهج منهج دينهِ القويم في تفكيره وتعبيره لا تروِّج لإنتاجه دورُ النشر العربية التي تهتم في الغالب بالأدب الغرائزي نشراً وترويجاً.

● **وعن المسئولين عن التصدي لهذه المذاهب التي تحاول غزو الأمة قلت:**

المسئولية في ذلك تقع على المؤسسات الثقافية في العالم الإسلامي - حكومية وشعبية - فهي قادرة على مواجهة التحديات الثقافية الأجنبية . . قادرة مادياً وأدبياً، ولكنها متجاهلة أحياناً، ومتعاجزة أحياناً أخرى شأنها في ذلك شأن الحكومات العربية في مواجهة أعدائها السياسيين والعسكريين[1]

---

(١) نشرتها (الندوة) في ٣٠/٢/ ١٤٠٧هـ.

تحقيقات في الأدب العربي

نشـرت **مجلة (الهـلال)** المصـريـة في عددهـا الصـادر في أبريل ١٩٤١م ـ مجموعة من الأمثال عزتها إلى **الحكمة الإنجليزية** بلا ترفق ولا أناة ولا مراجعة للأدب العربي ، وكان العنـوان (**أمثـال إنجليـزية**) وقد بدا لنا بعد التحقيق والمقارنة أنها ترجع إلى المنطق العربي الحكيم ـ لا إلى الأدب الإنجليزي كما زعم (الهلال) أوكما زعمت مجلته!

ومرادنا الآن تحقيق ذلك على ضوء ما درسناه في كتب **الأمثال العربية** ، **على أننا قبل البـدء في التحقيق نرجـو القـارىء الكريم ، أن ينظر إلى ما وراء المعاني في الأمثال العربية ـ معنى ذلـك ألا يأخـذهـا بمفـاهيمهـا الظـاهـرة القـريبة لكي يستشعر الصلة الحميمة ، والتشـابـه الكـامـل ، بين أمثـال العـرب وأمثال الإنجليز ، ولكي يدرك أن الأخيرة الذكر مقتبسة من السابقة الاشارة في أصلها الأصيل ، ومغزاها المقصود .**

نضيف إلى **ذلـك** إلى أن ما نعتـزم إيـراده **من الأمثـال العربية** ، تبياناً لرجوع الأمثال الإنجليـزيـة إليهـا في مغـزاهـا المـراد ، لم يكن إلا نزراً يسـيراً ، من بحر فيَّاض ، من أمثال العرب الحكماء ، فعلى من يرغب الاستزاده من الإيمان بما نقول من رجوع تلك إلى هذه ـ أن يطلع على أمثـال العـرب في معـاجمهـا أشبـاه (**نهاية الأرب**) و (**العقدالفريد**) و (**فرائد الأدب**) و (**أمثال المتنبي**) و (**تاريخ الأدب العربي**) و (**الوسيط**) الخ الخ .

ونحن إذ نثبت ذلك هنا ، ونحقق تشابه أمثال الإنجليز بأمثال العرب ، ونؤكد اقتباس تلك من هذه ، ورجـوعهـا إليها في موضوعها الأساسي يشجِّعنا في هذه التحقيقات الأدبية **عرفـاننـا الكـامل بأن أدب أوربا وفنها ، لم يكونا إلاَّ نتيجة الأستاذية العربية المتفضلة** ، ومن هنـا لا يصـح لأديب ما أن يشـك في صدق ما نحقق ، خصـوصاً البراهن الكافية ، لإدانة الأمثال الإنجليزية بالأقتباس من أمثال العرب البلغاء .

على أن طريقتنا في ما أبرم (هلال) ابريل المذكور، هي أن نرد مثلاً ، من الأمثال التي سمَّاها إنجليزية ، بنشره إياها تحت ذلك العنوان الكذوب ثم نتبِع كل مثل من تلك بأصله الـذي هو المثـل العـربي الخالد ، ومن ثم يتجلَّى للقارىء ـ تجلِّي النهار ـ سلامة ما نحقق ، وصدق ما نقول :

زعم (الهلال) أن هذه الأمثال إنجليزية :

١ - **الشمعة تضيء للغير وتحرق نفسها!**

وفي أشعار العرب هذا المثل:

وفتيلة المصباح تحرق نفسها وتضيء للساري وأنت كذاكا

٢ - **العصا المعوجة ظلها أعوج!**

وأصله العربي: **(متى يستقيم الظل والعود أعوج!).**

٣ - **كلب حي خير من أسدٍ ميت!**

ومرجعه العربي: **(كلب عَسٍ خير من أسد ربض)**[1]

وقريب منه **(بيضة اليوم خير من دجاجة الغد)** وشبيه بهما **(إن الغنيمة في العاجل)** وكلها جميعاً تضرب للرضا بالموجود والاستعاضة به عن العزيز المفقود.

٤ - **الجسم المشوَّه قد حوى نفساً جميلة!**

وفي الأمثال العربية:

ترى الرجل النحيل فتزدريه وفي أثوابه أسد هصور!

٥ - **الرجل يُعْرف بصديقه!**

وفي الحديث النبوي **«المؤمن مرآه أخيه»** وفي المثل العربي **(جليس المرء مثله).**

٦ - **ساعة ألَمٍ تعادل يومَ مسرَّة!**

ولأبي العلاء من قصيدة مشهورة:

إن حزناً في ساعة الموت أضعا ف سرورٍ في ساعة الميلاد.

٧ - **الفرصة الضائعة لا يمكن تعويضها!**

وأصله العربي: **(الصيفَ ضيعتِ اللَّبَن).**

٨ - **لا تكن خبَّازاً إذا كان رأسك من زَبَد!**

وفي الأمثال العربية: **(لا تقعن في البحر إلّا سابحاً)**

ومثله **(لا ترم سهماً يعسر عليك رده)** وشبيه بهما: **(أعطِ القوسَ باريها)**

٩ - **الضرير لن يشكرك على إهدائه مرآه!**

وفي الأمثال العربية: **(كدمت في غير مكدم)** و **(كالراقم على الماء).**

(١) عسّ: أي راقب وحرس.. أي كلب الحراسة الذي يحرس مزرعة سيده أو بيته خير من الأسد الرابض الذي لا يتحرك!

١٠ - الباب المفتوح قد يغري القديس!

وتقول العرب في هذا المعنى : (**من استنبح أكله الذئب**) ومثله : (**من جعل نفسه عظماً أكلته الكلاب**).

ونـريـد أن نختم هذا التعليق أو التحقيق عن الأمثـال الإنجليـزيـة والأمثـال العربية بسؤال موجـــه إلى مجلة (الهـــلال) والقـائمـين على تحريـرهـا : لماذا الاعتـزاز والاعتـداد والاستشهاد بالأمثال الإنجليزية ولدينا في لغتنا العربية مثلها وأبلغ منها؟

هل رأيتم أو قرأتم مجلة أو صحيفة إنجليزية تستشهد بمثل عربي . . وتدع ثقافتها وحضارتها، راضية أو قانعة أو معتزة فخورة بأمثالكم العربية وبثقافتكم وحضارتكم؟

واقع أحوالنا في مرآة أمثالنا

هذا حديث ندخل بالقراء فيه إلى **مدرسة الأمثال العربية** . . حيث ندرس فيها ما يوحى به المثل من أدب وتأديب، دون أن نتعرض لتأريخ المثل وقائله والمقول فيه، فهذه مباحث تهم المؤرخ وطالب التأريخ.

أما مبحثنا هنا - في مقام الإصلاح - فإنه مقصور على إستنباط العظة من المثل والتعليق بها على أحوالنا العامة، رجاء أن يتذكَّر غافل، ويتحلَّى عاطل:

إنك لا تجني من الشوك العنب:

بهذا المثل العربي نستطيع أن نهدم المثل الأوربي (**الغاية تبرر الوسيلة**) فالغايات الشريفة لا تتحقق إلا بالوسائل الشريفة . . كالخير لا يمكن أن يأتي من الشر، وكالعنب لا يمكن أن تجنيه من الشوك.

على أن لهذا المثل العربي منطقين: منطق أدبي، ومنطق تأديبيّ، فالذي نستوحيه فيه من منطق الأدب هو أن نتيقَّن استحالةَ وجدان الأصل الطيب - مثلاً - عند خضراء **الدِمَن** (أي المرأة الحسناء تنبت في منبت السوء)[1] . . كاستحالة جني العنب من الشوك، وخيبة البحث في الماء عن جذورة نار.

وأما ما نستوحيه فيه من منطق التربية والتأديب، فهو الحث - بهذا الأسلوب الخبريّ لفظاً الإنشائيّ معنيً - على استخدام الوسائل الشريفة إلى الغايات الشريفة.

ونحن اليوم - وأعني العرب والمسلمين عامة - في مجال السياسة نتولىَّ الأعداء نظن بهم خيراً، وبعهدهم وفاءً، وليس عندهم خيرٌ ولا وفاء . .

وفي مجال الإقتصاد والتجارة نتطلب الربح السريع الوسيع من أقرب سبيل . . سبيل الغش، وسبيل الاحتكار، والتغالي بالأسعار!!

وفي مجال العلوم والآداب والفنون نقنع بالقشور والظواهر . . نقرأها كثيراً، ونكتب

---

(١) هذا حديث نبوي: (إياكم وخضراء الدمن - قالوا: وما خضراء الدمن يارسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء) رواه العسكري في الأمثال . .

عنها كثيراً . . وفي غير ذلك من مجالات!!

فكيف نجني من أشواكنا عِنَباً؟!

علِّق سوطَك حيث يراه أهلك

ليست النفوس البشرية كلها متساوية في الإذعان لسلطان واحد من سلطاني القسوْة واللين . . ويخطىء القائلون باستخدام أحد السلطانينْ في سياسة النفوس جميعها، معتلينً بأن العصر عصر العلم (**علم النفس**) وأن علم النفس هذا يقتضي بأن تؤخذ النفوس باللين دائماً، وأن نضرب (بسياسة العصا) عرض الحائط.

وقد نسى هؤلاء ـ أوجهلوا ـ أن علم **النفس** لم يكن ولن يكون سلاحاً ذا حد واحد، فهو سلاح ذو حدَّيْن، ومنهج ذو وجهتين . . وهو دراسة وبحث وخبرة ثم سياسة حكيمة، وعلاج سريع ـ وليست هذه السياسة الحكيمة والعلاج السريع لِيناً دائماً، ولا هما قسوةً دائماً، ولكنهما بحسب نتيجة البحث والدراسة والخبرة فإن استلزمت هذه ليناً فَلِين، وان اقتضت قسوةً فقسوة.

وهذا المثل (**علق سوطك حيث يراه أهلك**) ينصح بالتأديب الدائم، بالإشارة لمن تكفيه الإشارة، وبالعبارة لمن تزجره العبارة، وبالعصا لمن تؤدِّبه العصا.

وليس معنى (علِّق سوطَك حيث يراه **أهلك**) أن الأب أو الزوج أو الأخ الأكبر أو المعلِّم أو الرئيس يجب أن يعلِّق سوطه في حائط أو نافذة أو باب بحيث يراه الأولاد والزوجة والطلبة والمرؤسون . . ولكن المقصود منه أن تكون معروفاً عند أهلك بالشدة حين تلزم الشدة، وحينئذ لا يقع في أسبابها أحد من أولادك أو زوجتك أو طلبتك أو مرؤسيك، خوفاً من شدتك التي يؤمنون بها ويفرون منها.

أجل يجب أن نعلِّق أسواطنا حيث يراها ويخشاها أهلونا وكل من فُوِّض إلينا أمر عمله أو أمرُ تعليمه أو تربيته، وقد كفى وزاد على الكفاية ما أثمره لين آبائنا وأساتذتنا ورؤسائنا وإغضاؤهم على القَذَى، وإمضاؤهم على الأذى . . من ميوعة اختل بها نظام الأعمال، وانحلَّ فيها رباط الأخلاق.

الصيفَ ضَيعتِ اللبن

كثيرٌ من إخواننا طلبة المدارس الإبتدائية والثانوية يضيِّعون اللَّبن في الصيف،

ويطلبونه في غير وقته . . وكذلك أدعياء الإصلاح في بلادنا والعاملون له .

فإنك لترى الطالب طوال العام الدراسي لاهياً لاغياً، حتى إذا أزفت ساعة الإمتحان هاله طول المقرر وعرضه، وضيق الفرصة وخطرها، وذهب يُتبع ليله بنهاره يذاكر ما نسي ويستنسخ ما أهمل، ويسأل عما فات . . وقد يضيق ذرعاً بكل ذلك، فيظل حتى نهاية الإمتحان مبلبل الفكر، لا يدري خاتمة عامه الطويل كيف تأتي؟ وهل يكرم في الإمتحان أم يهان؟!

وقد يستكبر الموقف استكباراً يسلمه إلى نبذ كتبه ودفاتره مكاناً قصياً، والتماس عمل غير الدراسة وغير الإمتحان . .

هذا في دنيا طلبة العلم . . أما دنيا طلبة الحياة . . الحياة بشتى مَرَافِقِهاَ عمرانيةً واقتصاديةً وغيرها فإنك لترى الواعدين بالإصلاح والعاملين له . . يعدون بالعمل في الصيف ـ وواجبهم أن يعملوه فيه، ولكنهم يعملونه في الشتاء، فلا ينفع أحياناً، ويضرُّ أحياناً أخرى . . .

تأكل التَمْرَ وأرجَم بالنوى

لا أمقت خُلُقاً مقتي لهؤلاء الذين يأكلون التمر، ويرجمون غيرهم بالنوى، وهم في هذا العصر المادي كثيرون، كثرة الرمل والحَصَى والتراب، وأعد منهم ـ حين أتأمَّل موت الروحية والضميرية فيهم ـ طائفة من أولي الرئاسة . . تستهلك أقدام مرؤسيها وأفكارهم في الخدمات الخاصة والزيارات اليومية للبيوت العامرة! وتفويض أكثر الأعمال وأهمها وأشقّها إليهم . . أما السمعة الرسمية، والصيت الشخصي، وثمرتها المادية فليس في أيدي هؤلاء المساكين شيء منها . .

وممن يُرْجَمون بالنوى، وهم ينظرون إلى آكل التمر نظراً أسيفاً: هؤلاء الذين لا ينتفعون بموسم الحج لأنهم ليسوا مطوفين، ولا تجاراً ولا يملكون عقاراً يستقبلون فيه الحجاج بأجور باهظة . . . ومع هذا يتضرَّرون به لأن الغلاء في الضروريات ـ بله الكماليات ـ الذي يصحب موسم الحج يمسهُّم بيدٍ وقَدَم .

الثقافة العربية حاجتها إلى الأصالة

قرأت - فيما مضى من سنوات - **للدكتور جميل صليبا** بحثاً قيماً، عن **الثقافة العربية الحديثة**، حيث حدث عن تسرب الثقافة الغربية منذ بداية **القرن التاسع عشر**، ثم عرض لتأثُّر العرب بالحضارة الغربية المادية أكثر من تأثُّرهم بثقافة الغرب، فنشأ نتيجة لذلك اختلال في التوازن بين قواهم الفاعلة وقواهم المنفعلة وزاد في هذا الاضطراب **اختلافُ** الثقافات الغربية المنقولة إلى البلاد العربية - من إنجليزية وفرنسية وأمريكية الخ.

والذي يهمني في بحث **الدكتور صليبا** أنه يقرِّر بصراحةٍ يُحْمَدُ عليها أن الثقافة العربية تفتقد الأصالة أي أنها مذبذبة ليست عربية ولا غربية.

ثم دعا إلى تكوين صورة للثقافة العربية صورة أصيلة تنبع من صميم حياتنا الحاضرة، وتتحرَّر من التقليد، وأن نتخذ الاستمداد من الماضي، والاقتباس من الغرب وسيلةً لتجديد الحَاضِر، وتفجير طاقات الابتكار الكامنة فيه.

وأنا - على اختلافي مع **الدكتور صليبا** في بعض تفاصيل بحثه ودعوته - اتفق معه في **الوسائل التالية التي اقترحها سبيلاً لتكوين ثقافة عربية أصيلة**:

١ - أن ننظر إلى ثقافتنا القديمة وثقافة الغرب بمنظار حاجتنا الحاضرة، فلا نستمد من القديم إلا ماهو صالح، ولا نقتبس من الغرب إلَّا ما يلائم منازعنا الخاصة.

٢ - أن نعمل على إحياء تراثنا الثقافي المدفون في المخطوطات القديمة لاستمداد أقوى عناصره.

٣ - أن ندرس واقعنا النفسي والاجتماعي دراسة عميقة للاطلاع على منازعنا وحاجاتنا، فإن جهلنا بأنفسنا يجعل تخطيطنا الثقافي مفعماً بالتخبط.

٤ - أن ندرِّس العلوم كلها باللغة العربية في مختلف مراحل التعليم، وأن **نشجع البحث** العلمي والنشاط الثقافي بمختلف الوسائل، وأن نتبع في التعليم **طُرُقاً فعَّالةً تنمِّي** شخصية **الفرد العربي**، وتفجِّر طاقاته الابتكارية.

٥ - أن تُفَصَّل مناهجنا التربوية على أبعاد طفلنا وحاجات (مجتمعنا) وأن نُوفِّق بينها وبين مطالب الاقتصاد وقواه العاملة.

٦ - أن نصون حرية الفكر فإن الثقافة لا تكون أصيلةً إلَّا إذا كانت طليقة.

بهذه الـوسـائـل ـ ومعهـا غيرها ـ **يجب** في نظر **الدكتور صليبا** أن نأخذ في طبع ثقافتنا العربية بطابع الأصالة التي تعني الجودة والعراقة والابتكار.

وقد يبدو للقارىء العاجل أني أهملت ـ في تعليقي على فكرة **الدكتور صليبا** ـ العامل الأقـوى والأغنى في تأصيـل الثقـافة العربية وهو **الأسلام** – وهذا غير صحيح فإن الوسائل التي اقـترحهـا **الـدكتـور صليبـا** لتحقيق الأصالة لثقافتنا العربية تعود بها حتماً إلى الأصل الأصيل وهو الإسلام.

فليس للعـرب ثقـافـة قديمـة، ولا تراث ثقـافي مدفون في المخطوطات، وهما اللذان طالب الـدكتـور بالنظـر فيهما وإحيائهما إلا في الإسلام، وتدريس العلوم باللغة العربية من الإسلام، فهي لسانه وهو روحها النافذ، وعقلها الرشيد وحرية الفكر ـ كذلك ـ من صميم الإسلام.

فلتكن أصالة عربيةً ـ في البداية ـ فسوف تنتهي إلى الإسلام سنادها الأكبر، **وعمادها** الأظهر وزنادها الوضّاء[1]

---

(١) نشرتها الشرق الأوسط يوم ١٨/٧/١٤٠٦هـ.

الحرية الصحفية في لبنان

- ١ -

أجمل مافي **لبنان**، في رأيي صحافته . . وليس طبيعته، كما يظن الكثيرون أو القليلون - فالطبيعة اللبنانية الجميلة ليست فريدةً ولا وحيدة في شرقنا العربي، بل ولا في **الشرق الأوسط**، ولا **الشرق الأقصى**، ولكن قرب لبنان، وكثرة ترددانا عليه أكثر من غيره من بلدان المشرق العربي والمغرب العربي - جعلانا نحب لبنان من أجل طبيعته الخَضِرة النَضِرة.

أما أنا فأقول: إن أجمل مافي لبنان صحافته . . ذلك أني عشت فيه **شهرين كاملين** أطالع صحافةً فريدةً وحيدةً في شرقنا العربي : اتجاهات مختلفة، وأساليب متنوعَة، ومبادىء متعددة، وصراحة تشفي الصدور، ونقد مؤدَّب مهذَّب يبلغ قمة الهرم الحكومي، أعني الرئاسة الأولى بعد مروره بالرئاسة الثانية والرئاسة الثالثة . . من غير مجاملة ولا مداراة ولا انتهاج لسياسة النعامة . . من أجل المصطافين والزوار الأجانب من عرب وغير عرب.

ولست أزعم أن الصحافة اللبنانية بريئة من بعض الميول الخارجية أو الداخلية، فهذا مستحيل، وفوق طاقة أي صحافة في العالم، وهو مع ذلك من مزايا الصحافة اللبنانية، حيث يعيش القارىء العربي في جوها الحر الطليق عارفاً الخير والشر، مميزاً الحق من الباطل، مختاراً لنفسه الطيب من الخبيث.

أكتب هذه الكلمة تقريراً لواقع، وإعجاباً بوضع صحافي عربي خاص . . وأتمنى أن لو كان لكل صحيفة في بلدي مبدؤها، واتجاهها، وأسلوبها ومظهرها وكُتَّابها، حتى يجد القارىء السعودي ألواناً شتى من التفكير والتعبير، وينفعل بها استماعاً واقتناعاً، أو معارضة ونقداً[1].

تكملة لرأيي في صحافة لبنان، الذي أسلفته، وأعجبت فيه بحرية الرأي الصحافي اللبناني، على اختلاف مبادئه واتجاهاته وأساليبه وقلت: إن النقد في الصحف اللبنانية يتناول في موضوعية وأدب الرئاسات الثلاث: الأولى والثانية والثالثة، مع بقية المرافق والمؤسسات الإجتماعية، والبلدية، والإقتصادية.

---

(١) نشرت في عكاظ ١٣/٧/١٣٨٥هـ.

تكملةً لما أسلفت أضيف : أن النقــد المهـذَّب ، المـوضـوعي ، المبرأ من الأغـراض والأمراض ، والذي يهدف أو يستهدف المصلحة العامة ـ لا ضير فيه على الساسة والحُكّام العقلاء بل فيه الخير كل الخير ، ففيه ، أي النقد ، تنبيهٌ إلى الأخطاء والإنحرافات التي لا يسلم منها مجتمع ، ولا تبرأ منها دولة ، وفيه توجيه إلى الصوالح من الأفكار والأعمال التي لا ينهض بدونها مقام شعب ، ولا يستقيم من غيرها أمر دولة . .

ونحن في عالمنا العربي الإسلامي أحق من يؤمن بهذا المبدأ الراشد ، وأجدر من يحققه بالعمـل الصـالـح والسلوك القويم ، فديننا يأمرنا بالتناصح فيما بيننا ، وفيما بين الرعية ـ **قال** ﷺ : **(الدين النصيحة . قالوا : لمن يارسول الله؟ قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)** .

وفي حادثة الصحابي الذي واجه **عمر بن الخطاب** ، وهو من هو عدلاً وحزماً ويقظة في حكمـه للمسلمـين يومـذاك ـ بقوله : **اتق الله ياعمر!** مثل رائع من أمثلة الحكم الإسلامي الـذي يفـرض النقـد ويفـرض قبـوله ، فقد قام صحابي آخر يزجر الأول ، فرد عليه عمر: **(دعه . . فلا خير فيكم إن لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم)**[1]

– ٢ –

بعض رؤ سـاء تحريـر الصحف والمجلات تضيق صدورهم بالنقد الذي يوجهه القراء إلى ما ينشـرونـه من مقـالات أو آراء لهم هم أنفسهم ، أو لغـيرهم من الكُتّاب الآخرين ـ لذلـك يطـوون هذه النقـدات ، أو يلقونها في سلال المهملات . بل أقول : (معظمهم) ولا أعني رؤ سـاء تحريـر صحفنـا ومجـلاتهم وحـدهم ، بل معهم إخوانهم وزملاؤ هم في البلاد العربية الأخرى .

لذلـك أُعجب كثـيراً وأسّـر أيضـاً . . للطريقة التي تنتهجها **مجلة (الأسبوع العربي) اللبنـانيـة** ، في نشر الرسائل الناقدة ، التي تصلها من قرائها ، حاملة اللوم الشديد ، وأحياناً التقـريـع اللاذع . . لِنشرها أحياناً (صورة) على غلافها لا تليق بمستوى المجلة الفكري والثقافي ، أو تحقيقاً صحفياً لا يرقى موضوعه إلى مقام رسالتها الأدبية ، أو رأياً سخيفاً تافهاً لا يهم القراء ولا يثير فهمهم إحساساً بأي شيء .

---

(١) نشرت في عكاظ ١٤/٧/١٣٨٥هـ

تنشر مجلة (**الأسبوع العربي**) هذه النقدات الصريحة الجريئة لقرائها من مختلف البلاد العربية على الصفحات الأولى منها تحت عنوان: (**رسالة إلى المحرر**) وتعلق مراراً - في مقالات رئيس تحريرها - إعتزازها بآراء القراء الناقدة والحامدة على سواء لأن - المجلة - منهم ولهم، وهم أصحاب الحق في أن يقولون كلمتهم فيما تنشره، لأنها إنما تنشره ليقرأوه لا ليهملوه.

وبهذه المناسبة أود أن ألاحظ على صحفنا اليومية: نشرها للصفحة الرياضية يومياً في حين أن المعتاد والمقول: أن تكون أسبوعيةً كغيرها من الصفحات الدينية والأدبية والنسائية مثلاً[1].

وملاحظة أخرى: وهي إكثارها من نشر الأخبار والمقالات السياسية في معظم صفحاتها، **وهي بين قديمة قد احتوتها كتب المذكرات، وحديثة قد ردَّدتها الإذاعات**، في حين يشكو القراء كثرة صفحات العدد الواحد وما تحتويه من مقالات منقولة إلى حد التخمة - ويودون لو أن المؤسسات خفَّضت عدد الصفحات إلى ستٍ وملأتها بالثمين والجديد والمهم، ووفَّرت في نفس الوقت بعض النفقات من قيمة الورق وأجرة الطبع، لتختفي شكواها من كثرة المصاريف وثقل التكاليف[2].

(١) الآن تنشر الصحف أربع صفحات رياضية يومياً، وصفحتين عن الفن والغناء والتمثيل ولا يحظى الأدب والأدباء، والعلم والعلماء بصفحة أسبوعية إلا قليلاً أو نادراً

(٢) نشرت في عكاظ في ٦/٤/١٣٨٦هـ

أدباء الشيوخ وأدباء الشباب

يتحدث شيوخ الأدب عندنا، هذه الأيام، بمناسبة المواسم الثقافية التي تقام الآن في بعض المناطق التعليمية بالمملكة ـ عن نشاطاتهم الفكرية وتنظيماتهم الإجتماعية عندما كانوا شباباً . . ينتهلون في شغف بالغ من موارد العلم والثقافة ويدأبون في اجتهاد واحتشاد من أجل تلمّس وسائل التثقيف وسبل التأدّب . . من كل باب، وفي كل طريق، على الرغم من ضعف الإمكانيات يومذاك، وصعوبة المواصلات، وقلة ما يصل إليهم من كتب وصحف ومجلات.

لقد كانت لهم ندوات فكرية محدودة، كل مجموعة منهم تقيم ندوتها في دار أحدهم بالتداول أو التناوب، ويدور الجدل خلالها حول فكرة أدبية، أو رأي اجتماعي، أو موضوع ثقافي، أو كتاب أصدره كاتب كبير شهير **كالعقاد أو الرافعي**، أو ديوان شعر **للزهاوي أو الرصافي** ـ مثلاً . .

وكانت تلقى في هذه الندوات الصغيرة بعض الخطب أو الأحاديث في موضوع معين، على غرار المحاضرات التي تلقى في المواسم الثقافية العامة، هذه الأيام.

إن المتأمل في تأريخ شيوخ الأدب عندنا، العارف بمدى ما بذلوا من جهود شخصية في شبابهم، من أجل الحصول على ثقافة مكينة والتمتع بفكر نيرٍ، كما هو ملحوظ فيهم ليأسف على أدباء الشباب الذين يُذهِبون شبابَهم، ويُضيعون أوقاتَهم الثمينة في قراءة الكتب والصحف والمجلات ذات الموضوعات الخفيفة مادةً، الضعيفة أسلوباً . . التي لا تقوِّم لهم تفكيراً، ولا تُصلح تعبيراً، مع أن الفرص والوسائل والإمكانيات الثقافية الحديثة التي أُتيحت اليوم لهم، دون أدباء الشيوخ قبلهم جديرة بجعلهم أفصح لساناً، وأروع بياناً، وأسمى مكاناً[1].

★ ★ ★

وأعود للحديث عن الأدباء الشيوخ وأدباء الشباب، فأقول ـ تكملةً لما أسلفت ـ إن هؤلاء، أي شباب الأدب، يتكاسلون أو يتعاجزون عن عقد الندوات الأدبية، وإقامة المواسم الثقافية التي من شأنها ترويض الفكر، وتدريب الملكة، وتهذيب المنطق، وتمرين اللسان على الصحيح الفصيح من الكلام، وتبادل المعارف والتجارب الفكرية والعملية،

---

(١) نشرت يوم ١٣٨٥/٨/٩ هـ في جريدة (عكاظ).

وإجراء الجدل والنقد حولها . . حتى يتبين الحق، ويتحقق الجمال.

وإنما قلت: يتكاسلون ويتعاجزون لأنهم قادرون على التمام! ولكنهم لا يفعلون.

ومن هنا أستبيح لنفسي أن أسأل سؤالاً، ثم أقترح رأياً، . . أما السؤال: فهو من **سيخلف أدباءنا الشيوخ أمثال الغزاوي ـ وشحاته ـ والقنديل ـ والعواد ـ والجاسر ـ والأنصاري ـ والسباعي ـ وحافظ ـ والزيدان ـ والآشي وأمثالهم ممن لم أذكرهم سهواً ـ بعد عمر طويل حفيل بصوالح الأعمال؟**

وأما الإقتراح: فهو أن يسارع الأدباء إلى إنشاء رابطة أدبية تجمعهم وشيوخ الأدب، وتعمل من أجل تنظيم الاجتماعات والندوات الفكرية . . التي من شأنها أن تظهر لأدبنا كياناً بارزاً، وترسم لثقافتنا شخصية مميزة، وتنشر في الآفاق العربية، على الأقل لأدبائنا من كُتَّاب وشعراء ومؤرخين وقصصيينّ ونُقاد . . سمعةً وذكراً، حتى يكون لأدبنا شأنه ووزنه؟

فهل لهذه الدعوة المخلصة إلى إنشاء رابطة للأدباء ـ من استجابة مؤمنة واهتمام صدوق[1]

---

(١) نشرت في الجريدة نفسها يوم ١٣٨٥/٨/١١ هـ ونضيف: أن من سعادة الجيل التالي من الشباب أن أنشأت له الرئاسة العامة لرعاية الشباب أندية أدبية في أكثر مدن المملكة، ومع ذلك . . فإنه عازف عن أرتيادها، زاهد في ثمارها الثقافية والفكرية!

حاجتنا إلى مجلات متخصصة

- ١ -

تذكرت (**المجلة الطبية**) التي كانت تصدرها **مندوبية وزارة الصحة في** مكة المكرمة منذ بضع سنين، فسألت عنها، فقيل لي: إنها توقَّفت عن الصدور منذ أمد بعيد.

أما سبب توقفها أو توقيفها، فهو أمر رسمي صدر بوقف إصدار جميع المجلات التي تصدرها جهات رسمية.

والباعث لِذِكْري المجلة الطبية، مقال قرأته في مجلة (**العربي**) **الكويتية** .. عن اقتراحٍ لها قديمٍ كرَّرتْه حديثاً، تدعو فيه إلى عقد امتحانات للأطباء، ليستوثقوا من أن الزمان لم يفتهم، وأنهم يقرأون ويتابعون ويتصلون بمراكز الطب في بلادهم وفي غير بلادهم .. زيارةً أو مراسلةً، في كل ما غمض أو جدَّ أو أشكل من أمور الطب وأحوال المرضى.

وعلى وجاهة ما اقترحته (**العربي**) وما عللَّت اقتراحَها به من علل - لا نريد أن نذهب معها بعيداً إلى عقد امتحانات للأطباء .. ولكن نكتفي بما هو أخف وقعاً وأقرب رضا لدى الأطباء، وهو - في نفس الوقت - يضمن **تحقيق ما دعت إليه (العربي) وما أرادته** - نكتفي بأمرين:

● **الأول**: أن يعاد إصدار المجلة الطبية على مستوى أكبر وأوسع بحيث يشترك في تحريرها كبار الأطباء العالميين، وتترجم فيها إلى العربية الأبحاث الطبية الأجنبية، وتنقل إليها الأخبار والأحداث العالمية في دنيا المرضى والأطباء.

● **الثاني**: أن تنشأ (**جمعية طبية سعودية**) يشترك فيها جميع الأطباء وتكون مهمتها: عَقْدُ الإجتماعات الدورية - مرتين أو ثلاثاً في السنة - وإلقاء المحاضرات، وتَبَادلُ المعلومات الحديثة، وعَرْضُ المشكلات والتجارب، ودعوة أطباء من خارج المملكة للأستماع إلى آرائهم وتجاربهم وأبحاثهم الطبية. ولا شك أن موسم الحج فرصة ذهبية للألتقاء بهؤلاء الأطباء. وبالنسبة لغير المسلمين منهم تتسع الشهور الأخرى.

أقول قولي هذا .. وأرجو لأطبائنا كل توفيق ونجاح[1]

---

(١) نشرت في عكاظ يوم ١٢/١/١٣٨٧ هـ تحت عنوان (وجهة نظر).

أهمية (التأريخ) صوَّرها الشاعر القديم في هذين البيتين:

من لم يع التأريخ في صدره ... لم يدر حُلْوَ العيش من مُرِّه
ومن وعى أخبار من قد مضَى ... أضاف أعماراً إلى عمره

ومن الخطى الموفقة التي تخطوها **كلية الشريعة بمكة المكرمة** وهي أول كلية في تاريخ التعليم العالي في بلادنا حيث أنشئت عام **١٣٦٩هـ** - أن تصدر باسم **(صوت التأريخ)** بإشراف **الدكتور علي عبدالرحمن أبا حسين رئيس قسم التأريخ بالكلية** . . نشرة شهرية تضم أخباراً وأبحاثاً ودراسات هامة بالنسبة لطلاب الكلية، وللشباب المثقف خارجها أيضاً.

ولقد وددت - بعد قراءتها - أن لو صدرت في ثوب (مجلة) كالمجلة التي أصدرتها كلية التربية في مكة، وما أظن **وزارة المعارف** ضنينةً على كلية الشريعة بمثل ما سخت به على كلية التربية من تشجيع أدبيٍ وعون ماديٍ لإصدار مجلتها في ثوب لائق وإخراج جميل.

على أن اشتراكات الطلاب والمدارس في الكلية وحدهم كافية لطبع نسخٍ محدودة بالشكل المقترح والتنسيق المطلوب، لأن المظهر مهمٌّ في الإقبال على اقتناء هذه المجلة، والانتفاع ببحوثها، وتقدير جهود القائمين على نشرها.

إن حاجتنا اليوم إلى مزيدٍ من الثقافة الحرة - خارج نطاق المقررات الدراسية والمواد المنهجية - شديدة وسدّ هذه (الحاجة) الثقافية ضروري ولازم.

ولذلك دعوت - من قبل وفي هذه الزاوية من عكاظ - إلى إعادة إصدار المجلة الطبية التي كانت تصدرها **مندوبية الصحة في - مكة المكرمة** ثم احتجبت!

ما أحوجنا إلى هذا اللون من **المجلات (الاختصاصية)** من تأريخية، وتربوية، وطبية . . إلى جانب - **المجلات الإقتصادية** التي تصدرها الغرف التجارية في مكة والرياض وجدة وغيرها من مدن المملكة - وشكراً للذين يملأون (الفراغات) الفكرية في بلادنا[1]

(١) نشرت في (عكاظ) يوم ١٣٨٧/٢/٢١ هـ تحت عنوان (وجهة نظر).

مسئولية الأدب النسائي !

مما يلاحظ على **الأدب النسائي** ـ أي ما تكتبه أقلام نسائية وتَوحيهِ أفكارٌ وخواطر نسائية أنه يركِّز على المطالبة بحقوق للمرأة ضائعة، ومساواةٍ لها بالرجل مفقودة، والشكوى من مظالم يوقعها الرجال بالنساء ـ ومعظم ذلك أوهام وأحلام، ودعاوي وأباطيل . .

كما أن فريقاً من الأدباء الرجال، ممن أطلقنا عليهم إسم **(النسائيِّين)** يتجهون الاتجاه نفسه، ويخوضون في الموضوعات ذاتها، ويزعمون أن طاقات النساء معطلة، ولابدَّ من إستغلالها والاستفادة منها بإخراجهن من البيت إلى الشارع، ومن حمى الزوجية وعرش الأمومة إلى مكاتب العمل رفيقاتٍ للرجال في كل وظيفة، وبأي مجال!

مع أن هناك موضوعاتٍ أهم . . وهي أحق بأن تتناولها أقلام النساء، وأن يتجه إليها الأدب النسائي، وأدب الرجال النسائيين أيضاً إذا كانوا حقاً يَرْعَوْن للمرأة كرامةً، وينشدون لها حقاً، ويلتمسون لها فضلاً.

● وفي مقدمة هذه الموضوعات التي يجب أن تهتم بها الصحافة النسائية، أو الأدب النسائي : المتاجرة بجسد المرأة وجمالها عبر أجهزة الإعلام، وفي مجالات الإعلان أيضاً . .

إن أجهزة الإعلام العربي، ومعارض الإعلان معاً لا تكفُّ في نهار أوليل عبر أحاديثها وصورها المنشورة والمسموعة والمنظورة ـ عن تقديم (المرأة) كمخلوق محكوم بالأهواء والعواطف والشهوات . . لا همَّ لها ولا حرص منها، ولا استعداد عندها إلاَّ إثارة الفتنة في قلوب الرجال، واجتذاب شهواتهم نحوها.

● إن أجهزة الإعلام التجاري يستغلون جسد المرأة وجمالها في كل ما يعرضونه من سلعٍ طعاماً كانت أم شراباً أم لباساً أم سيارةً أم منظِّف غسيل، أم مبيد حشرات، أم مرطب بشرة، أم دهان شعر . .

● والمجلات النسائية . . التي تزعم أنها الألسنة الناطقة بحقوق المرأة، والمحافظة على كرامتها كجنسٍ بشريٍ مساوٍ للرجل ـ هي أيضاً تركِّز على الجانب المادي الجسدي للمرأة

---

(١) هناك من ينكر أن للنساء أدباً وللرجال أدباً، ويزعمون أن الأدب واحد بأقلام الرجال وأقلام النساء، وهؤلاء يبتغون مجاملة النساء بما يزعمون . . والحقيقة أن أدب الرجال وحي أفكارهم وخواطرهم، وأدب النساء وحي أفكارهن وخواطرهن، ومثلها أقلامهم وأقلامهن. ولو تفكر هؤلاء (النسائيون) قليلاً وتدبروا الأدب النسائي جيداً لشموا العطور بين السطور!

. . فما أكثر ما تجد على صفحاتها من كلمات أو نصائح من مثل : (شعرك ياسيدتي ـ عيناك يا سيدتي ـ كيف تحافظين على بشرة وجهك ـ كيف تصلين إلى قلب فارس الأحلام ـ أناقتك قبل كل شيء) إلى جانب أختيار أجمل صور النساء، وأكثرها إثارة للفتنة ـ لوضعها على أغلفتها!

● والإنتاج السينمائي العربي أكثر استغلالاً لأنوثة المرأة، وأشد إثارة للرجال نحو جمالها، والافتتان بها . . فصورتُها ودَوْرُها خلال الأفلام العربية هدفها : لفت أنظار الرجال، وبعث شهواتهم، والتركيز على اصطيادهم.

ويحرص المخرجون السينمائيون ـ ومصورو المجلات النسائية مثلهم ـ على إبراز جمال العيون والنهود والنحور والشعُور والسُوق في النساء، ولا تجد على غلاف مجلة نسائية إلاَّ صورة إمرأة فاتنة بعينيْها أو جيدها أو شعرها أو صدرها، ولن تجد صورة إمرأة أديبة أو عالمة أو مفكِّرة، أو صورة أمٍ فاضلةٍ، أو زوجةٍ عاقلة!

ولا أريد أن أطيل في ضرب الأمثال، وتقديم الصور التي تثبت أن أجهزة الإعلام والإعلان العربية تجني على المرأة في مجتمعاتنا جنايةً كبرى، فالأمثلة والصور متعددة، وهي متجددة كل صباح وكل مساء.

ولكني أريد أن يتَّجه الأدب النسائي، والصحافة النسائية إلى التركيز على المطالبة بحماية المرأة العربية ـ والمسلمة بصفة عامةً ـ من هذا الإنهيار والإنحدار الخطيريْن الكبيريْن، وأن يكون هناك استنكار عملي من الجمعيات النسائية لأعمال أجهزة الإعلام والإعلان . التي تحطُّ من مكانة المرأة كإنسانةٍ وكزوجةٍ وكأمٍ . . بل كشقيق للرجل في إنسانيته وكرامته، ورفيقٍ له في دَرْبه وَسْربه طوال الحياة.

مي .. والأدب النسائي

قرأت ـ قريباً ـ للصديق والزميل المدرسي القديم **الأستاذ عبدالعزيز الربيع** ـ رأياً عن الأدب النسوي في بلادنا . . خلاصته ـ إن لم تخنّي الذاكرة ـ أنه لا يعترف لنا (بأدب رجالي) أصيل، فكيف يكون لنا أدب نسائي نتساءل عن وجوده، ونبحث في ضعفه وقوته؟

وكان رأي الأستاذ الربيع جواباً على سؤال مندوبٍ صحفي.

وقبل ذلك، وبعد فراغي من القاء محاضرتي **(رفقاً بالقوارير)** في نادي الوحدة بمكة

المكرمة ليلة ٦/٩/ ١٣٨٤هـ سألني أحد المستمعين عن أدبنا النسائي لكثرة ما يقرأ في صحفنا ومجلاتنا من زوايا وأركان خاصة (بحواء) أو (النصف الحلو) أو (دنياهن) كما هي عناوين تلك الزوايا والأركان.

وكان جوابي إنكاراً لشيء اسمه (الأدب النسائي) **حتى في غير بلادنا، وقلت في** إيجاز: إن وراء فلانة وعلانة من الكاتبات العربيات الشهيرات زوجاً أو صديقاً ـ **ثم أحلت** السائل إلى **الدكتور محمد فوزي البشبيشي**، وقد كان حاضراً ليلتذاك .. فصاح الأستاذ البشبيشي .. (أنا معك ياأستاذ جمال) ..

وكبار أدبائنا ـ كما أعتقد ـ قد عرفوا من كتب **الرافعي و (حياة الرافعي)** التي أصدرها في كتاب خاص تلميذه **الأستاذ محمد سعيد العريان**، قد عرفوا الكثير عن (مي)، وأدب (مي) ..

وأتفق أن قرأت أخيراً في **مجلة (المعرفة) السورية ـ العدد ٣٦** - دراسة بقلم (إحداهن) **السيدة وداد سكاكيني** عند الندوات النسائية. قالت السيدة وداد ما نصه :

في دمشق أقامت **ماري عجمي** وهي من أتراب (مي) ولداتها مجلساً أدبياً في دارها، وكانت شاعرةً تمرَّست بالصحافة والتدريس، ولكن مجلسها لم يبق طويلاً، فقد أدركتها المحنة والكهولة فانفضَّ من حولها أقرب الناس إليها من الأصدقاء.

وبعد أن أطالت السيدة وداد الكلام عن ندوة (مي) وأصدقائها من كتَّاب مصر وشعرائها الذين كانوا يرتادون ندوتها ويطربون لحديثها، ويقولون فيها الأشعار ـ قالت : (وطالت أعوام الندوة التي ظهر تأثيرها في مؤلفات الأدباء الذين تَعلَّقوا بها وَهْماً .. حتى دهمتها المحن والأحزان فأغلقت ندوتها إلى غير رجعة .. وما كانت فجيعة (مي) بعد ندوتها إلّا بداية النهاية، فقد رجعت إلى نفسها الضائعة فوجدت الشباب قد ذوى، والصحاب قد غابوا).

إن هاتين الفقرتين اللتين نقلتهما من مقال **السيدة وداد السكاكيني** ـ وهي شاهدة منهن ـ جديرتان بالتأمل العميق .. فهي تتحدث في صراحة عن كُهُولة **ماري عجمي**، وانفضاض الأصدقاء من حولها، وعن الضياع في نفس (مي) وشبابها الذي ذوى وأصحابها الذين غابوا ـ تتحدث ـ كذلك ـ عن الأدباء (الذين تعلّقوا بحب ميّ وَهْماً).

ولنتذكر ما قيل من أشعار تَغزَّل بها أصحابها الذين كانوا من رواد ندوة مي في مي -

ومنهم **اسماعيل صبري** الذي يقول:

روحي علي بعض أهل الحي حائمة
كظامىء الطير حوَّاماً على الماء
إن لم امتِّع (بمّيٍ) ناظريَّ غداً
حرمت صبحك يايوم الثلاثاء

فهل كان ذلك الإزدحام على منهل (مي) من كبار الكتاب والشعراء للإنتهال من أدبها الرفيع، أم لتمتيع الناظرين بجمالها البديع؟

لو كانوا - حقاً - أصدقاء فكر وأدب، **ما انفضوا من حولها عندما اكتهلت وتركوها** تأسف على شبابها الذاوي ونفسها الضائعة - كما حدث لنديدتها **(ماري عجمي) في** دمشق على سواء[1]

(١) نشرت في (البلاد) في ٢٩/٢/١٣٨٥هـ

الشعر المرسل والشعر الحر

- ١ -

الشعر المرسل : هو الشعر الذي لا قافية له، ويقال إن أول ظهوره كان في **إيطاليا في** أوائل القرن السادس عشر الميلادي حينما كتبه **الشاعر الإيطالي (ترسينو)** سنة **١٥٥١م** ثم تبعه **روشلاي**، وهو الذي أطلق عليه اسم **(الشعر المرسل)** كما ظهر الشعر المرسل في **بريطانيا** في أواخر عهد **هنري الثامن** ، واستعمل هذا الشعر في **الدراما الإنجليزية** بعد ذلك.

أما **الشعر الحر**: فهو الشعر الذي لا يتقّيد بعدد التفعيلات في البيت الواحد . . فقد يتركب البيت من تفعيلة أو تفعيلتين أو ثلاث، وقد تصل تفعيلاته إلى ثمان أو عشر وذلك في القصيدة الواحدة.

وقد كتب **الأستاذ دريني خشبة - في مجلة (الرسالة)**[1] يثني على الشعر المرسل ثناء عاطراً، ويعلن عن حبه إياه حباً جمّاً، ثم دعا إلى أن تكون لنا دراما عربية كدرامات الشعراء العباقرة في أوروبا، ثم قال: يجب أن نقحم الشعر المرسل على الشعر العربي إقحاماً، كما يجب أن نلح على القراء في قبول هذا الشعر ومعرفته والرضا به، كما عرفه الأوروبيون، وتوقع أن يأتي يوم يستسمج فيه العرب تمسُّكهم بالقديم الرّثّ، ويقذفون بعيداً ما نسج لهم **المهلهل، وذو الرمة، وعلقمة الفحل!!**

وقد كنت أتمنى أن أرد على **الأستاذ دريني خشبه**، ولكني تخوفت ألا تنشر (الرسالة) ردي عليه لفارق السن والسمعة الأدبية بيننا - وأنتظرت أن يعقِّب عليه أحد الكتاب الكبار بما يشفي صدري.

فتحقق أملي . . وجاء التعقيب من الكاتب العملاق **الأستاذ عباس محمود العقاد في** المجلة نفسها - في العدد (**٥٤١** سنة **١٣٦٢هـ**) - وكان من رد العقاد على **دريني خشبة**:

● (إن انقطاع القافية بين بيت وبيت يحيد بالسمع عن طريقه الذي اضطرد عليه، ويلوي به ليّاً يقبضه ويؤذيه).

● (وإذا كان الأوربيون يسيغون إرسال القافية على إطلاقها . . **فليس من اللازم**

---

(١) العدد (٥٤٠) سنة ١٣٦٢هـ.

اللازب أن نجاريهم نحن في توسيع ذلك على كره الطبائع والأسماع).

● (إن الحقيقة الباقية أننا نحن الشرقيين نلتذُّ شعرهم المرسل، ولا نفتقد القافية فيه، ولكنا ننفر من إلغاء القافية عندنا ونداريه بالتوسط المقبول بين التقيد والإنطلاق).

والأستاذ العقاد أراد بالإنطلاق ـ هنا ـ: أن تنظم الملاحم فصولاً فصولاً بحيث تختلف بحورها وقوافيها كل فصل له بحره وقافيته بحيث ترتاح الآذان من ملالة التكرار.

ثم قال العقاد في ختام تعقيبه: (**ليس من اللازم اللازب أن نتعمد مجاراة الأوروبيين أو يتعمدوا مجاراتنا في كل إطلاق وتعقيد .. فلهم دينهم ولنا دين**)[1].

ـ ٢ ـ

استمع ـ في أحيان كثيرة ـ من راديو مكة المكرمة إلى قصيدة **(فلسطين)** التي نظمها **(علي محمود طه)** منذ بداية النكبة في عام ١٩٤٨م، وينشدها **(محمد عبد الوهاب)**، استمع إليها، ولا أكتم القراء أني أتأثَّر بها وأتحمس منها، وأنشط لها، ويثور الدم في عروقي .. حتى لأتمنَّى ساعتئذ أن أكون جندياً يحمل سلاحه، ويسير إلى ميدان القتال في فلسطين، يقاتل عدو الله وعدونا اليهود[2].

ولا عجب فقصيدة فلسطين، هذه تنطق بمعان مثيرة، تستفز الجبناء، وتستثير ـ البلداء ..

جاء في مطلعها:

أخي جاوز الظالمون المدى ... فحق الجِهاد، وحق الفِدا

أنتركهم يَغْصِبون العروبةَ ... مَجْدَ الأبَّوة والسؤددا

وليسوا بغير صليل السيوف ... يجيبون صوتاً لنا أو صَدى

ثم جاء في وسطها:

أخي أيها العربي الأبي ... أرى اليومَ موعدنا لا الغدا

---

(١) وجدت هذه الكلمة في أوراقي القديمة .. فعجبت لقدم الدعوة إلى الشعر الحر والشعر المرسل، وقلت: لو عاش الأستاذ دريني خشبة إلى اليوم لا قرأ الله عينه بما يرى ويسمع من ناقش الشعر المرسل والشعر الحر .. هراء ورطانة لا تفهم والفاظاً ترص رصا دون معنى أو مغزى.
ورحم الله الأستاذ العقاد لدفاعه عن الشخصية العربية الممتازة بشعرها المنطوق المنغوم.

(٢) نشرتها جريدة (البلاد السعودية) يوم ١/٣/١٣٧٧هـ تحت عنوان (كلمتي).

وجاء من أبياتها :

صبرنـــا على غدرهـــم قادريـــن	**وكـــنـــا لهم قَدَراً مُرصَدَا**
طلعـــنـــا عليـــهـــم طلوع المـــنـــون	**فكـــانـــوا هبـــاءً وكـــانـــوا سدى**

تأمَّل معي أيها القارىء البيت الأخير . . فإنه موضوع كلمتي اليوم .

لقد قال الشاعر هذه البيت منذ عام ١٩٤٨م عام نكبة فلسطين، ونحن اليوم في عام ١٩٥٧م . . **فهل طلعنا على عدونا قبل سنوات طلوع المنون؟** .

الجواب عندي: لا ـ وإنما تفاءل الشاعر وتنبَّأ، وابتغى أن تكون مناه حقاً وفأله فِعلاً، وأراد أن يستفز العزائم، ويستحث الهمم .

هذا ما أردت أن أسجله، وأنا استمع لقصيدة فلسطين ـ رحم الله ناظمها وغفر له ـ وقد تداعى الآن في ذهني موضوع آخر . . **موضوع الشعر المنثور**، الذي ابتلينا به في أيامنا الأخيرة، وامتحنا بأنصارٍ له منا وأشباع . . يزاولونه ويصرخون دفاعاً عنه . .

لن أقول شيئاً في هذا الموضوع . . أكثر من أن أدعو أنصار الشعر المنثور إلى قراءة شعر **علي محمود طه** . . وقصيدة فلسطين هذه بالذات، ليروا وليحسوا لماذا خلد هذا الشعر الأصيل، ولماذا ردده القراء والمستمعون، في طَرَبٍ له، وعَجَبٍ به؟

ترى لو كان شعراً منثوراً هل يقرؤه أحد، أم هل يستمع إليه أحد، هل يمكن إنشاده عبر الأثير، وهل يستطيع التأثير في النفوس ويأخذ بها إلى طرائق العمل والنضال؟ .

وليس شعر **علي محمود طه** وحده الذي أضرب به المثل للشعر الأصيل الخالد . فهناك شعر **شوقي**، وشعر **حافظ** وأمثالهما الذين خلدوا في أذهاننا، وفي أسماعنا ـ ومن ثم في أبصارنا كأننا نراهم اليوم رأي العين ـ بما نظموه من معان قيمة في ألفاظ محكمة . . هزوا بها المشاعر، ولا يزالون يهزون، وتحكَّموا في آمال الأمة العربية وآلامها بما ترجموا عنها وما تمنَّوْا لها، وما يزالون يتحكَّمون .

يحضرني الآن بيت **للزهاوي الشاعر العراقي** يقول فيه :

إذا الـــشـــعـــر لم يهزك عـــنـــد سماعـــه	**فليس خليـــقـــاً أن يقـــال له شعـــر!**

نعود إلى قصة الشعر المنثور والشعر الحر لنقدم لإخواننا (المتشاعرين المتناثرين المتحررين) أمثلة أخرى من الشعر الأصيل الخالد . . الذي كان ولا يزال مدرسة للقيم الأخلاقية، ومعروفاً للشخصيات الحيَّة، وكان وما يزال ـ كذلك ـ مرجعاً للعرب يتعرفون به الفضائل، ويستجيبون فيه للأمثال والحكم، ويتمثلون به في وجدانهم للمثل العليا وفي فقدانهم أياهما على سواء.

وصدق أبو تمام حين قال:

ولولا خِلال سنَّها الشعر مادرى بناةُ العلا من أين تأتي المكارم

لقد سبقني إلى تقرير هذا المعنى عن الشعر عملاق الأدب (**العقاد**) في بحث مطول له عن (**فلسفة الحياة في الشعر العربي قبل الإسلام**) فأحببت أن أقتبسه لقرائي في البلاد السعودية، لأطالب ـ متحدّياً ـ أولئك (المتشاعرين المتناثرين) أن يثبتوا لنا (قِيَماً أخلاقية و(شخصيات حية) في ما يتشاعرون به ـ كهذه القيم والشخصيات التي يصوِّرها الشعر العربي في مثل قول (حاتم الطائي) !

فنفسك أكرمها فإنك إن تَهُنْ عليك فلن تلقى لها الدهر مُكْرِما

* * *

وإني لعفُّ الفقر مشترك الغنى وتارك شكلٍ لا يوافقه شكلي

* * *

إذا كان بعض المال ربّاً لأهله فإني بحمد الله ماَ لي مُعَبَّدُ

فأقسمت لا أمشي على سر جارتي مدى الدهر ما دام الحمام المغرد

ولا أشتري مالاً بغدرٍ علمتُه الأكلُ مالٍ خالط الغَدْرَ أنكد

وفي قول (زهير بن أبي سلمي)

ومن لم يصانع في أمورٍ كثيرة يضرَّسِ بأنيابٍ ويُوَطأ بِمَنْسم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدَّم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومهما يكن عند امريء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعْلَم

وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده وإن الفتى بعد السفاهةِ يحلم

وفي مثل قول (عروة بن الورد) الذي كان قومه كما يقول الحطيئة يأتمون بشعره :

وأني امـرؤ عافي إنـائـي شركـة ... وأنـت امـرؤ عافي إنـاؤك واحـد
أتهـزأ مني أن سمـنـتَ وأن ترى ... بجسمي شحـوبَ الحق والحقُّ جاهـد
أفـرِّق جسـمـي في جسـومٍ كثـيرة ... وأحـسـو قراح المـاء والمـاء بارد

وفي مثل قول (أبي الطيب) !

والـغِـنَـى في يد الـلئـيـم قبـيـحٌ ... قَدْرَ قبحِ الـكـريـمِ في الإمـلاق

* * *

ولم أر في عيـوب الـنـاس عيـبـاً ... كنـقص الـقـادريـن على الـتـمام

* * *

وشـر ما قنـصـتـه راحـتي قَنَصٌ ... شهـب الـبـزاة سواء فيـه والـرخـم

* * *

كل حلم أتـي بغـير اقـتـدارٍ ... حَجّـةٌ لاجـيءٍ إلـيـهـا الـلئـام

* * *

وفي مثل قول (أبي العلاء) :

ومـا جعـلتْ لأسـوُدِ الـعـريـنِ ... أظـافـرُ إلا ابـتـغـاء الظَّـفَـرْ

* * *

إن شقًّـا يلوح في باطـن الـبرُّ ... ة قَسْـمٌ بيـني وبـين الـضـعـيـف

* * *

ولـو علمـتـم بداء الـذئـب من سَغِبٍ ... إذن لسـامحـتـمـو بالمـشـاة للذيـب

* * *

فلا هطـلـتْ عليَّ ولا بأرضـي ... سحـائـب ليس تنـتظـم الـبـلادا

* * *

ضجعـة المـوت رقـدة يستريح الجسم ... فيـهـا ، والـعـيشُ مثـل الـسُـهـاد

وبعد : فليس في مُكنتي أن أحصي الأمثلة الرائعة من القيم الأخلاقية والشخصيات الحية في الشعر العربي الأصيل الخالد . . الذي كان ولايزال ـ على مر الأجيال ـ مسموع الصوت في إنكار المنكر، واستحسان الحسن من الأخلاق ـ كما يقول الأستاذ العقاد .

ولكن بحسبي أن أدل أولئك المتشـاعـرين المتناثرين على مصادر الشعر الحق ومنابعه وأن أشير إلى بعض مفاخره وروائعه . . لعلهم يعلمون[١]

(١) نشرتها (البلاد السعودية) يوم ١٢/٣/١٣٧٧ تحت عنوان «كلمتي» .

عكاظ .. ومقامها في التاريخ[1]

نستطيع أن نقول عن **سوق عكاظ**: إنها كانت تقوم مقام عدد من المستحدثات العصرية .. كالصحافة والأندية الأدبية، ومحاكم التوفيق والمصالحة، والمؤتمرات التي تنظر في حل بعض القضايا والمشكلات، فقد كانت (**عكاظ**) سوقاً لعرض أشعار العرب وأخبارهم، وكانت (**عكاظ**) سوقاً لخطبهم التي يتناصحون بها، أو يتفاخرون ويتنافرون. وكانت (**عكاظ**) سوقاً لعرض مشكلاتهم وخصوماتهم، ثم بحثها وانهائها وإصلاح ما بين المختلفين منهم أو المتخاصمين. وكانت (**عكاظ**) أعظم ثلاثة أسواق عربية يتوافد إليها العرب من أطراف الجزيرة - وهي (**المجنة**) **بمرّ الظهران**، و (**ذو المجاز**) **خلف عرفة**، **وعكاظ**، موضوع حديثنا، وهي السوق العربية الكبرى التي اهتم كثير من باحثي عصرنا بالتحري عن موقعها، واختلفوا في تحديده.

وسأثبت هنا - بإيجاز - ما قيل عن (**عكاظ**) قديماً وحديثاً .. من الناحية التاريخية واللغوية:

يقول **القاموس المحيط**: إن عكاظاً سوق بصحراء، **بين نخلة والطائف**، كانت تقام هلال ذي القعدة، وتستمر عشرين يوماً ويجتمع بها قبائل العرب، فيتعاكظون: أي يتفاخرون ويتناشدون.

ويقول (**معجم البلدان**): تعكّظ القوم تعكظاً إذا تحبّسوا ينظرون في أمورهم .. وبه سمّيت (**عكاظ**)، وكانت قبائل العرب تجتمع بها كل سنة يتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم

ويروي عن **الأصمعي**: أن عكاظاً بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال، وبه كانت تقام سوق العرب بموضوع يقال له (الأثيداء).

ويروي عن **الواقدي**: وهذه أي **عكاظ والمجنة وذو المجاز** - أسواق قريش والعرب، ولم يكن فيها أعظم من عكاظ.

أما المحدثون الذين تناولوا سوق عكاظ بالدراسة والبحث والتحرير ... **فهم شكيب أرسلان، ورشدي ملحس، ومحمد حسين هيكل، والدكتور عبدالوهاب عزام، ومحمد بن بلهيد**، وقد أفضوا إلى ما قدّموا رحمهم الله أجمعين.

وسأكتفي بما جاء في كتاب (**صحيح الأخبار**) **للشيخ محمد بن بليهد فقد قام رحمه الله** بنفسه بالوقوف على موقع (عكاظ) وتحراه بدقة ثم كتب عنه ما نوجزه في الفقرات التالية:

---

(١) نشر هذا البحث في مجلة (قافلة الزيت)، في شهر رجب ١٣٨٠هـ.

استمر البحث عن سوق عكاظ وتحقيق موضعه من سنة **١٣٥٥هـ** وانتهى في شهر شوال **١٣٦٩هـ**.

اشترك معه في الوقوف على موقع السوق المرحوم **الدكتور عبدالوهاب عزام عندما كان سفيراً لمصر في جدة**، واصطحبا معهما كل لوازم المكتشف من الدلائل والوثائق ووقف على كل جديد ومكان ومَعْلم، ورأيا الآثار القديمة والأرض الرحبة التي تسع جميع العرب.

يحدد ابن بليهد سوق عكاظ بأن موضعها يبعد عن مطار (الحوية) مسافة عشرة كيلو مترات تقريباً من الجهة الشرقية منه، وعن الطائف مقدار أربعين كيلو متراً، وذلك عند المكان الذي يلتقي فيه **(وادي شرب)** و **(وادي الأخيضر)** .. شرقِّيه ماء يقال له **(المبعوث)** عند **الحرة السوداء**، وجنوبِّيه أكمة بيضاء يقال لها **(العبلاء) من العهد الجاهلي إلى هذا العهد** وشماليُّه هو الفاصل بين **(وادي شرب)** و**(وادي قران)** المعروفين إلى هذا العهد بهذين الإسمينْ.

ويقول **ابن بليهد عن** ماضي (عكاظ) : كان الناس ينتابونها من كل ناحية، فلما كانت سنة **(١٢٩هـ)** وظهر **الخوارج الحرورية بمكة المكرمة** نهبت هذه السوق، فتقلَّص ظلها شهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام، حتى عمي عن الأبصار رسمها، وكثر الأختلاف على تحديدها.

ويثبت **ابن بليهد** في كتابه **(صحيح الأخبار)** أن **سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز - ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء**[1] هو الذي شجعه على البحث عن هذه السوق، والوقوف عليها، ويسَّر له الرحلة إلى موقعها والإقامة بضعة أيام لتحديدها على ضوء ما لديه من وثائق ودلائل وآثار.

وعكاظ .. تلك السوق العربية الكبرى مازالت باقية على ألسنة الشعراء عبر السنين الطوال إلى عصرنا الحاضر .. **فشوقي** أمير الشعراء سمَّى المحفل الذي أقيم لمبايعته بأمارة الشعر (عكاظ) في مطلع قصيدته المشهورة :

ياعكاظاً تألف الشرق فيه ... من فلسطينه إلى بَغْدانِهْ
افتقدنا الحجاز فيه ... فلم نعثر على قَسِّه ولا سَحْبانِه

وحافظ إبراهيم شاعر النيل وزميل شوقي شبَّه **دار الكتب المصرية** التي كان يعمل بها

---

(١) الملك فيصل بن عبدالعزيز - فيما بعد - رحمه الله ..

ثم أحيل على المعاش، وأقيم له أحتفال بهذه المناسبة ـ شبَّهها (بعكاظ) فقال يودع زملاءه في دار الكتب:

وخطبت أبكار المعاني منكمو — وزففتها بنفائس الألفاظ
فكأن نجداً والحجاز عشيرتي — وكأن هذي الدار سوق عكاظ

والأستاذ محمد مصطفى حمام، الشاعر المصري المعروف ونزيل هذه المملكة الآن ـ يقول في قصيدةٍ نشرها بمصر في إحدى حفلات دار جامعة أدباء العروبة:

أعدنا وإياهم (عكاظاً) وسوقها — ومنا ملوكٌ للبيان ومنهمو
وقد ألَّفت بين القلوب عُرُوبةٌ — يرف علينا ظِلُّها وعليهمو

وبعد.. فهذا حديث موجز عن (عكاظ) لغوياً وتاريخياً.. قديماً وحديثاً – أعتقد أن قارىء مجلة (القافلة) يستطيع به أن يأخذ فكرةً واضحةً عن تلك السوق العربية الكبرى.. التي قلت في صدر هذا الكلام إنها كانت تقوم مقام عدد من المستحدثات العصرية.. كالصحافة والأندية الأدبية، ومحاكم الصلح، والمؤتمرات العامة.. بالإضافة إلى أنها كانت معرضاً تجارياً ملائماً لزمانها.

ولعل الصديق الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار الذي أصدر منذ الحجة عام ١٣٧٩هـ جريدة تحمل أسم (عكاظ) فذكَّرنا بماضيها المجيد وخلَّد أسمها الحبيب في الصحافة الحديثة ـ لعله يعني أكثر ما يعني بالناحية الأدبية التي ضعف شأنها، وقل الاهتمام بها في صحافة اليوم، وإنه على ذلك لقدير، فهو أديب كبير[1].

---

(١) تحولت (عكاظ) كأمثالها من الصحف المحلية إلى مؤسسة عامة ورئيس تحريرها الآن هو الدكتور هاشم عبده هاشم! ولم يعد للأستاذ العطار سلطان عليها كغيرها من الصحف الأخرى.

الحِكَمُ . . في الأدب العربي[1]

الحِكَم ـ أو الأمثال ـ لون من ألوان الأدب العربي القديم، وقد خلا من هذا اللون الأدب العربي الحديث . ولست هنا بسبيل الكلام مفصَّلا عن الأطوار والعصور التي بهت خلالها تدريجياً هذا اللون البهيج من ألوان الأدب العربي . ولكنني محتاج إلى أن أوجز القول بأن **الأدب العربي ـ في تأريخه الأصيل ـ كأن يتألَّف من هذه الألوان: النثر، والشعر، والخطب، والرسائل، والأمثال.**

وتعتمد الأمثال العربية على البلاغة والإيجاز، ومن هنا سهل حفظها وترديدها، ومعظم هذه الأمثال قيل عفواً بدون قصد . . إثر حادثةٍ، أو أثناء مجادلة في الرأي، ثم أصبح مثلاً يُردَّد في كل حادثةٍ مماثلة . . مدى الأجيال المتعاقبة.

وهناك **أمثال القرآن** الكريم وهي غير تلك . . فالأمثلة القرآنية ـ في جملتها وتفصيلها ـ تصوير وتشبيه للمعاني والخيالات بما يقرِّبها إلى ذهن القارىء أو السامع ويجعل أثَرها بعيداً عميقاً في نفسه. وكم كنت أود أن أكتب في موضوعها لولا أن رغبة مجلة **(القافلة)** انصرفت إلى تحديد الموضوع الذي أكتب فيه اليوم بهذا العنوان: **(الحكم في الأدب العربي)** . على أني أرجو أن يكون المقال التالي عن **(الأمثال . . في القرآن الكريم)** . . بإذن الله وعونه.

ونعود إلى **الأمثال** في أدبنا العربي القديم وأكرر (القديم) عامداً لأقرِّر حقيقةً واقعيةً لأدبنا العربي الحديث . . الذي تحوَّل ـ مع الأسف الشديد ـ إلى (صحافة) ليس فيها نثر فني، ولا شعر أصيل، فضلاً عن أن يكون لأعلام الأدب العربي الحديث حِكَم أو أمثال . .

فمازلنا ـ ومازال أدبنا الحديث ـ عالةً على الأدب العربي القديم . . نستقي من معين شعره ونثره الكثير . . الكثير من أمثاله وحِكَمه ـ أفليس هذا عجزاً وكسلاً وتأخرّاً بالأدب العربي الأصيل إلى الوراء؟

أروني عَلَماً من أعلام الأدب العربي الحديث حرَّر (مثلاً) ولا أقول **أرسَلَ مَثَلاً** . . **فما أنا بمكلِّف الأيام غير طباعها، وقد ولَّى زمان السليقة العربية الدافقة الصافية وفات.**

ولعل هذه الفرصة التي أتاحتها مجلة **(قافلة الزيت)** لتجديد العهد (بالأمثال العربية)

---

(١) نشرته مجلة القافلة في شهر ذي الحجة ١٣٧٩هـ وقالت في تقديمه: الأستاذ أحمد محمد جمال: عضو مجلس الشورى وكاتب الاسلاميات المعروف . . «على مائدة القرآن» . . ويسهم في الحركة الأدبية منذ بدء نهضتها على صغر سنه . . ويسهم في الكتابة بالصحف السعودية جميعها تقريباً وعلى الأخص (بندوة) أخيه الأستاذ صالح محمد جمال.

تذكّر أدباء الشباب العرب بواجبٍ ثقافي دراسي عليهم نحو أدبهم العربي، وتلفتهم إلى كنوزه وذخائره، وتُمْتِعُ أفكارهم وأبصارهم بروائع أمثاله، وفرائد حكمه المتناقلة على مر الزمان.

وها أنا أتبع هذه المقدّمة الموجزة . . عن الأمثال في الأدب العربي بنماذج من هذه الأمثال ليست أروعها ولا أبلغها . . ولكنها من أروعها وأبلغها وفي مراجع هذه الأمثال كمؤلفات الحريري، والعسكري وغيرهم ـ فسحةٌ لمستزيدٍ من روائعها وراكضٍ وراء شواردها:

● أمثال في معنى النشأة والأستتباع:

★ من الحبة تنشأ الشجرة.

★ أول الشجرة : النواة.

★ أول الغيث : قطر.

★ الحصاة من الجبل.

● **أمثال . . في التشبيه بالحيوان:**

★ أبخر من أسد.

★ أجهل من فراشة.

★ أجمع من نحلة.

★ أجبن من نعامة.

★ أبكر من غراب.

★ أحذر من ذئب.

★ أبصر من عقاب.

★ أحقد من جمل.

★ أحكى من قرد.

★ كالجراد لا يبقى ولا يذر.

★ أحير من ضب

● **أمثال . . في المظاهر الخادعة :**

★ أسمع جعجعةً ولا أرى طحناً .

★ إنما هو كبرق خلّب .

★ بقبقة في زقزقة .

★ ماكل بيضاء شحمة .

★ ماكل بارقة تجود بمائها .

● **أمثال . . في طلب الشيء من غير مصدره :**

★ إنك لا تجني من الشوك العنب .

★ كمستبِضع التمر إلى هَجَر .

● **أمثال في النقص ـ والأهلية :**

★ لكل جوادٍ كبوة .

★ لكل سيف نبوة .

★ لكل عالم هفوة .

★ لكل دَرٍ حالب .

★ لكل ثوب لابس .

★ لكل ساقطة لاقطة .

★ كل إناء بالذي فيه ينضح .

● **أمثال . . في معان مختلفة :**

★ أكلتم تمري ، وعصيتم أمري .

★ يبني قصراً ويهدم مِصراً .

★ البئر أبقى من الرِشاء .

★ جَاوَزَ الحزام الطُبَيينْ .

★ بلغ السيل الزبا .

★ أخسر من القابض على الماء .

★ أتبع الدلو الرشاء.

★ رَبَّ حثيثٍ مكيث.

★ رب عجلة تهب ريْثاً.

★ من أجدب أنتجع .

★ على نفسها جنت براقش.

★ لا مر ما جَدَع قصيرٌ أنفه.

★ الإحسَــان يقطع اللسان.

★ الإنسان عبد الإحسان.

★ بالبرِّ يستعبد الحر .

★ يأكل التمر وأرمْىَ بالنوى.

★ حسن في كل عين ما تود.

★ كحاطب ليل .

★ ما حكَّ جلدَك مثلُ ظفرك .

★ استأتن الحمار .

★ نعم الحارس الأجل.

★ دونه خَرْط القتاد.

★ أختلط الحابل بالنابل.

★ حتى يرجع الدَّرُّ في الضرع.

★ حتى يلج الجمل في سمِّ الخِياط.

★ رجع بخُفى حُنين.

★ كالراقم على الماء.

★ رمتني بدائها وانسلت .

★ الرائد لا يكذب أهله.

★ من يزرع الشوك لا يحصد العنب.

★ سبق السيفُ العَذَل.

★ ساقيةٌ لا تعكر بحراً.

★ من شهوةِ التمْر يمصُّ النَوىَ.

★ عبد . . وحُليٌّ في يديْه.

ولولا أني أخشى سأم القارىء لأوردته مناهل مغدقة من هذه الأمثال العربية . . التي يجزيء واحدٌ منها، وهو لا يتجاوز كلمتين أو ثلاثاً، عن مقال عديد الصفحات.

إنـه ياقـارئي العزيز ، الأدب العربي الأصيل ـ لا هذا الغُثَاء الكثير . . الذي يشبه غثـاء السيـل من شعـر ونثر وقصص ألفاظها أكثر من معانيها . . مع ركاكة وعُجمة - وتحية للقديم والقدامى ورثاء للمحدثين.

قصة قصيرة

زواج لم يسعده الحب[1]

جاءني (هابي) عصر يوم من شتاء عام ١٩٦١م وقال ـ ويداه المعرورقتان ترتجفان، في أنفعال، وبصره زائغ:

- أرجوك. أرجوك ملء قلبي وسمعي وبصري: أن تنقذني منها.. إنها تكرهني بل ترفضني، بل تشتمني وتطردني من فراشها!

وسألت هابي: - لماذا كل هذا؟ وأنتما قد تزوجتما عن غرام وغزل، وبعد تعارفٍ خلال النوافذ والأبواب، ثم توافق على أن تجتمعا في بيت زوجيةٍ سعيدةٍ؟

أجاب هابي: **- نعم.. لقد تزوجنا عن حب، هي التي ساقتني إليه سَوْقاً، وأغرتني به إغراءً، وأطمعتني في الزواج منها. وأمَّلتني في أن أسعد بها زوجةً تؤنس وحدتي، وتكرم غربتي، وتبدلني بأهلي أهلاً، وتحيل صعب عيشي سَهْلاً.**

- ألست أنت الذي كنت وسيطي إلى أبيها، لكي يمنحني يدها بل قلبها، وقد قصصت عليك كيف؟ ولماذا أريدها زوجة لي؟!.

قلت له: **- إن هذا ما يحيرني من أمرك أو يجعلني في موقف حرج.. لا أدري كيف أعالج شكواك، أأكون وسيط تقريب بين حبيبين، فيتم زواجهما، ثم أكون وسيط تفريق بينهما، ولَمَّا يمضي على إجتماعهما في الحلال إلاَّ شهران.**

دعني أفكر.. دعني أدبِّر لك أمراً.. فلعلي أوفق إلى صلحٍ بينكما، وعليك أن تهدأ أن تنتظر، ألا تعجل بطلب الطلاق، كما عجلت تماماً بالتماس القربى منها.

وطفقت أفكِّر مِن أجله، وأستعيد إلى ذهني ذكريات زواجه. لقد جاءني يوماً من شتاء عام ١٩٦١م وهو يفرك يديه إحداهما بالأخرى، ويستأذنني في حياء أطرق معه برأسه إلى موضع قدميه، كأنه لا يستطيع النظر إلّي ـ أن أقبل القيام بعمل خيري أو إنساني من أجله.

---

(١) هذه القصة نشرتها مجلة (الإذاعة) في شهر ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ وقد اخترت لها أسماء إنجليزية لأعمّي على القراء أسماء أبطالها.

وأعلنته يومئذ باستعدادي الكامل لأداء أية خدمة خيرية أو إنسانية من أجله، أو من أجل أي مخلوق آخر جدير بها.

فقال : **إنني أريد أن تخطب لي ابنة صديقك (تيجر) وهذا أسم أبيها - أنه صديقك وأنت موضع ثقته، ومحل إحترامه، وهو لا يخطِّىء لك رأياً، ولا يرفض مسعاك إلى أمر لديه.**

وعندما سألته هل رأيتها؟ فأعجبتك - إنما سألته ذلك لأني أعرف أن إبنة صديقي **تيجر** ليست على مستوى من الجمال يغري مثله بطلب الزواج منها.

أجابني : **لقد أحببتها من كل قلبي وتبادلنا التحايا بالأيدي والعيون** . . عبر النوافذ **والأبواب من بيتي إلى بيتها، وتجاوز الأمر ذلك إلى إرسالها رسائل حب إليِّ!**

وقبلت أن أقوم بدور الوسيط أو الخاطب بين زميلي المدرسي **هابي** وأبنة صديقي **تيجر**، فكلاهما عزيز عندي، والأمر الذي أسعى بينهما من أجله عمل صالح لا مجال فيه لاعتذار أو تقصير.

وكنت أحس أن صديقي **تيجر**، سيرفض خطبة هابي، **لابنته لأنه كما نقول** - في **أمثالنا السيارة: (مقطوع من شجرة) - لا حسب له ولا نسب ولا عم عنده ولا** خال.

ورحت أحشد في ذهني، وعلى لساني . طائفة من الألفاظ والجمل التي ظننت أنها ستقنع صديقي تيجر وتغريه بقبول هابي زوجاً لابنته - **مثل: إنه ابن حلال، ومستقيم السلوك، وناجح في عمله، وشاب له مستقبل . . الخ.**

ولكنني فوجئت بموافقة والدها . . لأول كلمة نطق بها لساني في موضوع الخِطبة، فلم أكد أقول له: إن هابي يريد القربى إليك بالزواج من إبنتك - حتى قال أنا موافق . . سأخبرها فوراً لمعرفة رأيها هي، فإنها صاحبة الحق في الرفض أو القبول.

وعندما دعا إبنه (نايس) ليكون مبعوثه إلى شقيقته ليعرف رأيها في أمر زواجها من **هابي**، وأخذ موافقتها أو رفضها - لم ينس أن يقول له إن **هابي شاب طيب**، وأنا مرتاح لمصاهرته، وأرجو أن يكون أخاً أكبر لك ولإخوتك، وعوناً لي في أعمالي.

وخرجت من بيت صديقي **تيجر** على موعد منه بالجواب بعد ساعات معدودة، ولم أعد إليه، وقلت في نفسي : لا بأس أن يطول الإنتظار أياماً، فالزواج أمر مهم وخطير، ولابد أن يسبقه تفكير طويل، وبحث عن مصلحة الزوجين المشتركة بينهما في حياتهما المقبلة، والتأكد من توافقهما وتراضيهما . . على هذه الرابطة المقدسة طويلة المدى.

ولكني فوجئت ـ للمرة الثانية ـ بوالدها يعجل إليَّ بعد ساعتين من إجتماعي به في بيته، الذي يبعد عن بيتي بنحو كيلين . . ويعلن لي أن إبنته قد وافقت على الزواج من **هابي**، واستمهل لكي يتم الزفاف شهراً واحداً . . حتى يجهزها بجهازها اللائق.

قلت في نفسي: **الحمد لله . . لقد وفقت لعمل صالح ـ بعد شك وارتياب في قبول مسعاي!**

وسارعت ـ فَرِحاً بالنبأ ـ إلى زميلي المدرسي **هابي** لأسوق له البشرى التي ينتظرها بقلب فارغ، وطرف زائغ!

مضت ثلاثة أيام . . قابل **هابي** في مساء اليوم الأخير منها خطيبته وجهاً لوجه، في غرفة واحدة من دار أبيها، وتناول من يدها كأساً من شرابٍ حلو حلال، ورأى من قريب حقيقة ما كان يبدو له من بعيد ـ من نافذة خطيبته ـ من شبح أو خيال لفتاة أحلامه . . للمرأة التي كان يتوقع أن تحتل من قلبه مكان أمه وأخته وأهله جميعاً . . أهله الذين أفتقدهم أو ابتعد عنهم إلى حينٍ قد يقصر أو يطول.

أما كيف تم هذا اللقاء الأول بين الخطيبة والخطيب، فقد جاءه أحد أقاربها مساء ذلك اليوم وأخذه من يده إلى دار أبيها لتكون خِطبته لها . . على بصر وبصيرة، وبعد توافق وتراضي.

وخرج **هابي** من الإجتماع القصير بخطيبته وقلبُه يكاد يقفز من صدره مسرةً وبِشراً، واستقرت عيناه الزائغتان، ولمع خداه بعد شحوب حتى ليخيل لمن رآه ذلك المساء: أنه مَلَك الدنيا بيديه، وانحازت السعادة له وحده.

وبعد أن سلَّم **هابي** مهرها إلى أبيها . . دُعيت إلى الإحتفال بعقد قرانهما، وكانت ليلة سعيدة أخرى من الليالي التي عاشها **هابي** في إنتظار تلك الليلة الكبرى ـ ليلة الزفاف، ليلة الالتفاف . . ألتفافهما قلباً إلى قلب، وجنباً إلى جنب في طهر وبراءة وعفاف.

ولكنها كانت ليلة فاصلة . . فصلت بين خياله وآماله، وبين الحقيقة التي تمنَّاها فعاشها تلك الليلة بل نصف تلك الليلة . . ثم ما لبثت تلك الحقيقة . . حقيقة الحب قبل الزواج، وفي نفس الليلة الأولى ـ أن تنكشف صفحة صفحة، ووجهاً بعد وجه . . عن شيء لم يكن يتوقعه عاشق حاول أن يجعل من خيال حبه وآماله حقيقةً يسعد بها زواجه، وتدوم الصحبة بها بينه وبين حبيبته.

صحيح . . أن زميلي هابي لم يكن شاباً متمرساً بشؤون الزوجية، ولم يمر بتجارب أمثاله من الشباب المنطلقين ذوي التجارب العملية في مجالاتهم المعروفة . بل أستطيع أن أقول : إنه كان في هذا المجال (بليداً) ويبدو أن بلادته هذه كانت مفاجأة غير سارة . . صدمت فتاة أحلامه صدمة عنيفة في فتى أحلامها . . في أول لياليه .

مرت الأيام والليالي ثقالاً عليه وعليها . . هي ترفضه وتتجافى عنه، وهو يتلّمس النصيحة عند كل من يلقاه من أصدقائه وزملائه كيف أعمل؟ وماذا أقول؟ لأحوِّل نفورها إقبالاً، وكراهيتها مودةٍ، وشقائي بها سَعْداً؟!

لقد كان ردي عليه ـ دائماً ـ أن عليه أن ينتظر، وألا يتعجَّل علاج زوجته ـ حبيبته سابقاً ـ من مرضها النفسي المفاجىء وكنت أقول له : إن الأيام والليالي القادمة ستطيب له ولها .

ولكنه كان قلقاً عجولاً . وكان يبدو على مكتبه حزيناً شاردّ العقل، وعندما حدَّثني في مأساته ـ مرةً أخرى ـ نصحته أن يعالج مشكلته بهجر زوجته بضعة أسابيع أو شهور، فيعود إلى سكنه الخاص مع زملائه العزاب، وستكشف هذه الأسابيع أو الشهور المعدودة عن حقيقة نفورها منه : أهو دلال، مجرد دلال؟ أم ملالٌ حقٌ وبغضٌ صدق؟ أم هو مرض نفسي سيؤدي إحتجابه عنها بعضاً من الوقت إلى تحليله وتعليله؟

وعاد هابي إلى حياته الأولى عَزباً مع رفاقه الأولين ـ ولكنه فارغ القلب، زائغ البصر، يترصد لها في النافذة، ويقضي الوقت الذي تخلو فيه الغرفة من زملائه، في غدو ورواح في طول الغرفة وعرضها، موجِّهاً نظره إلى نافذة غرفتها المقابلة، بل كان يقطع عمله على مكتبه وهو مطمئن إلى وجود زملائه على مكاتبهم، ليذهب إلى البيت . . لعله يراها كما كان يراها من قبل، وكما كانت تشاغله بوجهها الباسم ويدها المرفوعة بالتحية والسلام .

طال الإنتظار على **هابي** كما خُيِّل إليه ـ وهو في الواقع لم يطل كثيراً ـ فعزم أن يطلب الطلاق منها . . لعله بذلك يختبر قلبها ويمتحن موقفها : هل هي جادة في كرهه، صادقة في رفضه، غير مبالية به وبهواه .

ولطف الله بي، فلم أكن وسيطه ـ هذه المرة ـ في طلاقه من حبيبته السابقة، وفتاة أحلامه المزعومة، فقد كنت في سفرة إلى بعض المدن المجاورة لبلدتي . وكان هو يعرف مدى حرصي على أن يصبر وينتظر، ولا يتعجَّل الأمر . فاختار صديقاً آخر . . . . لهذا

الأمر المؤسف الذي يهتز له عرش الرحمن، وهو أبغض الحلال إلى الله.

كان صديقي **تيجر** والد الزوجة النافرة رجلاً طيباً فلم يجد بداً من أن يعيد إلى **هابي** مهره كاملاً لأنه أدرك أنه لم يسعد ليلة واحدة مع إبنته، وكانت لطمةً أخرى تلقاها زميلي **هابي**، وأدرك بها أن الأمر جد لا هزل.. وأن أمله في العودة إليها مكذوب ومخدوع.

وتَحت وطأة اليأس الشديد.. الذي ملأ قلبه وكيانه كله اندفع مغادراً المدينة التي تسكنها حبيبته السابقة وزوجته النافرة إلى بلد أخرى.. بعيداً عن بلد الذكريات.

وحين عدت من سفرتي وجدت رسالة يقول فيها:

(.. من أجلها، من أجل ذكرياتها الأليمة تركتكُم وتركت مدينتكم الحبيبة ليتني تزوجتها من غير سابق حب، فالذين يتزوجون بلا مقدمات من غرام وغزل ورسائل وتحيات من النوافذ: هم السعداء إنني أحتفظ لكم ولمدينتكم العزيزة عندي بأجمل الذكريات وإنني لأتمنى العودة إليكم. ولكن صدمة زواجي الشقي لحبي القوي أفقدتني عقلي وعزمي)

وكتبت له جواباً: (ذلك رأيي، وقد صدقت، فالذين تزوجوا عن غرام وغزل سواء كانوا رجالاً أم نساء لم يستقر بهم مقام الزوجية طويلاً، ولو أنجبوا أولاداً فالزواج يطفىء نار الحب الملتهب، ولا يدوم بعد ذلك ما يجذب أحدهما إلى الآخر لأن فكرة كل منهما - قبل الزواج - كانت حباً.. مجرد حب يريد الوصال. فلما تم الوصال تبدل الحال، أما الزواج - بدون حب سابق - وإن كان لابد من رؤية تغري به.. فإن غايته تكون أبعد وأرشد من اتصال بين جسدين عاشقين. إنها تكون حينئذ حباً نامياً وصحبة مستمرة، وبيتاً مستقراً وأطفالاً يشدون رباط الزوجية كلما أرخاه ملل العشرة أو سأم الطعام الواحد، ويرخونه إذا شده الزمان بتقلباته ومعضلاته وأزماته).

وقد مضى الآن على آخر رسالة من زميلي المدرسي **هابي** ثلاثة أعوام.. لا أدري ما خبره، هل تزوج بأخرى أم قويت عنده عقدة الزواج الأول الذي لم يسعده الحب؟

قصة قصيرة

التـــائبون الثـــلاثة

هذه القصة خيال نسجته لتمثيل بيت الرصافي الشاعر العراقي . .

لو قاس كل فتـى أخـاه بنفسـه
فيمـا أراد لما تعـادى اثنـان

كما تقع الطيور على أشباهها وكما تلتقى الفروع في أصلها عاش هؤلاء المذنبون الثلاثة أصدقاء أوفياء . . يجتمعون ليتناجوا بالإثم والعدوان، ويتذاكروا خطاياهم في التذاذٍ منها واعتزاز بها، ثم يفترقون وهم يرجون أن يكونوا في غدهم أظلم وأطغى!

لبثت حالتهم بضع سنين هكذا لا يُغيِّرون ما بها . . على كثرة ما يُزْجَى إليهم من نُصْح، وما يرجى منهم من صلاح، على ألسنة محبيهم، ورسائل ناقديهم.

وتبعتها سنوات أخرى كَفَّت فيها ألسنة الأصدقاء ورسائل الناقدين عن وعظهم . . يأساً من إصلاح من لا يريدون الصلاح، وتسليماً بأن الله يهدي من يشاء، وأن المخلوق ليس له أن يهدي من يريد.

ولكن هذه السنوات الأخرى لم تخل من فضائح أذيعت عنهم في محيطٍ ضيق كاد يتسِع وسمعها الأدنون منهم، وكاد أن يسمعها الأبعدون عنهم، وأن يفشوها إلى حيث تقام الحدود.

ومع هذا فالمذنبون الثلاثة ما فتئوا في طغيانهم يعمهون، وبالعقوبة يسخرون، وحدَّثوا أنفسهم بأن السجن والتعذيب مهما بلغا شدة وحدة لن يساويا لذاذة الخطايا التي يجترحونها على إحْتياجٍ تارةً، واستمتاع وحده تارةً أخرى.

وجاءت سنوات أخرى، وسِترُ الله مُسْدَلٌ عليهم، ورحمتُه رانية إليهم حتى خلا أحدهم ليلةً بنفسه، يستعرض ما غَبرَ له من ذكريات زيَّنها الشيطان في عينه ـ على سوئها ـ وحلاَّها في ذوقة على شناعتها . . وكان في تلك الخلوة بين ماض من تلك الذكريات وبين منتظرٍ يئنُّ ويحنُّ حتى غفا شيطانه، وصحا وجدانه، على تهليل عابر من تحت نافذته، وتسبيحه واستغفارِه.

لقد أستيقظ ضميره . . لا ليأمره بالسرعة إلى الوضوء والصلاة والتسبيح إقتداءً

بالعـابـر، ولكن ليتمثَّـل زوجته وسائق سيارته يخونه فيها، وابنته الكبرى وهي تعطي وعداً لأحـد الشبـان باعـة الـزينـة ـ من حُليّ وعطـور وخمُر ـ بزيارته في داره. ويتمثّل أخيراً أخته الصغرى وهي تغازل خادمه الفتى الجميلَ في زاوية من مؤخرة المنزل!!

(يـالله!) قالهـا وهـو لا يدري أيحلم نائـماً أم ينظر قائماً، أم هو في ريب من أمانة نسائه نتيجة ما يرى من خيانة نساء غيره معه؟!

وأعادها من صميم صدره مرةً أخرى **(يالله)** ثم نام.

وأصبـح عليـه صبـاحٌ لم يعهـده منـذ فتح عينيه ـ وهو فتى ـ على دنيا المناعم والمآثم، صباحٌ ألفى نفسه فيه مسوقاً إلى حيث يتوضأ، ثم إلى حيث يصلي ويستغفر، ويحاول أن يتذكّر ما حدث له في الليلة الماضية، فلا يهتدي إلاّ إلى أنه كان في غفوةٍ ثم أفاق.

ولكنه عندما مرَّ بإحدى الأسواق المؤدِّية إلى مقر عمّله، خطا في قرب دكان جلس فيه صاحبـه العجـوز يستمـع إلى فتـاه وهـو يقرأ عليه من كتابٍ قديم.. ووجد صاحبنا نفسه مسـوقـاً ـ من حيث لا يدري ـ إلى أن يشـتري من صاحب الـدكان حبَّاتٍ من **(الأسبر و)** ليدفع بها ألم التفكير المسهِّد الذي صدع رأسه في الليلة الماضية.. فرنت في آذانه كلماتٌ مما كان يقرؤه الفتى على الشيخ.. كلمات استذكر بها خواطر الليلة شيئاً فشيئاً، ولما قضى حاجتـه من الشِـراء لم يشأ أن يمضي لِطيِّتـه، بل وقف واستعاد تلك الكلمات التي ذكَّرته ما نسى لِيحفظها فإنه أحبَّ لأولِ مرةٍ في حياته أن يحفظها.

وجـاء في مسـاء اليـوم موعد السَمَر الذي يلتقي فيه بأشباهه كما تلتقي الطير، وما كاد المقـام أن يستقـرّ بهم ثلاثتهم حتى باغتهم بتـلاوة ما سمع من الكلمات التي يقرؤها الفتى على الشيخ في دكانه ـ قال اسمعوا يارفاق **(عِفُّوا تعفُّ نسائكم**[1]**)** و(من يزن يُزْنَ به ولو بجداره[2]) لقد سمعت هذين القولينْ في صبيحة اليوم من قارىء يقرأهما في دكانه ـ وعلى عدم علمي بمصدرهما أهما من القرآن ـ أم حديث النبي ـ أم من آراء الحكماء فقد أعجباني وقد حفظتهما ملتذاً بهما.

وأطـرق فجأةً مغمِضـاً عينيـه ثم فتحهـما مبتسِـماً وقـال: **يالله**.. فعجب صاحباه من دعوته بعد إطراقته! فقال: **يالله..! أجل يالله لقد تمثّلت البارحة أن نسائي يخنني كما أخون**

---

(١) نص الحديث (عفوا تعفُ نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم) رواه الطبراني والديلمي.

(٢) هذا شطر من بيت شعر تمامه: (إن كنت ياهذا لبيباً فافهم)

ـ **ثم مررت بالرجل الذي يقول قارئاً من كتاب في يده (عِفُّوا تعفَّ نساؤكم) . . ياالله نعم يا الله غفرانك ثم رضوانك.**

فقال **(السارق)** ترى أيها المهتدِي بعد ضلالٍ : **أأسْرَق كما أسْرِق؟**

قال له تمثَّل لصاً يختبىء لك في زاوية من دارك، متربصاً بك أن تغفل وتغفل زوجتك ليسلب منكما شيئاً لن تعوضاه، وتمثل أنك نمت، وأن زوجتك ـ لصخب أطفالها ـ لم تنم، وأن اللص على ظنّ أنكما قد غرقتما نوماً قد انسلَّ إلى حيث ترقد زوجتك وأطفالك فأفزعهم فصاحوا ليوقظوكَ، وتمثلْ أنك خِفت من سطوته لأنه يحمل سكِيناً في يده، وأخيراً تمَّثلْ أنه صاد صَيْدتَه، وذهب في أمانٍ منك يا جبان!!

إنك تأتي مثل ما يأتي، فاشعر الآن بشعورِ مَن تَسرِق منهم وتُفزعهم.

وأنظْر بنظرتهم إلى ذهاب مالك، وفزع عيالك . . تعرفْ مقدار ما تقترف من عدوان.

فضحك **السارق**، ولكنه لم يتكلم وكأنه كان على أتفاق مع ثالثهما السكران أن يتكلم ـ قال هذا: **وأنا ماهو خطري على الناس حتى أتمثل خطر الناس عليَّ؟**

فطلب إليه الزاني: أن يتمثَّل سكران غيرَه وهو ـ في حالة ـ يفضي بكل أسراره لجلسائه وفي أخرى ـ يتحدث كما يتحدث الطفل في وجهٍ محمَّر العينيْن، مُضطَّرب الشفتيْن، مائل الرأس يمنةً ويسرةً، وهو في ثالثةٍ يهم بإيذاء أبنائه وأصدقائه، بضربٍ أو غيره . . وفي رابعةٍ يفزع زوجته وأطفاله بما يأتي من غرائب ومصائب. .

إن الخمر يارفيقي أم الخبائث تلد القتلَ والفاحشةَ والإيذاء، وكل ما نسمِّيه شرّاً، ونتذوَّقه مرّاً من عادات وأخلاق.

فتمثلْ ذلك السكرانَ وأنت في حالة صحو، وتشاهده وهو في حالة سكر، إن كنت تستطيع . . تر المنكر الذي لا يطاق أن يُرَى.

وقبل أن يَهُمَّ السارقُ والسكران بجوابٍ، قال الزاني التائب انتظْر لقد تذكَّرتُ الآن بقية **ما** سمعت من كلام كان يقرأه الفتى علي الشيخ في دكانه . . . ماذا؟

(لو قاس كل فتى أخاه بنفسه) ثم ماذا؟

أوه ما أخون ذاكرتي: إنها الجريمة المزمنة تضعف العقل والقلب والجسد أستغفر الله لقد تذكَّرت عجز البيت: (فيما أراد لما تعادي اثنان).

فصاح الآخران: فلنتبْ إذاً ـ فردَّ عليهم الأول: جَرِّبوا حياةَ الفضيلة كما جربَّت، فستنعم ضمائرهم بالهدوء والهناء كما نَعم ضميري!

وإذا صوت المؤذِّن .. يقول (**حيٍ على الفلاح**) فكأنما كانت دعوةً آلهيةً .. دلفوا بعدها إلى المسجد ... وما يزالون يتذكرون حتى اليوم .. فضيلة التوبة، واستقامت لهم الحياة بعدها ـ في هدوء الضمير[1]

---

(١) هذه القصة كتبت سنة ١٣٦٩هـ.



الفصل الثاني

الحوار والنقد



أدباء يهرفون بما لا يعرفون

ليس الأدب ـ كما يحسبه الهارفون به ـ كلاماً يرسل إرسالاً ، وليس بالأديب ذلك الذي يقول أو يكتب هزْلاً واضلالاً ، وإنما الأدب والأديب عندي رسالة ورسول يحسن الفهم ، ويصدق الحديث بوسيلة شريفة إلى غاية شريفة أيضاً .

يقول بعض الأدباء في مجلة «المنهل» بعددها الممتاز: «إن أدبنا ضعيف» ويقول في مقام آخر: «إنه صورة من الأدب المصري ، وأنه لا فرق بينهما إلاَّ فضل السعة في العلم والأدب والثقافة في الأخير لأن الحياة أتاحت له مالم تتحه للأدب الحجازي» .

ويقول في مقام ثالث «إنما أعانت الأدباء المصريين وفرة الدراسة والثقافة والنشر والمكتبات والتشجيع أجمل العون بينما خذلت أدباءنا القلةُ والفاقةُ إلى حد بعيد» .

ويعد الكاتب سبباً من أسباب ضعف أدبنا : انصراف أدبائنا إلى ملاحقة اللقمة ، وإلى كسلهم أحياناً ، وإلى تفرّقهم أحياناً أخرى .

ويقول عوداً على بدء : إن الأدباء الحجازيين فقراء بؤساء وعلى الأمة أن تعينهم على التأليف والنشر .

ويعد سبباً آخر من أسباب ضعف أدبنا : قلة المتعلِّمين بحيث لا تروج بينهم مؤلفات الحجازيين .

وقد اتخذ من ذكر هذا السبب وليجة إلى تشبيه نفسه بكتاب مصر الكبار أمثال طه حسين ، والعقاد ، والمازني ، وهيكل فقال : إن كثيراً ممن يعرفهم وممن لا يعرفهم يزورونه في بيته ويستهدونه مؤلفاته ، ويستكتبونه عليها عبارة الإهداء بقلمه المبارك .

ووليجةً أخرى اتخذها من هذا السبب نفسه ، هي ما ادعاه من بيعه طبعة ديوانه كلها في مصر ، وأنه لم يستطع بيع أكثر من خمس عشرة نسخة منه في الحجاز ، وما عداه أخذ منه بغير رضاه على سبيل التحية والهدية .

وهنا زلة عجيبة زلَّها الكاتب دون أن يفطن إليها ، ولعل السبب في ذلك : أن مقصده دائماً أن يدعي ، وليس مقصده أن يصدق الحديث ، ويقرر الواقع ، فقد قال إنه باع «الطبعة كلها» في مصر فكيف بقي منها ما يوزِّعه في الحجاز أو يهديه؟ .

ونحن بحمد الله نعرف حتى كساد الشعر المصري نفسه في مصر ، ولكن الكاتب

يقول دائماً مالا يقال، وسيقول - تبعاً لذلك - إنه طبع ديوانه ثلاث أو أربع طبعات والحجازيون لا يعلمون.

أما قوله إن الأدب الحجازي ضعيف فقد صدق فيه، ولكن سبب ضعفه، ليس كما يدعي - فقر الأدباء الحجازيين وبؤسهم، كما أن الأدباء الحجازيين ليسوا فقراء ولا بؤساء - بل إنني أستطيع أن أجزم بأنهم كلهم في حالة من اليسار يستطيعون معها القراءة والكتابة والدراسة المنظمة والإنتاج الموزون، بل يستطيعون نشر إنتاجهم الأدبي من شعر ونثر - أيضاً.

وإلا فهل يستطيع الكاتب أن يدعي على الأساتذة **الفقي، والأنصاري، ورجب وعريف، وتوفيق، والسرحان، والكتبي، والعرب، وزيدان، وعواد، والعامودي، والجاسر** أنهم فقراء وبؤساء، وفي حالة قلة وفاقة بحيث لا يستطيعون القراءة والكتابة؟!

إن الأمة الحجازية كلها صغاراً وكباراً - جهلةً ومتعلمين - يعرفون يسار كل هؤلاء، وغير هؤلاء ممن لم أذكرهم الآن نسياناً، ويعرفون أيضاً أن لهؤلاء مكتبات ضخمة وفخمة تحتوي نفائس الكتب والصحف والمعاجم في مختلف العلوم والفنون والآداب، ويعرفون كذلك أن طلبة المدارس اليوم - على صغرهم وفقرهم - يستطيعون اقتناء الكتب والصحف الحديثة باستمرار فكيف بهؤلاء الأدباء الموسرين؟!

وإنما السبب - عندي - أن أدباءنا - على قدرتهم الأدبية - كُسالى، لا يخلصون لرسالة الأدب حملاً وأداء! فهم لا ينصبون في الدراسة والبحث، لذلك لا يبلغون مبلغ الأدباء المصريين في الفهم والعلم، والتعليم والتفهيم.

وليس في إنصراف الأدباء الحجازيين «إلى ملاحقة اللقمة» كما يعبِّر الكاتب معابةً أولاً، وليس فيه ما يحول دون الدأب على الأدب ثانياً - ذلك أن الأدباء في كل بلد ليسو أغنياء بالأدب عن ملاحقة اللقمة فكلهم إلا قليلاً منهم موظفون حكوميون أو موظفون أحرار أو أصحاب أملاك ومزارع، وهم مع ذلك يقرأون ويكتبون، وينتفعون بالأدب وينفعون.

ونحن نسأل الكاتب نفسه هل أخلص هو لرسالة الأدب حملاً وأداء بحيث استغنى عن ملاحقة اللقمة؟!

بل نحن سائلوه: **ألم يتخذ هو من أدبه الرسمي وسيلةً إلى ملاحقة اللقمة؟!**

ومن أعجب أغاليطه: أن يقول بأن لا فرق بين أدبنا والأدب المصري إلا سعة الثقافة

والتشجيع على النشر في الأخير، وإذا كان هذا هو الفرق بينهما ـ وهو اللباب ـ ففيم يتساويان؟ .

يجيب الكاتب نفسه : أنهما يتساويان في الأسلوب، ويناقض نفسه فيقول : إن الأسلوبين يفترقان أيضاً افتراق التقليد عن الأصل، والتكلّف عن الطبع، والفقر عن اليسار.

وهذا عجب أي عجب أن يفترق الأدبان كل هذا الافتراق في المخبر والمظهر، ثم هما يتساويان أسلوباً، ويتساويان آمالاً وآلاماً وتفكيراً . .

ولست أدري كيف يعزب عن عقل الكاتب مالا يعزب عن عقول طلبة المدارس الثانوية من (أن للبيئة أثراً في الأدب).

هذا إذا كان الكاتب يدرك البون البائن بين البيئتيْن في مصر والحجاز، أما إذا كان لا يدركه فأنا نأسف ونعتذر إليه أن لمناه في غير ملاَم.

وإذا كانت البيئة المصرية ـ كما يعرف الجميع أدباء وغير أدباء ـ هي بيئة الحياة الصحيحة بحريتها وجمالها وعمرانها، واتساع مجالي الفنون ووفرة مراجع العلوم، واجتماع الثقافات المختلفة فيها . . وإذا كانت عواطف أهل هذه البيئة وعقلياتهم تتأثّر ـ بلا مراء ـ بِعَوامِلَ هذه البيئة المترفة ـ فأين منها بيئة الأدب الحجازي؟ وهي ما نعرف؟

وأين عوامل هذه في أدبها من عوامل تلك في أدبها؟

وكيف يستوى الأدبان في الآلام والآمال واتجاه التفكير كما يقول؟

إن الفرق الفارق بين البيئتيْن الأدبيتيْن في مصر والحجاز هو الفرق الفارق بين القوة والحرية والمعرفة والجمال، وبين نقائضها على سواء.

ومن الخير لنا : أنِ نعرف أقدارنا ومقدراتِنا لنُقوِّيها من ضعف، ونُخْرِجها إلى نور، ونرفعها من حضيض. أما أن نتعالَم ونتطاوَل ونتمرَّد فتلك سجية عاجز كَسول لا يحب التطوُّر والنماء والارتقاء.

إن الأديب والعالم إذا تواضعا ازدادا أدبَاً وعِلْماً، وفتح الله عليهما بخير الفتوح، ولا كذلك المتعالمون المتأدبون فإن مصيرهم هو مصير الطبول الجُوف حين تمتحنها يدُ قويٍ جبّار.

وبعد فنحب للكاتب أن يخفِّف من غلوائه وادعائه فنحن **«أهل مكة أدري بما فيها وبمن فيها»!!**

ونحب منه مرةً أخرى ألَّا يتكيء على ما يذيعه من صداقات كبار الأدباء في مصر، ولا على إهدائه مؤلفاته إليهم ليجاملهم فيجاملوه، ولا على اعترافاته لهم بفضل تأديبِهِ وتعليمه، ولا على الإعلانات التي يكتبها لنفسه بقلمه، ويزعم فيها أن «أدبه الرفيع» وحده هو الذي أثبت لأدباء الخارج أن في الحجاز أدباً وأدباء !!

فكل ذلك لا يجدي فتيلاً في رفع أديبٍ أو خفضه، ولا يعين أدبه على النماء والزكاء!! إذْ كل امريءٍ بما كسب رهين، والثناء المكذوب كالرزق الحرام[1].

(١) نشر هذا المقال في جريدة المدينة سنة ١٣٦٧هـ.

الفن للفن .. أم الفن للحياة ؟

أعتقد أن قراء نقد أحد الكتاب الأفاضل لقصة **الأستاذ أحمد السباعي** «فكرة» المنشور بعدد ذاهب من هذه الجريدة[1] – قد تبيَّنوا كما تبينت فيه شيئاً «آخر» كان يهدف إليه الناقد أكثر من غرض الكتابة عن القصة، وكان ذلك أظهر ما يكون حين مثل الناقد دور المعلمٌ الحرد لنفسه، على تلميذ بريء.

ولست في حاجة، بل لست في مندوحة لضيق المقام من إعادة هذا «التمثيل» فحسبي مارأيت وحسب القراء ما رأوا . . ولكن لابد مما ليس منه بد . . أي لابد من تلخيص رأي الناقد في منقوده.

فهو يرى أن **الأستاذ السباعي** لم يكن فناناً أصيلاً، وأن ثقافته القصصية لا تؤهله لأن يكونه، وأن «فكرة» ليست بقصة، إن هي إلاَّ مزدحم من الأفكار والخواطر والتجارب والمعلومات العامة والخاصة. وقال: إنه فقد فيها الصدق الفني الذي لا يعني الحدوث والوقوع، وإنما يعني أصالة الحق الذي يصدق في ضمير الإنسانية وطبيعة البشر، ومن أجل ذلك لم يستطع **الأستاذ السباعي** أن يوجد صداقة بينه وبين القارىء المثقَّف الممتاز - كالأستاذ الناقد مثلاً - أن هذا الصدق الفني الذي يتغنَّى به الناقد، يوجد - بزعمه - في الأسطورة الخيالية بينما يفتقد في حادثة من حوادث المحاكم وقضايا البوليس.

ومن أعجب الفصول في «تمثيل» الناقد: تناقضه في صدر مقاله حيث عرَّف الفنان الأصيل بأنه الذي يرينا الحياة من خلال نفسه المنفردة، ومن خلال تجاربه وطبيعته وإحساسه - وفيما بعد ذلك حيث قال إن الأستاذ السباعي أنطق بطلته بكل فلسفته وتجاربه وخواطره ومعلوماته إلخ . . ومع هذا لا يكون **السباعي** فناناً أصيلاً! ولماذا؟ سنعرف فيما بعد.

فأما قول الناقد بأن **السباعي** لم يكن فناناً أصيلاً فقد نقضه بنفسه كما أسلفنا، ونزيد عليه بأن **أدب السباعي** – تفكيراً وتعبيراً أدب معروف السمات، ظاهر المعالم لكبار القراء وصغارهم . . منذ نشأته القديمة، ويكاد يكون الأديب الوحيد المعروف بمنطق تفكيره، وطريقة تعبيرة . . نزاهةً واستقلالاً وجرأةً.

وأما لفُّ الناقد ودورانه حول تعريف القصة وما خُيِّل إليه من آراء بعض النقاد في

---

(١) جريدة (البلاد السعودية) سنة ١٣٩٠هـ.

البلاد الأخرى في صورة قواعد وشرائط للقصة، فموجز ما نراه في ذلك أن القصة فكرة لا أسلوباً - إذ الأساليب شتى - صنفان: صنف يعني فيه بالتزويق والتلفيق والتهويل والتخييل مع صرف النظر عن الحقيقة والفضيلة صرفاً كلياً، وهذا ما يسمونه **بالفن للفن**، وهذا ما يتغنى به الأستاذ الناقد، ويزعم أنه هو الصدق الفني الذي لا يعني الحدوث والوقوع دائماً - وإنما يعني أصالة الحق في ضمير الإنسانية وطبيعة البشرية!

ونحن نعجب، والقراء معنا يعجبون كيف أن الصدق الفني لا يعني الحق، أي الحدوث والوقوع، لأن كل ما يحدث ويقع حق - ثم هو يعنيه في ضمير البشرية، وطبيعة الإنسانية؟ وكيف أن أصالة الحق هذه موجودة في الأسطورة الخيالية؟ تناقض عجيب جاء إلى الناقد من آراء متباينة لكتّاب النقد الذين كل ثروتهم في النقد ألفاظ فيها «الشكول والألوان . . والظلال والحركات» الخ . . وقد نقلها الناقد بدون استتمام ولا إختبار.

والصنف الثاني هو القصة كما هي قصة - لغةً واقعاً - مع اختيار الأسلوب المؤثر - ابتداعاً أو اتباعاً - بحيث تؤدي القصة إلى غايتها من نفوس القراء، وهذا ما يسمونه **بالفن للحياة**، أي استخدام الفن القصصي للتربية والإصلاح، وقصة **الأستاذ السباعي** «فكرة» من هذا الصنف المعترف به اليوم وقبل اليوم، والمقرؤ في أدب كثير من أدباء العالم العربي والغربي، وعلى هذا الاعتبار نستطيع أن نضع «فكرة» في القمة . . مع ملاحظة ماقد يراه أصحاب الرأي في بعض أفكارها وتعابيرها من مخالفات لا تمس وسيلة القصة وغايتها إجمالاً، كغيرها من القصص التي لا تخلو من مخالفات.

ثم نعود بعد ذلك لنقول: إنه حدَّد للقصة طريقتيْن لا ثالثة لهما، وهو تحديد سهل غير محسوب لأن أساليب القصة لم ينزل فيها وحي إلّهي ختامي غير قابل للتعديل والتعديد، فهذا «**زوبرت لويس**» القصصي المشهور يعد للقصة طُرقاً ثلاثة (١) اختيار فكرة ما . . وجعلها نواة للقصة، واختيار الشخصيات التي تمثلها (٢) اختيار شخصية ما واختيار الحوادث المناسبة لها (٣) اختيار بيئة ما وإعطاء صورة عنها، ومن الممكن جداً اعتداد طريقة **الأستاذ السباعي** في قصته واحدة من هذه الثلاث.

وأما ماأشار إليه الناقد من بحوث القصة بإصبع الزراية كبحث السعادة الذي زعم أن نظرة الكاتب ضاقت في نهايته، وما زعمه من أخطاء لغوية، دون أن يشير إلى مواطن ذلك من الكتاب فأنا نحسب أن ذلك من قبيل تخطئته للأساتذة فضيلة **الشيخ محمد بن مانع**، وعبد الوهاب آشي، ومحمد حسن فقي، وعبيد مدني فيما نشروه «**بالمنهل**» الممتاز عام ١٣٦٦هـ **والأستاذ قنديل** في كتابة «كما رأيتها» مع صحة كل ذلك وصوابه وبلاغته.

على أن الأستـاذ النـاقـد نفسه قد رجم غيره بالحجارة، وبيته من زجاج، فقد قال في نقده عن فكرة وسالم «يظهر أن كلاهما شقيق للآخر» مع أن الصواب أن يقول «كليهما» لأنها اسم «أن» والقاعدة النحوية هي: «يلحق بالمثنى في إعرابه خمسة ألفاظ اثنان واثنتان وثنتان وكـلا وكلتـا مضـافتـين إلى الضمير، أما إذا أضيفتا إلى الاسم الظاهر فإن الألف تلزمهما وتعربان إعراب المقصور».

المجاز بين اليمامة والحجاز

هذا كتـاب قيم نفيس لصـديق الشبـاب[1] **الأديب الأستـاذ عبـد الله بن خميس** ـ وهو بحث عميق وثيق، **في جغـرافيـة جزيـرة العـرب وتأريخهـا**، وكـاتبه **الأستاذ ابن خميس** قد أمسـك بزمـام الأدب شعراً ونثراً، ثم أمسك بعنان «العلم» جغرافيةً وتأريخاً.. يهتم بهما، ويقـرأ عنهـا، ويبحث فيهـا، ويكتب الأبحـاث القيِّمـة حولهـا. وهـو ـ قبل هذا وذاك ـ **متخرِّج من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة المكرمة**، فهو إذن قد جمع «المجد» من أطرافه وزواياه.

يقول المؤلِّف الفاضل ـ في مقدمة كتابة المؤلف من (٤٥٠) صفحة تقريباً:

● «للعرب في ذكر الديار شؤون، ولهم في أوصافها وبكائها واستنطاقها رصيد جم من القول الرصين، والبيان المبين، يذكرون مدارج الصبا، ومسارح الطفولة، ومهد النشأة، فيـذكـرونهـا، ويذكرون مناجاة الحبيب، ومناغاة الأليف، ومنادمة السمر وشكاية الوجد. فيـذكـرونهـا ويـذكـرون الـروض الأنف، والزهرة الفواحة، والطائر الغَرِد ونسيم السحر، وجلوة القمـر، فيـذكـرونهـا، ويـذكرون العيش ضحك دهره، واستجابت معطياته في مجر العَـوالي، ومجـرى السـوابق، وانثيـال النَعم، واقتنـاص الأوابـد. يذكـرون هذا وغـيره، فيذكرونها، ويبكون الأطلال، ويناجون الدِّمَن، ويستنطقون النؤى، ويستخبرون الأثافي».

● **إنهـا «ثـروة من تراث العـرب الأدبي ـ تختـزن رصيـداً من علوم العـرب وأيامهم وأخبـارهم وأنسـابهم، جعلت ورثة هذا التراث المعنيِّين بإحيائه وتحقيقه ودراسته يهتمون**

---

(١) أقـام رجـل الأعـمال المعـروف الأستـاذ عبدالمقصود خوجة حفل تكريم للأستاذ عبدالله بن خميس خلال شهر ربيع الثاني ١٤١٠هـ بداره في جدة ـ وقد دُعيت إلى الحديث خلالها... فتحدثت عن ذكريات الشباب ـ شبابي وشبابه عندما كان يدرس بدار التـوحيـد بالطـائف ثم في كليـة الشـريعـة بمكـة المكرمة، وكان من رفاقه الأساتذة إبراهيم الحجي، وسعيد الجندل، وعبدالعزيز المسند، وعبد العزيز السالم.

بهذا الجانب، ويحتفون به، فوضعوا فيه المؤلفات والدراسات والمعاجم، استأثرت جزيرة العرب منه بالنصيب الأوفى . . . باعتبارها مهد العرب، ومبوأ الفصحى، ومنطلق الفكر العربي . . »

● «ولقد عني المؤلفون في هذا الجانب بالمسالك والطُرُق . . . خصوصاً الطرق إلى مكة المكرمة ما بينها وبين اليمن، وبين حضرموت، ومصر والشام والعراق والمدينة والطائف وجدة واليمامة، وما بين البصرة والمدينة وما بين اليمامة والبصرة والكوفة، لِما للحرمين من قداسة تجعل المسلمين يشدُّون إليهما الرِّحال من فجاج الأرض، ويعنون بالطرق إليهما . . يحدِّدون المنازل، ويعدِّدون المراحل، وينصبون الأعلام، ويقيسونها بالبرد، ألَّفوا في ذلك نظماً ونثراً، وأعانوا على تحديد كثير من الأمكنة في الجزيرة العربية، وتدوين جغرافيتها».

أما المؤلِّف نفسه ـ فقد وضع هذا البحث القيِّم متأثِّراً منذ الصغر ـ كما يقول بِحُبِّ السير في المنازل والديار، وعِشْق التجوال في المرابع والمراتع، والعناية بتحديدها ودراستها، وذلك ـ ولا شك ـ وفاء منه لوطنه وبرٌّ بساكنيه، على حد قول الشاعر:

إذا أنت لم ترع العهود لمنزل   فلست براع عهد أهل المنازل

وكلمة «المجاز» في العنوان لا تعني نقيض «الحقيقة» . . وإنما هي ما يقطعه المسافر من طريق «بين اليمامة والحجاز» حيث التزم الأستاذ ابن خميس في كتابه ذكر ما يجتازه خط السير أو ما يبصره المجتاز يميناً وشمالاً من أعلام الأمكنة: أرضاً أو وادياً أو جبلاً أو بلاداً، أو منهلاً أو أثَراً.

وليس الذكر وحده، وإنما يضاف إليه التحديد، والاختلاف في التسمية، وما قيل فيه من أشعار، وما وقع فيه من أحداث أو قصص، وما ورد عنه من آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو آثار أو أخبار.

ولم يكتف الباحث الفاضل بمعلوماته الخاصة، ولا بمراجعه المهمة عن جغرافية جزيرة العرب وتأريخها، ولا بما تلقَّاه من الرواة مشافهةً أو نقلاً، بل نظَّم رحلات لهذا القصد، والتقى بالعارفين في كل منطقة، وطبَّق المعلومات على الطبيعة عبر هذا الطريق كله . . . عَبْرَ المجاز بين اليمامة والحجاز.

شكراً لعالمنا الجغرافي الكبير على تزويده للمكتبة العربية الإسلامية بهذا المرجع الوثيق[1].

---

(١) نشر هذا المقال بجريدة (الرياض) في ١٣٩١/٤/٢٥ هـ.

أيــام الســباعى[1]

أعاد الأستاذ أحمد السباعي طبع كتابه (أبو زامل) باسم جديد هو (أيامي)، وأضاف إليه أشياء جديدة.

إن الأستاذ السباعي لم يكن بحمد الله ـ مجنوناً ولا لصاً ولا قاتلاً، وكذلك أترابه وأنداده الذين عاشوا معه عهود الكتاتيب، والبعبع، والدُّجيِّرة لم يكونوا مجانين ولا لصوصاً ولا قتلة!!

فالأستاذ السباعي أديب جاد أكثر منه ساخراً، وله في ميدان الأدب الجدي مؤلفات قديمة.. كتأريخ مكة ـ وفكرة ـ ومطوفون وحجاج ـ والمرشد إلى الحج والزيارة ـ وصحيفة السوابق ـ وسلم القراءة ـ حتى مؤلفاته الساخرة الأخرى لها مقاصد الجد والنقد والتوجيه.

أردت بهذه المقدمة أن أقول: إن الأستاذ السباعي بخير.. ولم يكن مجنوناً، ولا لصاً، ولا قاتلاً!!

أي أن الأستاذ السباعي - الذي أقترب من السبعين ـ لم يكن (نتيجة) للمقدمات التي أتعب نفسه وأجهد قلمه ـ طيلة حياته الأدبية ـ لكي يثبت أن تربية أبويه له، وتعليم أساتذته إياه ـ في عصر الكتاتيب، والبعبع، والدُّجيِّرة ـ هي المقدمة لواقع كل مجنون أو لص أو قاتل عاش نشأته الأولى في تلك البيئة اللئيمة الذميمة كما يصوِّرها هو وبأسلوبه الجادّ أحياناً، وبأسلوبه الساخر أحياناً أخرى.

الواقع ـ وأرجو أن لا يغضب أستاذي السباعي ـ أنه حاول عبثاً ليثبت أن أسرته ومدرسته القديمتينْ المحافظتين.. قد أساءتا تربيته وتعليمه، كما أساءت نفس الإساءة أُسَر ذلك الجيل ومدارسه إلى أنداده وأترابه.

حقاً لقد حاول عبثاً، وفشل فشلاً واضحاً.. لماذا؟ لأنه كان هو نفسه وكان أترابه وأنداده ـ ومعظمهم أحياء يُرزقون يملأون دنيانا أدَباً رزيناً، وعلماً غزيراً ـ كانوا ولا يزالون (واقعاً) مناقضاً أو (نتيجةً) معكوسة.. للمقدِّمات التي أتعب الأستاذ السباعي نفسه،

---

(١) كررت القول كثيراً في مقالات وكلمات متعددة بأن الأستاذ السباعي أستاذي الذي احتفظ له بالمودة والاعتراف بالجميل، وهذه الكلمة مجرد حوار بين تلميذ وأستاذه ـ رحمه الله ـ وأجزل مثوبته على ما بذل من جهد تربوي وتعليمي وفكري وأدبي. وقد نشر هذا النقد في حياته.

وأنصب قلمه في تصويرها بأبشع الصور.

إن **الأستاذ أحمد أمين** ـ يرحمه الله ـ يذكر أيامه في (**الكتَّاب**) كما يذكرها السباعي تماماً. فيقول في ختام ترجمته: (.. وأخشى أن نكون قد أفرطنا ـ أيامي ـ في الخشونة وأفرطنا أيام أبنائي في النعومة، والحياة ليست جداً محضاً، ولا هزْلاً محضاً، ولا نعيماً صرفاً ولا شقاء صرفاً، وخير أنواع التعليم ما صوَّر صنوف الحياة).

ولم يقل **الأستاذ أحمد أمين** إن التعليم في عهد «**الكتاتيب**» كان متخرجوه مجانين أو لصوصاً أو قتلةً.. ولم يسيء الظن أو الرأي في **شيوخ «الكتاتيب»** والآباء والأمهات كما فعل الأستاذ السباعي ـ عفا الله عنه -

أستاذي السباعي: رفقاً بوالديك.. وقل رب ارحمهما كما ربيَّاني صغيراً، وإنصافاً لنفسك ولأترابك وأندادك فأنتم (نتائج) تنشئة جادة حازمة دؤوب، وحملة أفكار وأقلام.. قلما جاءت بأمثالها عهود التحرر والتجديد.. عهود تكاسل المعلِّم، وتغافل الوالد، وعبث الوليد.

وتحية لوصالك (الإنتاج) الفكري بجدٍ وإخلاص[1].

شوقي.. وأمارته للشعر؟!

مازالت حملة الدفاع عن (**شوقي**) وعصره مستمرة في صحفنا ومجلاتنا، تعقيباً على **الدكتور غازي القصيبي.. الذي اتهم شوقي وعصره بالتخلف الفكري والأدبي..** حيث قال: (**أعتقد أن التخلف الفكري أيام شوقي هو الذي دفع بعض الناس إلى انتخابه أميراً للشعراء، وتخلف أحمد شوقي الفكري هو الذي دفعه أيضاً إلى قبول هذه الأمارة) الخ**

وقد حمل لواء الدفاع عن شوقي وعصره **الأستاذ حامد عباس**، وتابع دفاعه في أعداد متتالية من (**عكاظ**) وممن قرأت لهم تعقيبات دفاعية **الأستاذ أحمد شريف الرفاعي** الذي كتب كلمة **في جريدة «الشرق الأوسط»** بعنوان (**شوقي ملك الشعراء.. وليس أميرهم**)[2].

---

(١) نشرت هذه الكلمة بجريدة (المدينة) في ١٦/٥/١٣٩٠ هـ.

(٢) الشرق الأوسط ٢٧/٣/١٤٠٢ هـ.

كما قرأت أيضاً للشاعر السوداني **الأستاذ أبي القاسم عثمان** دفاعاً مجيداً عن شوقي وعصره، وعن **العهد العثماني** الذي غمزه **الدكتور القصيبي** في كلامه عن شوقي - وذلك في جريدة «**الندوة**» تحت عنوان **مازال المتنبي ملك الشعراء. وشوقي أميرهم**[1].

ومن المسلمات: أن اتهام شوقي وعصره بالتخلف الفكري أمر ينكره الواقع التأريخي لذلك العهد الأدبي الذهبي، حيث عاش في ذلك العهد عمالقة الأدب وأركان الفكر أمثال **حافظ إبراهيم - وخليل مطران - وإسماعيل صبري - والعقاد - وطه حسين - والزيات - وأحمد أمين - والرافعي - والمنفلوطي - والبشري - والمازني - وشكري - والحكيم** - وغيرهم .. ممن لاتزال دواوين شعرهم وكتبهم ومذاهبهم الفكرية هي المدرسة الأولى والقدوة المفضلة للأجيال التالية.

وأنا لا أريد أن أكرِّر دفاع الأساتذة **حامد عباس، وأحمد شريف الرفاعي، - وأبي القاسم عثمان** - وحسبهم أن الواقع التاريخي معهم تأييداً وتأكيداً.

وإنما أردت بتعقيبي الآن أن أفسِّر أو أعلِّل اتجاه **الدكتور القصيبي** إلى الاتهام (بالتخلُّف) لشوقي وعصره - في المجال الأدبي - استنباطاً من غمزه ولمزه للعهد العثماني الذي عاش شوقي وأقرانه في أواخره - واستدلالاً (بسابقةٍ) **للدكتور القصيبي** في القضية ذاتها.

فالعهد العثماني - على الرغم مما قاله عنه الجهلاء من المسلمين أو السفهاء من أعداء الإسلام - كان عهد الوحدة الإسلامية التي كانت (بعبعاً) للاستعمار الغربي والشرقي، وحافزاً في الوقت نفسه للتآمر على عثمانيا وعلى الخلافة الإسلامية .. حتى قضوا عليها، وتقاسموا تركتها بينهم .. وتمزَّق العالم الإسلامي شر ممزق - وبخاصة العالم العربي .. الذي مازال يعاني حتى اليوم من تباعد أهداف حكَّامه، واختلاف كلمتم، وتفرق صفوفهم .. لسببٍ واحد: : هو هجرهم للإسلام عقيدةً وشريعةً وسلوكاً.

فالدكتور القصيبي غير راض عن العهد العثماني لأن وجهة هذا العهد وجهة دينية، وسياسية على نفس النهج، وشوقي - رحمه الله - امتاز بروائع إسلامية مازالت تتردد في سمع الزمان عبر الإذاعات والصحف والمجلات والأشرطة منها قصيدة:

- **ولدى الهدى فالكائنات ضياء !**
- **إلى عرفات الله ياابن محمد !**

---

(١) الندوة يوم ١٤٠٢/٣/٣٠ هـ.

● إلام الخلف بينكما إلام !

هذا إلى جانب روائعه الوطنية والعربية والسياسية التي كان يصوِّر فيها أحداث العالم العربي والإسلامي، ويستنهض الهِمَم والعَزائم نحو الحرية والاستقلال.

وأستطيع أن أقول إن بيتاً من شعر شوقي كقوله:

وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني إليه في الخلد نفسي

يساوي مئة ديوان مما نقرأ من شعر عصري!!

ولا أريد أن أطيل في التمثيل والتدليل على مقام شوقي الأدبي الذي حطَّ منه **الدكتور القصيبي** بغير حق.

وأذكر الآن (السابقة) التي سبقت **للدكتور القصيبي** في هذا المجال.. مجال «**الاتهام بالتخلُّف**» - مما جعلني أقول إن لديه (عقده) نفسية للاتهام السريع المتتابع بهذه التهمة الوهمية التي لا أساس لها ولا دليل عليها.

● هذه (السابقة) جاءت في حديثٍ **للدكتور القصيبي** مع صحفي أمريكي نشرته صحيفة أمريكية، ونقلته مجلة (**الاعتصام**) المصرية قبل بضع سنين - قال فيه **الدكتور القصيبي** «إننا عشنا في تخلف خلال ثلاثة آلاف سنة»!!

ونسي معاليه أن هذا الاتهام للعرب أو للمسلمين جميعاً، أو للسعوديين وحدهم - يعني إتهامه للإسلام بالتخلُّف أيضاً.. إذ لم يمض عليه إلا أربعة عشر قرناً - أي (١٤٠٠) سنة - هذا في الوقت الذي يضع عمالقة الفكر والأدب والتأريخ في أوربا من غير المسلمين - المؤلفات والكُتُب والموسوعات العلمية عن حضارة العرب والحضارة الإسلامية، وفضلها على العالم منذ أشرقت شمس الإسلام على الأرض قبل (١٤٠٠) سنة فقط.

وهكذا نجد أن هناك (عقدة) إتهام بالتخلُّف عند الدكتور القصيبي ليس لشوقي ولا لعصره، ولا للعهد العثماني فحسب - بل للحضارة الإسلامية عبر أربعة عشر قرناً من الزمان[1].

---

(١) نشرت هذه المقالة بجريدة (عكاظ) يوم ٢٣/٤/١٤٠٢هـ.

هل يبدأ الأديب شاعراً ؟

قرأت «بـاغتبـاط» مقـالـة الصـديق الكـريم ، والـزميل القديم : **الأستاذ عبدالعزيز ساب** ، في جريـدة «**البـلاد**» المؤرخـة ١٣٨٢/٢/١٥هـ وقـد شملني فيه بذكر طيِّب ، فله شكري الطيِّب!

قال الزميل الصديق :

(أذكر رأياً سمعته من الصديق **الأستاذ أحمد محمد جمال** ـ أيام «**البلاد السعودية**» ـ بأن الأديب ينبغي أن يكون شاعراً ، ومن ليس بشاعر فهو غير أديب) .

وأضاف **الأستاذ الساب** :

(تـرى هل بقي الأستـاذ الصـديق على رأيـه ، أم أنه غيَّر رأيه وسط زحمة الأحداث ، وضرورة ملاحقتها في هٰذا العصر، وهل لايزال الأديب في رأيه كما كان منذ عشر سنوات ونصف)؟

وأجاب الزميل نفسه على تساؤله بقوله :

(إنني أكاد أجزم بأن نظرته ـ يعنيني ! ـ قد تبدَّلت ، وبأن عهده بالأدب والخيال والشعر قد انتهى ، وأكبر دليل على ذلك ما يكتبه الأستاذ اليوم من أحاديث سياسية ، وموضوعات اجتماعية هي أولى بالعناية ، وأجدر بالحديث) .

انتهى كلام الزميل الصديق **الأستاذ الساب** .

وقـد هاج بي ذكـريـات حلوةً من ماضي زمـالتنـا في تحرير «**البلادالسعودية**» **التي كان يرأس تحريـرهـا الصـديق الأستاذ الكبير عبدالله عريف** ، فَرْعياً لها من أيام مُسْعدة ، وسقياً لصداقاتها وزمالاتها المُخلدة!

أمـا حديث **الأستـاذ السـاب** عن الشعـر، ورأيي فيـه قديماً، وتساؤله عن موقفي منه الآن، فأكتفي بالتعقيب التالي في سطور موجزة .

● رأيي الآن الذي يذكره الصديق . . هو أن الأديب في الأعم الأغلب يبدأ شاعراً ـ لا أن الأديب ينبغي أن يكون شاعراً وإلا فما هو بأديب، ودليلي على رأيي هو أن كثيراً من أدبـائنـا السعـوديين بدأوا شعراء ثم اشتغلوا بالنثر، وانصرفوا عن الشعر . . وفي مقدمتهم

الأساتذة عبدالله عريف، ومحمد عمر توفيق، وعلي حافظ، ومحمد علي مغربي، والساسي، والزواوي، والرفاعي، وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم الآن.

وكذلك شأن الأدباء العرب أيضاً كالعقاد، والمازني، وزكي مبارك، وأمثالهم فقد بدأوا شعراء ثم انصرفوا عن الشعر إلى النثر.

وعلة ذلك ـ كما ذكر الأستاذ الساب نفسه ـ ازدحام الحياة بأسباب هذا الإنصراف عن نظم القوافي وتصيد كلمات القافية الواحدة، ومراقبة الأوزان . . بما يشبه المخاض!

إن ازدحام الحياة بالمشكلات والمطالب الحيوية للمجتمعات أرغم هؤلاء الأدباء على الإندفاع في تيارها، والاشتراك في معالجة شؤونها . . بالأسلوب السهل الميسَّر ـ وأعني به النثر!

وبالمناسبة كنت قد أصدرت مجموعة أشعاري في عام ١٣٦٦هـ باسم (الطلائع) على أمل أنه الجزء الأول، وأني سأتبعه بأجزاء أخرى، فإذا به رغماً عني يكون (الخواتيم) فلم أعد أطيق الانحباس لنظم بيت واحد من الشعر؟[1] .

وشكراً للأستاذ الساب، ورعياً لأيامه وذكرياته.

النقد .. بين التقريظ والتجريح

وجهّت جريدة (البلاد) السؤال التالي إليّ، ونشرت الإجابة في عددها الصادر يوم ٢٣/٢/١٣٩٤هـ:

(دوافع النقد عندنا لا تكاد تعدو، أحد أمرين:

١ - التقريظ ودوافعه أو بواعثه: المجاملات الشخصية!

٢ - التجريح ودوافعه الأغراض الشخصية!

فهل توافقون على هذا الرأي؟)

(ثم ما هو السبيل إلى نقد علمي بنّاء متجرد، مع ملاحظة وجود ظاهرة تبرّم أدبائنا بالنقد؟).

---

(١) أعيدت طبعة ديوان (الطلائع) عن طريق نادي مكة الأدبي الثقافي سنة ١٣٩٧هـ بعنوان آخر هو (وداعاً أيها الشعر) . . وأوضحت السبب في مقدمته الثانية.

وقد أجبت على سؤالي الجريدة بما يلي:

قد يكون رأي الأستاذ علي العمير: أن بواعث التقريظ مجرد المجاملة الشخصية، ودوافع التجريح مجرد الانتقام الشخصي - صحيحاً فيما يغلب من نقد، أو هو غالب على (نقد) أدباء الشباب المبتدئين، أو هو كذلك - غالبٌ على ما يكتبه بعض شيوخ الأدب الحاقدين بعضهم على بعض.

ولكن ذلك ليس عاماً وشاملاً كل ما تنشره مجلاتنا وصحفنا من (نقد) فمازال بيننا - بحمد الله - من يكتب نقداً صحيحاً يحمد فيه الصواب ويمقت الخطأ، ويميز بين الخبيث والطيب، ويعرض جوانب الأثر الأدبي المشرقة والمظلمة.

ولا أريد أن أسمي أحداً لأني لا أستطيع الإحصاء والاستقصاء، وأخشى أن أنسى بعضهم فيتهمني بظلمه.

والسبيل إلى إيجاد نقدٍ علميٍ بناء كما يسأل **الأستاذ العمير** - هي أن تُوجد أولاً مجلات أدبية وعلمية تنشر الآثار الفكرية الناضجة المتكاملة، وأن نُثير فيها الحوار الدائم بين العلماء والأدباء، وأن نُبعد عن هذا الميدان الصبيان والغلمان، الذين رفعتهم صحفنا مكاناً علياً بما تنشر لهم من آراء وكلمات، وتخرجها في إطارات فخمة ضخمة، مع صورهم - دون تمييز بين الأقوياء الكبار والناشئة الصغار، وهي كما تجني على الأدب والفكر ومستقبلهما في بلادنا . . تجني - في الوقت نفسه - على هؤلاء الصبيان والغلمان، وتُوهمهم أنهم أصبحوا أدباء كباراً - وفي ذلك ما فيه من غرور يضرّهُم ولا ينفعهم.

وأنا لا أعني بذلك أن لا تُشجعهم وتَحُثّهم على مزيد من الدراسة والقراءة وتغذية عقولهم بالأفكار الطيبة، وتعويد أقلامهم على الأسلوب الجميل، وإنما أعني ألا تَسبِق بهم زمانَهم، وألا تشطح بخطواتهم قبل أن يئين الأوان.

إن (النقد) المكين وليد «الأدب» المتين، وفاقد الشيء لا يعطيه، وإنك لا تجني من الشوك العنب . . وشكراً للأستاذ العمير.

الحوار بين الجاسر والأنصاري
حـــول « جيـــم » جـــدة

عجبت لبعض القـراء - ولا أسمِّيهم كُتَّـاباً - الـذين أنكـروا على الأديبيْن الكبيرين الشيخـين حمد الجـاسـر، وعبـد القدوس الأنصاري أن يطول بينهم الجدل والحوار، حول «جيم» جدة هل تُضَمُّ أو تُكْسر؟ وزعموا أنه موضوع تافه يثار في وقت تتسابق فيه المراكب الفضائية الروسية والأمريكية، إلى سطح القمر!!

هؤلاء القراء أو الكُتَّاب مجازاً - مساكين . . وذلك :

● **أولاً** : لأنهم لا يعلمون أو لا يفهمون أن تقييم[1] «الشيء» مادياً كان أم معنوياً أمرٌ نسبي، أي تختلف فيه الموازين باختلاف أصحابها، فما يراه زيدٌ جليلاً يراه عمرو حقيراً، وما يجده الأول سعادةً يجده الآخر شِقْوةً، كما يمقت فلان - مثلاً هُواة جمع الطوابع، بينما يراهم عِلّان أعقل العقلاء.

● ثانيـاً : يجهـل هؤلاء المنكـرين للحـوار الفكـري والجـدل الأدبي . . أنّ الأدبـاء والكُتّـاب في روسيـا وأمـريكا المتسابقتين إلى غزو الفضاء الخارجي . . لم يُطلّقوا أفكارهم وحـوارهم وجـدلهم ثلاثـاً حتى ولا واحـدة من أجـل اشتغـال الـدولتيْن الكبيرتيْن بإطلاق الصواريخ وإرسال المراكب . . لغزو الفضاء أو كشف القمر.

● **ثالثاً** : إن التنـاقـد الـذي تدور رحـاه بين أديبيْنا الكبيريْن، لم يقتصر على «جيم» جدة . . بل تعـدَّاهـا إلى مبـاحث ودراسـات تأريخيـة ولغوية مهمة يعجب لها ويطرب بها الباحثون المخلصون لرسالة الفكر وصناعة الأدب.

إنني شخصياً اتتبع هذا الحوار الرائع بين الأديبين الكبيريْن، وأطرب له وأعجب به، وأعدُّه كسْباً ثميناً لأدبنا، وبعثاً له من رقاد، وتنشيطاً من كسل، وتقوية من ضعف.

فقـد طال الأمـد على أدبنـا وعلى الأدب العـربي بعامةٍ، وهو ينحدر نحو «سطحية»

---

(١) يستنكر بعض الأدبـاء استعـمال (تقييم) بدلاً من (تقـويم) ومعهم الحق من حيث الاصطـلاح اللغوي القديم . . ولكن الاصطـلاح اللغـوي العصـري أو الحـديث يقتضي التفـريق بين (تقويم) بمعنى إصلاح الاعوجاج وبين (تقييم) بمعنى التقدير والتثمين - من القيمة.

الفكـر، و«عـاميـة» التعبـير، واستـوى الكبار والصغار، والشيوخ والفتيان فيما يقرأون وما يكتبون وما يفكرِّون.

وافتقدنا خلال السنوات الماضية «حيوية» الأدب العربي، التي كانت تغذيها وتحركها الخصـومـات الفكـريـة بين الـرافعي والعقاد، وبين زكي مبارك، وأحمد أمين وبين سباعي بيومي، وزكي مبارك، وغيرهم.

وبعـد، فليت الـذين استنكـروا حوار الجـاسـر والأنصـاري، على ما فيـه من متعـة فكـريـة، ونفع علمي - أنكروا، مثلاً، الإسراف في اللهو واللعب، والاهتمام بتوافه الأمور وسفسافها. واحتجوا - ومعهم الحق الصراح - بجد الآخرين . . في غزو الفضاء واكتشاف القمر . . وأضافوا إلى ذلك حجة أخرى وهي أقوى . . حجة مكائد الشيوعية والصهيونية والصليبية التي تخطَّط وتُنفَّذ في ديار المسلمين.

وستكون لهم - عندئذ - أسوة حسنة في الصحافة الأمريكية التي أنكرت مثل هذا اللهو العبث، محتجةً بأن أبناء الأمريكيين يقتلون في فيتنام[1]

تعقيب الأستاذ حمد الجاسر

سأل الأستاذ على العمير محرر صفحة الأدب بجريدة «البلاد»، الأستاذ الكبير حمد الجاسر هذا السؤال:

● ما رأيكم في المعارك الأدبية هل تخدم الأدب أم لا؟

وكـان الجـواب فوريـاً وحـاميـاً: أستغرب هذا السؤال إذ لا أعتقد أن أي أديب ينكر هذا، ذلـك لأن الأدب لا ينمـو ولا يقـوى ولا يبلغ المستـوى المفيد مالم يكن قوي الحركة، نشيطها مندفعاً بكل وسائل الاندفاع نحو ما يؤمِّن له حياته القوية!

إن كل أمـر في الحيـاة مهـما كان . . لا يمكن أن يستقيم حتى يمارس من النشـاط والحيوية جميع الوسائل - والخمول ما هو إلا الموت لأي أمرٍ كان!!

وإذن فكيف يصح أن نتساءل عن أثر المعارك الأدبية؟

إن الحياة ما هي إلا عِراك وكفاح ونشاط وقوة!؟

---

(١) نشرته (عكاظ) في ٢٩/٢/١٣٨٦هـ

ثم أضاف **الأستاذ حمد** قوله: إننا نجد في كُتَّابنا وباحثينا من ينظر إلى الأمر نظرة تخدم أدبنا خدمة صحيحة، وتتفق مع واقعنا ومن هؤلاء أخونا وصديقنا **الأستاذ أحمد محمد جمال** الذي أشار في إحدى محاضراته إلى الموضوع قائلاً: لقد عجبت أن ينكر (بعضهم) على الأديبين الكبيرين (**الأستاذين حمد الجاسر وعبد القدوس الأنصاري** أن يطول بينهما **الجدال** والحوار حول «**جيم**» جدة **هل تُضَم أو تُكْسَر**.. وأن يزعم هذا (البعض) انه موضوع تافه يثار في وقت تتاسبق فيه المراكب الفضائية في روسيا وأمريكا إلى سطح القمر.

(وقد جهل هؤلاء المستنكرون للحوار والجدل الأدبي أن الأدباء في روسيا وأمريكا المتسابقتينْ إلى غزو الفضاء الخارجي لم يطلِّقوا أفكارهم ثلاثاً حتى ولا واحدة من أجل اشتغال الدولتين الكبيرتين بإطلاق الصواريخ وإرسال المراكب لغزو الفضاء أو اكتشاف القمر!

(وفاتهم أن يدركوا أن التناقد بين الأديبينْ الكبيرينْ لم يقتصر على «**جيم**» **جدة** بل تعداها إلى مباحث ودراسات تأريخية ولغوية مهمة.. يعجب لها ويطرب بها الباحثون المخلصون لرسالة الفكر وصناعة الأدب.

(إنني شخصياً قد تتبعت الحوار الرائع بين شيخين من شيوخ الأدب في بلادنا، وطربت له، وأعجبت به، وعددتُه كسباً أدبياً ثميناً لأدبنا، وبعثاً له من رقاد، وتنشيطاً له من كسل، وتقويةً من ضعف).

وختم **الأستاذ حمد الجاسر** إجابته **للأستاذ علي العمير** بقوله:

إن الأستاذ أحمد يدرك أننا بحاجة إلى تصحيح كثير من مفاهيمنا عن الأدب وعن الأدباء في بلادنا، ويدرك أننا لانزال منذ أن وجد بيننا من نسميهم كُتّاباً وأدباء لانزال نجتر أفكار هؤلاء ونعيش على حساب ما نعتقده أدباً في حقبتنا الماضية من حياتنا الأدبية، وهي حياة يجب أن نغيرَّ نظرتنا نحوها[1].

---

(١) نشرتها (البلاد) في ٢٧/١/١٣٨٨هـ

حوار أدبي .. حول تعبيرات لغوية !

أصدر الشاعر المعروف **الأستاذ أحمد قنديل** كتاباً بعنوان **(كما رأيتها)** تحدَّث فيه عن مصر ـ وانتقد **الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار** . . **الأستاذ قنديل** في بعض عباراته . فأحببت أن أدخل معهما في هذا الحوار الأدبي اللغوي .

الأستاذ العطار انتقد العبارة الآتية في كتاب الأستاذ قنديل :

(وللتكسيات وسائقيها في الأسكندرية شارة وتقليد يمتازان بهما) فقال : (إن الضمير في «**يمتازان**» مردَّه إلى التاكسيات وسائقيها ، والصحيح أن يقول «يمتازون» لأنه يعود على السائقين وتاكسياتهم وهم جمع) !

ثم قال الأديب الكبير : إن الضمير إذا عاد إلى جمعيْن أحدهما مذكَّر والثاني مؤنث عاد إلى الجمع المذكر تغليباً على المؤنَّث .

وهكذا يخطِّىء الأستاذ **العطار الأستاذ القنديل** في التثنية (يمتازان) لأنها عائدة إلى الجمعيْن (التاكسيات وسائقيها) - وعبارة الأستاذ قنديل في رأينا صحيحة ـ يقول **العلامة أحمد بن فارس** من أئمة اللغة في كتابه (**الصاحبي في فقه اللغة وسنين العرب في كلامها**) ص (١٨٢) : العرب تذكر جماعةً وجماعة ، أو جماعة وواحداً ثم تُخبر عنهما بلفظ الاثنين ـ يقول **الأسود** :

إن المنيَّة والحُتُوف كلاهما يوفي المخارم يرقيان سوادي

وقال الآخر :

ألم يحزنك أن حبال قيس وتغلب قد تباينتا انقطاعا

وقد جاء مثله في القرآن الكريم : **﴿أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانت رتقاً ففتقناهما﴾ أهـ.**

وقد أورد **الثعالبي في «فقه اللغة»** هذا البحث ص(٥٠٢) ثم روى بيت **الأسود** على الوجه التالي ـ وهو واضح : -

إن المنايا والحتوف كليهما في كل يوم ترقبان سوادي

وفي ص (٨) قال الأستاذ قنديل «عشائريينَّ» فاعترض **العطار** وقال : **إن صحة النسبة هنا إلى المفرد وهو «عشيرة» والصواب أن يقال «عشرَي»** .

وكلام **الأستاذ العطار** صحيح فالقاعدة النحوية: أن ينسب إلى المفرد ـ ولكن بشروط منها ألا يكون المنسوب إليه عَلَماً أو شبيهاً بالعلم، أو لم يكن له مفرد من لفظه فإن النسب يكون إلى لفظه.

و«عشائر» هذه علم على القبائل التي تسكن خارج الحضر، ويقال في حديث الناس دائماً كنت في «العشائر» أو حدث كذا في العشائر أو هذا شأن العشائر ويقصد سكان خارج الحاضرة ـ وإذاً فالنسبة إلى هذا الجمع تكون «عشائري» تماماً مثل كلمة «الأنصار» وكلمة «مدائن» فإن النسبة إليها بلفظها جمعاً فيقال أنصاري، ومدائني . . وحتى لفظة «الملوك» ينسب إلى لفظها فيقال «ملوكي» وإلا لو نسب إلى مفردها لظن أن النسبة إلى مَلِكٍ بِذاته كأمرٍ ملكي صدر من ملكٍ بعينه أما «ملوكي» فتعني ما هو من عادات الملوك وأخلاقهم.

وقال الأستاذ العطار: «يقول القنديل» في ص (١٥) (وبواسطة شاب مصري استطعنا الدخول) الخ، وكلمة واسطة لا تؤدِّي معنى الوساطة بل مَعْنَاها الجوهر الذي في وسط القلادة.

واستعمال **الأستاذ القنديل** لفظة «واسطة» في هذه العبارة بمعناها الذي أراده يقال في الاصطلاح البلاغي «بجامع كذا في كل» أي بشيء جامع لكذا في كل أو بجامع كذا في كل، ثم إن إطلاق «واسطة» بمعنى طريقة أو وسيلة صحيح أيضاً، وكفى بِقَوْلِ **الإمام الرازي** المفسر المشهور عن **ابن أم مكتوم** بأوائل سورة «عَبَسَ» وكان يعرف بواسطة كلام النبي لهم ـ أي كبار قريش ـ شدة اهتمامه بهم الخ). وبالمثل السائر «**الغاية تبرر الواسطة**» دليلاً على صحة الإطلاق واستساغه المجاز.

نظام الشعر .. ليس قيداً!

بعثني لكتابة هذا التعقيب السريع ما قرأته في جريدة «الرياض» يوم ٢٩/٧/١٤٠٨هـ لأديبنا الكبير **الأستاذ عزيز ضياء** تعليقاً على رأي **الشاعرة العراقية نازك الملائكة في نظام الوزن والقافية** . . الذي يحكم الشعر العربي، والذي يعيبه الحداثيُّون وأنصار الشعر الحر، ويحاولون هدمه، واستبداله بحرية فوضوية لا يتميَّز معها الشعر من النثر.

الأستاذ الكبير عزيز ضياء يعلق على **نازك الملائكة** حول تحكُّم سلطان القافية في الشعراء تحكُّما لا يسمح بتدفق خواطرهم ومشاعرهم كما يريدون ـ هكذا تزعم **نازك**

الملائكة والأستاذ عزيز يهمش على وجهة نظرها تهميشاً عائماً لا يعلن فيه تأييداً ولا رفضاً . . ولكنه يختم مقاله المطوَّل بما يشعر أنه يؤيِّد نازك **الملائكة** في رأيها عن **ناظم القافية والوزن في الشعر العربي** . . حيث أنذر الشعراء، والأدباء بعامة، بأن عصر السرعة الذي نعيشه سوف يرغمنا على ترك الكثير من التقاليد الفكرية وربما نظم الشعراء قصائدهم غداً بواسطة الكمبيوتر!!

والذي كنت أتمناه ـ لفرط مودتي وإجلالي **للأستاذ عزيز ضياء** ـ أن يكون صريحاً في الإدلاء برأيه عن نظام الشعر العربي ـ أي القافية والوزن ـ فإما أن يكون تقليدياً محافظاً، أو متحرِّراً منطلقاً في ركب الحداثيين والشعراء الأحرار.

وإذا كان لي من حق في إبداء وجهة نظري في قضية **نظام الشعر** . . **فأنا أرى**:

● **أولاً** : أن هذا النظام ليس خاصاً بالشعر العربي، بل هو نظام الشعر في الآداب العالمية الأخرى. كالأدب الإنجليزي مثلاً - **والأستاذ عزيز ضياء** يعرف ذلك أكثر مني . . أي أنه يعرف أن الشعر الإنجليزي الأصيل يلتزم الوزن والقافية، ومثله الشعر الفرنسي، والروسي، والصيني، والهندي، وأمثاله في الآداب الأخرى.

● **ثانياً** : إذا سلَّمنا بأن هذا هو نظام الشعر في كل الآداب العالمية، أو معظمها ـ يجب أن يتضح في أذهان المخالفين أو المتحررِّين من كل القيود والتقاليد والأنظمة ـ أن الأدب العربي ـ كغيره من الآداب الإنسانية ـ ينقسم أو يتنوَّع إلى أنواع أربعة: نثر ـ وشعر ـ وقصة ـ وأمثال، ولكل نوع نظامه ومبادئه وأشكاله التي يتميز بها عن النوع الآخر، وإلّا كان الكلام والأدب خلْطاً وخبْطاً.

ونظام الوزن والقافية في الشعر العربي هو الشكل أو الوجه، وهو الموسيقى التي يتلذَّذُ بها السمع والذهن، وتطرب لها النفس، وتهتز المشاعر . . على حد قول الشاعر العراقي **«الزهاوي»**:

إذا الشعر لم يهزك عند سماعه   فليس جديراً أن يقال له شعرُ

والمعنى: هو الباطن أو القلب . . ولا شك أنه مُهِمٌ لمشاركة الشكل والوجه في إرسال موسيقاه المؤثِّرة الفعالية.

والوزن والقافية ليسا صعبينْ ولا عسيرينْ إلّا على الشعراء الضِعَاف العِجَاف، أو **«المِفلسين»** كما يسميهم **الأستاذ العقاد** رحمه الله، ويضيف إلى وصفهم بالإفلاس أنهم جَهَلَةٌ عاجزون . . وهو يقصد المتقِّيئين بالشعر الحر.

وما أصدق الأستاذ أنيس منصور ـ الكاتب الصحفي المعروف ـ عندما قال: «هناك نوعان من العذاب: أن تقرأ شعراً رديئاً ـ أو تقرأ شعراً حراً، وإن هؤلاء الشعراء الأحرار مثواهم السجون أو العزلة حيث لا يقرأ لهم أحد، وإذا فعلها مرة فلن يعود».

والخارجون على النظام ـ حتى في الكلام ـ هم مرضى العقول، وحمقى النفوس بلا جدال(١).

الصحافة .. بين رأيين

● صحافتنا أدبية .. ككل صحافة في العالم

● الجامعيون موجودون .. ولكن؟

قبل أن أبدأ مناقشتي لوجهة نظر الصديق الكبير **الأستاذ عبدالله عريف** حول صحافتنا ـ أود صادقاً أن أحييه، وأرحِّب به، وأذكر بالخير زمالتنَا الصحافية القديمة الكريمة في جريدة **«البلاد السعودية»**.

وأرجو ـ بعد هذه التحية والترحيب والذكرى: أن يتقبَّل مناقشتي لرأيه بصدره الرحب الذي عهدته، ونفسه السمحة التي بلوتها.

يقول **الأستاذ عريف**: الواقع أن صحافتنا صحافة أدبية ثم يعلِّل ذلك: «بأن صحافة بلد ما، هي الصورة الحقيقية لواقع حياته ـ وواقع حياة مثقفينا أو من يمارسون منهم الكتابة والنشر واقع أدبي محض ... أكثرهم إن لم يكونوا جميعاً أدباء، فتحوا أعينهم على القراءة الأدبية، ثم اتصلت قراءاتهم بعد ذلك بما ينشر ويذاع ويكتب **للعقاد، وطه حسين، وهيكل، والرافعي، والزيات، والتابعي، والحكيم، وفكري أباظة، وشوقي، وحافظ، والرصافي، والزهاوي** الخ».

فأما أن صحافة بلد ما هي الصورة الحقيقية لواقع حياته: فحق لا مراء فيه، وهو حكم مرادف لحكم **«ويكهام استيد»** في كتابه **(الصحافة)** فهو يرى: أن لكل أمةٍ صحافتَها التي تستحقها.

●فنحن نستحق صحافتنا .. وصحافتنا صورة حقيقية لواقع حياتنا، ولكن ليس على

---

(١) نشرتها (المدينة) في ١٤٠٨/٨/١٠هـ

الأساس أو العلة التي بنى عليها **الأستاذ عريف** هذا الحكم، أي أن الحكم صحيح ولكن الحيثية هي محل الاختلاف.

فليست صحافتنا أدبية لأن الذين يمارسون الكتابة في صحفنا نشأوا نشأة أدبية محضة بما قرأوا ودرسوا من أدب **العقاد وطه حسين**، وصحافة **التابعي**، **وفكري أباظة**، وشعر **الزهاوي**، **وشوقي**، مثلاً.

ولكن صحافتنا أدبية.. لأنها ـ ككل الصحافات في العالم ـ تطُّور حديث لمدلول الأدب القديم.

أعني أن ما نطلق عليه اليوم اسم «الصحافة» هو ما كنا نطلق عليه اسم «الأدب» قديماً - الرسالة نفس الرسالة، والوسيلة ذات الوسيلة، مع اختلاف يضعف أو يقوى اقتضاه تجدد الزمان، وتطور الإنسان، وتقدم العرفان.

وإلّا فأين «الأدب» اليوم كما كنا ندرسه قبل خمسة عشر عاماً فيما تصدره مصر ولبنان من كتب ومجلات؟

ألم يتجه الأدباء هناك ـ في زحمة الصحافة وانتشارها وازدهارها إلى الكتابة في النقد السياسي والإصلاح الاجتماعي؟

إنه اتجاه عام جارف في الصحافة العربية، بل في صحافة العالم كله ـ هجر الكُتّاب والمفكرون أساليبهم القديمة في محادثة الجماهير إلى الأساليب الصحافية السريعة، حتى الشعر والقصص لم يعد لهما المكان الأول، وما نقرأه منهما يتّجه نفس الاتجاه: السياسة والاجتماع.

وإذا سلّمنا بأن «أدب الأمس» هو «صحافة اليوم» فماذا على صحفنا من ضير أن تكون أدبية كزميلاتها في العالم العربي بل في العالم كله؟

● إن معظم ما نقرأه في صحف مصر ولبنان ـ مثلاً ـ أدبي.. وهذه صحف دار **أخبار اليوم** ـ كمثال قريب ـ تملؤها أدبيات **التابعي**، **والعقاد**، **وسلامة موسى**، **والنشاشيبي**، **وموسى صبري**، **وأنيس منصور**، وقليلاً ما نقرأ فيها موضوعات اقتصادية أو علمية بحته أو فلسفية خالصة!

وكذلك مجلات «**دار الهلال**» تغمرها المشكلات الاجتماعية والسياسية، وتنحسر عنها ـ بأقلام **فِكري أباظة**، **وبنت الشاطيء**، **وأمير قطر**، **وحسن جلال**.. وأمثالهم من المحررين والمندوبين.. ولو ذهبت أضرب الأمثال لضاق المجال.

والمهم أن نسلِّم بأن الأدب أساس الصحافة . . فلابدَّ أن يسيطر عليها بتفكيراته وتعبيراته .

أي لابـدَّ أن يسيطـر الأدب على الصحـافة فيحدِّث القراء عن مشكلاتهم ومتاعبهم وأحـلامهم ، وشبـابهم وشيخـوختهم ، وأسرهم وأطفالهم ، وعن مرافق أوطانهم من صحية وتعليميـة واجتـماعيـة وسيـاسيـة . . ولا بأس أن يحدِّثهم ـ قليلاً ـ عن اختـراعات الراديو والتلفزيون والقنبلة الذرية وعن قوانين الاقتصاد والتجارة ـ مثلاً ـ وغير ذلك من العِلْميات في أسلوب «مخفَّف» مبسَّط . لأن الصحف للعامة ، وللخاصة المعاجم والكتب والموسوعات ! !

إلى هنـا أحسب أني قلت ما عنـدي عن الصحـافـة في بلادنا والبلاد الأخرى ، وعن رسـالتهـا الأدبيـة ـ لا العلميـة ـ إلى الجماهير . . وبهذا لا نجد مانعاً أوضيراً في أن تكون صحافتنا المحلية أدبية .

أمـا قول **الأستـاذ عريف** بأنهـا «أدبية محضة» فالملاحظ أن أوساطنا الفكرية تشكومنذ سنـوات عديـدة من اختفـاء الأدب في صحـافتنـا ، وانصـراف الأدبـاء إلى **أدب الأعمدة القصيرة** نقداً أوتوجيهاً لأوضاعنا الاجتماعية ! ! وتعطِّل فريق كبير منهم عن مسك الأقلام نهائياً .

بقى أن نعقِّب على الـدعـوة التي وجهَّهـا **الأستـاذ عريف** إلى إخواننا الجامعيين . . لتحـويـل صحـافتنـا الأدبية ـ على رأيه ـ إلى صحافةٍ علميةٍ قانونية . . وأنا معه أدعوهذه الدعوة ذاتها . . ولكني لست مثله أفتقد الجامعيين في صحافتنا فلدينا منهم نفر يكتبون في النـواحي الاقتصـادية والإدارية والتربوية . . كالأساتذة **أحمد طاشكندي ، وأحمد جمجوم ، وأحمد زكي يماني ، وعبد الرزاق الريس ، وسعيد آدم** ، وغيرهم ممن لا أذكر أسماءهم الآن .

وهؤلاء لولا استعدادهم الأدبي لما مارسوا الكتابة والنشر . . ذلك أن «الجامعية» وإن كانت توجـد العلماء إلاَّ أنهـا لا يجب أن توجـد الكتَّـاب والمفكرين . . وليس هذا مقصوراً على بلادنا بالنسبة للجامعيين عندنا . . بل هو معروف ملموس في كل أنحاء العالم .

فالعلم أشبه ما يكون «باللازم» في الأفعال النحوية ، والأدب أشبه ما يكون بالمتعدي من هذه الأفعال .

على أن هنـالـك من العلماء من يكـون لازمـاً ومتعـدياً كتلك الأفعال النحوية تماماً ، وهؤلاء هم الذين نرجو أن يكون إخواننا الجامعيون منهم .

ولو فرضنا ـ جدلاً ـ مع الأستاذ عريف أن صحافتنا تنقصها «الجامعية» فإنا نتساءل وماذا يفعل الجامعيون . . . ؟ كما نتساءل تماماً : ماذا تفعل «المقينة»؟

وبعد . . فإن رأي صديقنا الكبير الأستاذ عريف في صحافتنا كان يكون مقبولاً لو قاله قبل عشر سنوات أو تزيد .

أما صحافتنا اليوم فهي ـ مهما شكونا ـ بخير . . في فصولها وأبوابها الإخبارية ـ والإجتماعية ـ والطبية والنسائية ـ والمدرسية ـ والاقتصادية و . . و . . وسنكون غداً أكثر خيراً ، وأيمن طيراً ، إن شاء الله .

الأدب في خدمة الحياة والعقيدة

هذا الكتاب القيِّم أصدرته الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية ، وكان أصله بحثاً قدَّمه الطالب عبد الله حمد العوشن إلى كلية اللغة العربية ، فحاز به درجة الامتياز للعام الدراسي ٨٩ - ١٣٩٠هـ .

وقد قرأت ـ في جريدة «الجزيرة» ـ أن صاحبه أصبح مدرساً في الكلية ، وقرأت قبل ذلك الكتاب ، وقد تفضل بإهدائه إليَّ عميد الكلية الأستاذ عبدالله عبد المحسن التركي[1] وكتب مقدمته المشرف على إعداده الدكتور عبدالرحمن رأفت باشا .

إن جهد المؤلف في إعداد كتابه ، واستقاء معلوماته من مراجع كثيرة كبير جداً ، وهو دليل على صبره ودأبه ، وعلى نباهة وعيه ، وحسن إدراكه ، وبراعة استنباطه بالإضافة إلى جمال أسلوبه ، وأناقة عرضه ، وتسلسل موضوعاته .

وأنا إذ أحيي المؤلِّف وأهنِّئه لهذا العمل الأدبي القيِّم النافع ، وأشكر كلية اللغة العربية على إصدارها له ـ أعتقد أن أدباءنا وكتابنا وبخاصة الشباب ـ في حاجة ماسة وافتقار شديد . . إلى مثل هذا الكتاب كدليل جامع مانع لهم يرشدهم أو يذكرهم بالحقيقة الكبرى ، التي كثيراً ما تنسيهم إياها زحمة الحياة الفكرية العصرية ، وازدحامها بالأهواء والنظريات الأدبية الوافدة من شرق أو من غرب ـ والتي هي ، أي الحقيقة المنسية ، التزام الأدب بأن يكون في خدمة الحياة إسعاداً وترشيداً ، وفي خدمة العقيدة تثبيتاً وتوكيداً .

---

(١) الآن الدكتور عبدالله عبد المحسن التركي مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض

نحن المسلمين لا نعرف الأدب فناً مجرَّداً، ولا مُتعةً ولا تَرَفاً فكرياً، ولكنا نعرفه (فنا) في خدمة الحياة إصلاحاً، وفي خدمة (العقيدة) تأثُّراً وتأثيراً وقيادةً وإنقياداً.

ووظيفة «الأديب» عندنا وفي مفهوم الإسلام دينِ الحقِ والخيرِ والجمال: هي وظيفة المصلح المرشد، ووظيفة الطبيب المداوي، ووظيفة الرائد الذي لا يكذب أهله .. وليست ـ بحال من الأحوال ـ وظيفة المُغنِّي أو العازف أو الرسَّام، تلهو النفوس معهم بِلَحْنٍ أو نغمةٍ أو لوحةٍ بعض الوقت أو كثيراً من الوقت، ثم تصحو على مأساة لم تُفرج أو مشكلةٍ لم تُحل، أو دَاءٍ لم يُعالج، أو ظُلامةٍ لم تُرفع.

العقــاد .. والمــرأة

ظلم محرر صفحة (للأدباء فقط) في (عكاظ) أديب العربية الأكبر **الأستاذ العقاد** - رحمه الله ـ حين نشر صورته مع **هند رستم** - في ٢٨ / ١٠ / ١٣٨٦هـ - وكتب تحتها: إن العقاد خاصم المرأة طويلاً، وهاجمها مرات ـ وأنه عاد في أيامه الأخيرة، قبل وفاته يتعاطف مع المرأة، ويجعلها تتودَّد إليه .. بعد أن كانت تجفل منه ـ ثم قال المحرِّر عن الصورة: إنها للمفكِّر الكبير وهو يضحك بصدق مع امرأةٍ قال عندما رآها: إنني أرى فيك وجه **سارة**.

هذا ما كتبه محرر الصفحة تحت الصورة، ولم يذكر أن المرأة هي - **هند رستم** - الممثلة المعروفة ـ ولعله لا يعرف ذلك، لأنه لم يعرف فعلاً قصة لقاء العقاد معها، وهي قصة أبعد ما تكون عما ظنه من توددٍ وتعاطفٍ في العقاد مع المرأة، بعد خصومة وهجوم كما زعم.

فالعقاد ـ أولاً ـ لم يكن مخاصماً للمرأة ولا مهاجِماً لها فيما كتبه أو ألّفه من كتب ككتاب (**هـذه الشجـرة**) و(**المـرأة في القرآن**) .. **وغيرها، وإنما كان دارساً واعياً، وباحثاً عميقاً، وعالماً محيطاً بأسرار الأنوثة وطبائع الإناث**.

والعقـاد ـ ثانيـاً ـ في لقـائـه مع **هنـد رستم** .. إنـما كان يستقبلهـا في داره بِطَلَبٍ منها لتعـرض عليـه أن تقـوم بدور (**سـارة**) في تمثيليـة كان يراد إخراجها عن قصته المعروفة بهذا الاسم، وكـان رأي العقـاد في **هنـد رستم** صريحاً جريئاً، بأن لها وجه (**سارة**) وملامحها .. ولكن ليس لها ثقافتها وذكاؤ ها وشخصيتها.

قال العقاد ذلك لهند رستم، دون تودد أو تعاطف كما زعم المحرر ـ قاله بما عرف فيه من رجـولـة فكـريـة وقـوة شخصيـة .. حتى قالت **هند رستم نفسها** ـ بعد هذا اللقاء مع العقاد ـ: لقد أدركت الآن سر النساء اللاتي يقبلن الزواج من رجال في سن آبائهم.

ومعنى كلام **هند رستم** أنها أعجبت بشخصية **العقاد** فكراً وخُلُقاً ورجولةً، وأن هذا الإعجاب ضمين بأن يدفعها كما دفع أمثالها إلى قبول أمثاله زوجاً لها ولو كانت في مثل سن ابنته.

وبهذه المناسبة: فقد نظمت في تحية ـ **العقاد** ـ عند زيارته للمملكة عام **١٣٦٥هـ** قصيدة قصيرة موجودة بديواني **(وداعاً أيها الشعر)**[1]

طه حسين .. وقصة زيد وزينب

تصدَّى **الدكتور طه حسين** – في كتابه **(على هامش السيرة)** – لقصة **زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش**، بعد طلاقها من **زيد بن حارثة** ـ فقال:

(ولكن الله يريد أن يلغي نظام التبني .. يلقي في قلب النبي حب زينب زوج زيد، ويلقي في قلب زيد الانصراف عن زينب والنفور منها .. وهذه نفس محمد مضطربة أشدَّ الاضطراب، ترفض هذا الحب رفضاً وتزوُّر عنه ازوراراً، وإذا هي تنكره حتى على نفسها، ولكن الله يبدي ما تخفي، ويعرف الناس ما تنكره..).

وهكذا يذهب **طه حسين** مذهب أعداء الإسلام ورسولهِ وكتابِه .. مع أن كتب الحديث والتفسير المعتمدة تجمع على أن ما كان يخفيه **النبي ﷺ** هو ما أعلمه الله إياه .. من أن زينب ستكون من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر زيداً بطلاقها، بل كان يأمره بالإمساك عليها، كما أثبت القرآن ذلك بنص صريح، ومما قاله **الألوسي** ـ في تفسيره ـ **وابن حجر** ـ في شرحه لصحيح البخاري ـ : أن هناك للقُصَّاص كلاماً وآثاراً لا ينبغي التشاغل بها، ولا جعلها في حيز القبول، بل يجب صيانة **النبي ﷺ عنها** ..

والسبب الأول والأخير لتزويج الله تبارك وتعالى الرسول ﷺ من زينب بعد طلاقها من زيد: هو إبطال عادة (التَّبنِّي) التي كانت سائدة عند العرب قبل الاسلام، وفي هذا يقول الله عز وجل: **﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ـ لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً﴾**

ولا غرابة فيما ذهب إليه **طه حسين** في **قصة زيد وزينب**، وما اتهم به **الرسول ﷺ** من حبه لزينب ـ فقد ذهب ـ في كتابه **(الشعر الجاهلي)** إلى أسوأ من ذلك، فقال ببشرية

---

(١) نشرت هذه الكلمة (عكاظ) في ١٣٨٦/١١/٧هـ.

«القــرآن» وقـال: إن مصـادر أميـة بن أبي الصلت ومحمـد واحـدة: وهي **قصص اليهـود والنصـارى**، وقـال: إن قريشاً اخترعت **قصة هجرة إبراهيم عليه السلام إلى مكة وبنائه مع ابنه إسماعيل الكعبة** .. أي أن الهجرة والبناء أسطورة لا أصل لها، مع أن آيات القرآن صريحة في إثبات ذلك تاريخياً:

- **﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم﴾**(1).
- **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل .. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾**(2).

حول مهرجان الشعر العربي

في رسالة من الصديق العزيز الأستاذ **محمد أديب غالب** من **(طرابلس لبنان)** ـ يقول فيها إنه قرأ للحداثي اللبناني **(شوقي بزيع)** مقالينْ في جريدة **(السفير)** ـ **البيروتية** يوم ٢٤/ و٢٥/٣/ ١٩٨٨م ـ عن **مهرجـان الشعـر العـربي الـذي انعقد بالرياض** قبل نحو ثلاثة شهور تحدث فيها بزيع حديثاً غريباً عجيباً.

ومما قالـه الحدثي اللبناني عن المهرجان: أن الشعراء والأدباء السعوديين كانوا يكتبون في الظل، ويعانون منفردين في مواجهة الحرب الشرسة التي كانت ومازالت تشن عليهم من القوى الاجتماعية (السلفية) في الداخل.

ثم يكـرِّر القـول بأن الشعـراء السعـوديين يخوضون حرباً حقيقية في مواجهة التيارات (السلفيـة) التي تجد في السعـوديـة جواً ملائـماً تتحكَّم فيـه وتسيطـر عليـه، بحيث أن مجرد التصدِّي لمفهوم الحداثة الشعرية مثلاً يمكن أن يواجه أصحابه بضراوة بالغة!

ويعقِّب **الأستـاذ محمـد أديب غالب** على كلام الحداثي «بزيع» عن الشعراء والأدباء السعوديين الحداثيِّين وما يعانون بزعمه من حرب ضروس ـ فيقول: وهكذا يتحدث **شوقي بزيـع** عن تلك الجـرثـومـة المتعـاظمة في شعر الصعلكة الحديثة، التي أقلَّ ما يقال عنها إنه كانت هنـالـك اتهامات كثيرة تُوَجَّه إلى شعراء النثر، ثم جاءت حصيلة هذا الشعر طيلة نصف قرن لتثبت أن الجرثومة التي كان أول من نقلها من العرب إلينا **أمين الريحاني**، هي

---

(1) سورة ابراهيم / ٣٧.

(2) سورة البقرة / ١٢٧.

من نوع استسهال بعض الأشكال من الكتابة، وعدم الانضباط بأي إيقاع، وهو مناخ تعبيري منقول حرفياً بغير مفهومية عن ثقافة الغرب، الغرب الذي من أُولَى رسالاته تفتيت البنية الميراثية من التراث العربي، وفي مقدمتها البلاغة القرآنية ذات الإعجاز البياني الذي لا نظير له.

وهكذا يشتمنا ضيوفنا الذين دعوناهم وأكرمناهم، ويتهموننا بأنا نشن حرباً ضروساً على الحداثيين، ويعرضون (بسلفيّتنا) التي هي كل رأسمالنا الديني والأدبي والفكري.

وفي الوقت نفسه يتباكون على الشعراء والأدباء الخارجين على هذه (السلفية) الغالية العزيزة علينا، والذين يسمِّمون أفكار شبابنا وطلابنا في الجامعات بسموم **أدونيس، وأركون، والجابري** وأضرابهم.

ولكن .. لا بأس، فإن عادوا عدنا، وإن زادوا زدنا، والله معنا، ولن يترنا أعمالنا، وسيهزم الجمع ويولون الدبر[1].

ما لا يليق بالكُتّاب المسلمين!

بعث إليّ أحد قراء صحيفة (المسلمون) بنسخة من كتيّب أصدره **الأستاذ أنيس منصور**، الكاتب الصحفي المصري المعروف بعنوان (**الذين عادوا إلى السماء**) ـ ولفت نظري إلى الصفحة (٧٣) حيث جاءت الفقرة التالية من قول المؤلف: (ولما هلكت **سدوم وعمورة** لم يبق إلا **لوط** وابنتاه، ورأت صغرى بناته أن البشرية سوف تنقرض **فأعطت** أباها خمراً ونامت معه، وحرضت أختها الكبرى على ذلك، وأنجبت البنتان من أبيهما ـ إلى آخر ما جاء بالتوراة ـ أما تفسير ما جرى للوط وابنته وزوجته فمعروف فقد زاره أناس شواذ جنسياً، ولكن لوطاً قدّم إليهم بناته فرفضوا) .. وسألني القارىء الفاضل (م. م. ج) **(هل هذا الذي يذكره الأستاذ أنيس منصور صحيح؟ وما هو تفسير قوله عز وجل حكاية عن لوط ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ .. الذي يبدو أن الكاتب استند إليه مع ما جاء في التوراة.**

● **أقول للسائل الفاضل، وللأستاذ أنيس منصور معه: ما كان يليق بك وأنت** الكاتب الصحفي الذكي الباحث فيما تقرأ والمتحرّي فيما تكتب: **أن تنزلق هذا المنزلق**

(١) نشرتها (المدينة) في ١٥/ ١٠/ ١٤٠٨هـ.

الخطر، فتصدّق رواية التوراة المحرَّفة المزوَّرة عن **لوط وبناته**، وكان عليك أن ترجع إلى تفاسير القرآن المتعددة القديمة والحديثة.

كان عليك أن تفكِّر طويلاً في هذه التهمة الشنيعة التي يقذف بها اليهود نبي الله لوطاً عليه السلام، وتبحث في مصادر أخرى، لترى هل تصدق هذه التهمة على نبيٍّ اصطفاه الله لرسالته أم لا؟.

ثم من الناحية العقلية المفروض في عقلك الرفض لها.. كيف يزني نبي رسول بناته؟ أم كيف يقدِّم بناته لضيوفه تكريماً لهم؟ وهل تكفي بنتا لوط كزوجات لعدد من الرجال؟

الحقيقة المؤسفة أن كتّاباً مسلمين يعيشون في وسط إسلامي يقوم فيه الأزهر الشريف منارةً للحق والهدى والرشاد - يفكِّرون مثل هذا التفكير، ويكتبون مثل هذا الكلام عن أنبياء الله ورسله المصطفين الأخيار، وعن أسرهم وأولادهم.

لقد سبق **الأستاذ خالد محمد خالد** - في كتابه (**هذا.. أو الطوفان**) إلى مثل هذا الاتهام لنبي الله لوط عليه السلام ولا بنتيه والزوجة أيضاً حيث قال (ص - ١٠٠/١٠١) الطبعة الأولى: (كان على رأس الفضائل أن تقدِّم لأضيافك زوجتك أو بنتك. ولعل هذا يفسِّر قول نبي الله لوط لقومه حين هاجموا داره ليفتكوا بضيوفه فتْكاً جنسياً: «هؤلاء بناتي هن أطهر لكم» فأين هذه الفضيلة اليوم؟).

وها هو **الأستاذ أنيس منصور** يجدِّد الاتهام نفسه وكان على الكاتبين قبل أن يُقْدِما على إيذاء نبي الله لوط وابنتيه بهذه الزعمة اليهودية الباطلة أن يرجعا إلى تفاسير القرآن المتعددة القديمة والحديثة.. ليجدا فيها الحقيقة الناصعة اللائقة بأنبياء الله ورسله الكرام.

● هذه الحقيقة: هي أن لوطاً عليه السلام اقتحم عليه قومه المبتلون بالشذوذ الجنسي، وعنده ضيوفه من الملائكة وهم في صور غلمان صباح، فضاق بهم ذرعاً، وخشي مهاجتهم للضيوف الكرام - ولكنهم، أي الملائكة، طمأنوه وقالوا: (يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) وهو عندما قال لقومه: (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) إنما قصد نساء قومه يزوجهم بهن، وقد وصفهن بأنهن بناته لأن كل نبي أبٌ لأمته في الشفقة والتربية.

وقد نقل **ابن كثير** - في تفسيره - أقوال التابعين في تفسير هذه الآية **كمجاهد وقتادة** بأنهن لسن بناته وإنما هن بنات أمته، لأن كل نبي أبو أمته - قلت: وكذلك أزواج **النبي** ﷺ

أمهاتٌ للأمة كما جاء ذلك في القرآن صريحاً: (وأزواجه أمهاتهم).

إن الرجل الصالح من عامة الناس لا يحدث منه أن يعرض بناته للسِّفاح، فكيف بالأنبياء المصطفينْ الأخيار!

أما الاتهام بأن لوطاً شرب خمراً فسكر فزنى بابنتيه . . فهو أشنع وأفظع من الأول، وأبعد عن الحقيقة ولو اعتقد الكاتب صحته كان ارتداداً عن الإسلام. (١)

تشابه الأسماء

قرأت في (عكاظ) - بالعدد المؤرخ ١٢/١/١٣٨٦هـ مقالاً بعنوان (**مطارحات مع أدباء الجزيرة**) للأديب السوري اللامع **الدكتور زكي المحاسني**، الذي شرفت بمودته خلال العام الذاهب (١٣٨٥هـ) في المواسم الثقافية لمديرية التعليم - ولنادي الوحدة - ولرابطة العالم الإسلامي.

وقد تفضَّل **الدكتور زكي** فتناول كتابي (**مع المفسِّرين والكُتَّاب**) (٢) بدراسة قيمة، وأثنى عليه خيراً، وحسبه إنه - أي الكتاب - اهتاج من نفسه ذكرياتٍ عذاباً لأئمة الفكر العربي والإسلامي . . الذين تناولت في كتابي بعض آرائهم في تفسير القرآن بالدراسة والنقد والتصحيح، فقد كانوا أصحابه وأحباءه، وأهل ودّه وحَفَظَة عهده.

والدكتور زكي المحاسني في غُنْيَةٍ عن إطرائي وثنائي . . فقد عرفْته منابر المواسم الثقافية في بلادي خطيباً مصقعاً . . وشاعراً ممتعاً . . ومحاضراً مُسمِعاً - هذا . . إلى سمعته الأدبية الداوية في دنيا العروبة المفكِّرة.

وعندي ملاحظة بسيطة على دراسته لكتابي. وهي ظنه أن (**محمد أحمد خلف الله**) **هو الدكتور محمد خلف الله أحمد عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية سابقاً**، وشتان ما بين الاثنينْ.

- **فالأول إسمه الأستاذ محمد أحمد خلف الله.**
- **والثاني إسمه الدكتور محمد خلف الله أحمد.**

---

(١) نشرتها (المسلمون) في ٢٧/٩/١٤٠٨هـ.

(٢) أبدل اسم هذا الكتاب إلى اسم آخر هو (القرآن كتاب أحكمت آياته) في جزءيْن كبيرَيْن أصدرتهما دار إحياء العلوم في لبنان.

● الأول أَلَّف كتـــابـــاً عن «الفن القصصي في القـــرآن» كان أبْعَـــدَ فيـــه عن الحق والصــدق، وأبْعَـدَ عن فهم القـرآن، وأبعَدَ عن التأدُّب مع كلام الله، ومع أنبيائه ورسله، وقد تناولته في كتابي بما يستحق من تأديب .

● والثـاني عميـد كلية الآداب بجامعة الأسكندرية سابقاً، وقد التقيت به في «الندوة الإسلامية» التي دعتنا إليها جامعة البنجاب في لاهور، بباكستان عام ١٣٧٧هـ وهو نموذج رائع للأدب الصحيح والفكر الرجيح، وله دراسات ومقالات إسلامية قيمة . . وهو الآن يشغـل منصب مديـر معهد الدراسات العربية في جامعة الدول العربية بالقاهرة، كما ذكر الدكتور زكي المحاسني.

أحببت بهذا الإيضـاح أن أنـزِّه الـدكتور خلف الله عن أخطاء لم يرتكبها، وإنما أوقعه فيهـا تشـابـه اسمـه مع اسم مؤلف كتاب (الفن القصصي في القرآن) . . ولو قرأ الدكتور زكي الفصل الخاص بنقد هذا الكتاب لأدرك أنه من غير المعقول أن يكون مؤلفه صديقه الدكتور خلف الله.

وبعد: فلأبِي «المحاسن» الفكرية والشعرية والخُلُقية خالص (ودادي) وطائل شكراني[2]

---

(١) يراجع كتاب (القرآن كتاب أحكمت آياته) جـ/٢ ص/١٧٣

(٢) نشرت هذا الحوار جريدة (عكاظ) في ٢٢/١/ ١٣٨٦هـ.

الفصل الثالث

قضايا لغوية



نشاط أعجمي .. في سبيل اللسان العربي

في حيدر آباد - بالهند - تقوم منذ عام ١٣٧٨هـ كلية لتعليم اللغة العربية أطلق عليها **(الجامعة العثمانية)** ومن مهامها وأغراضها السامية نشر لغة القرآن بين شباب المسلمين في الهند - وإقامة المدارس المتعددة لهذه الغاية الكريمة - وتأسيس المكتبات العامة وغرفات للمطالعة - واقتناء المخطوطات العربية النادرة والحفاظ عليها - وتوثيق العلاقات الأخوية بين المسلمين الهنود وإخوانهم العرب في شتى أقطارهم - عن هذه الطريق . . طريق تعليم اللغة العربية والعناية بترويجها وتعميمها.

وفي موسم الحج الماضي - ١٣٨٦هـ زارني عميد هذه الكلية العربية مرتين لعرض (فكرة) الكلية وأعمالها ونشاطاتها، وتعريف المسلمين العرب، وبخاصة السعوديين والمؤسسات السعودية التي تعني بالشؤون الدينية والعربية . . بما يستحقه القائمون على هذه الكلية من عطف وتشجيع . . وقال لي عميدها السيد **(عبد الرزاق القادري جعفر)** إن **رابطة العالم الإسلامي** خير من يرجى لمساعدتنا في مهمتنا وتشجيعنا أدبياً ومادياً، وكذلك وزارة المعارف السعودية تستطيع أن تمدنا بالكتب والمؤلفات العربية القيمة . . وطلب مني أن أنقل هذه (الآمال) الأخوية الإسلامية إلى المسؤلين في وزارة المعارف، ورابطة العالم الإسلامي.

وها أنا وفاءً بوعدي له، وثقةً بصدق القائمين على هذه الكلية، واغتباطاً بنشاطهم وجهادهم في سبيل الترويج للغة القرآن والإسلام - وهو ترويج للإسلام نفسه - أكتب هذه الكلمة بلاغاً وأملاً.

وتحضرني بهذه المناسبة خاطرة ترددت في نفسي بعد كتابة تلك الكلمة عن نشاط أعجمي في سبيل تثقيف عربي!!

هذه الخاطرة هي مزيج من أسف واستغراب واستنكار أو هي - في كلمة واحدة - (سؤال) صارخ يضطرب به الصدر، وينطلق به اللسان، أو يجري به القلم:

لماذا وكيف يهمل العرب - المسؤلون عن التربية والتعليم طبعاً - في كل أقطار العروبة واجبهم في الحفاظ على لغتهم القومية والدينية معاً، فلا يهتّمون بهذه الظاهرة الغريبة،

التي عمت (الطلاب العرب) في شتى مراحل التعليم من الابتدائية إلى الجامعية، وهي في (الجامعيين) أدهى وأفجع وأغرب وأروع؟!

. . (ظاهرة) **الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية الفاضحة** في كلامهم وخطبهم وكتاباتهم . . وهي (مظهر) خطير لتدهور لسانهم العربي المبين، وهبوط مستوى ثقافتهم العربية، حتى لم يعد لهم اهتمام ولا احترام لعلوم اللغة العربية . . من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ وأدبٍ.

كل اهتمامهم واحترامهم موجَّةٌ إلى حفظ المصطلحات الأجنبية، تماماً كتقليدهم للعادات الاجتماعية الأفرنجية ـ فهم لها ألزم، وعليها أحرص، وبها أشد فخراً واعتزازاً من تراثهم العربي الإسلامي، لغةً كان أم أدَباً أم عادةً وخُلُقاً.

إن القرآن ـ كتاب الله وكلامه ـ يمن على العرب مسلمين وغير مسلمين، في مواضع عديدة من آياته: بأنه أنزل بلسانهم العربي المبين . . ويخاطب الله رسوله **عليه الصلاة والسلام** مشيراً إلى القرآن: **﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون!﴾**[1].

والرسول نفسه يجعل عماد العروبة: اللسان العربي، حين يقول في خطبةٍ له «**أيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وإن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أبٍ ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي**»[2].

وعد **عليه الصلاة والسلام** الخطأ في اللغة ضلالاً عندما لحن رجل بين يديه فقال لأصحابه «**أرشدوا أخاكم فقد ضل**».

وأوجب الإمام الشافعي: (أن يتعلَّم كل مسلم من لسان العرب ما بلغه جهده) ولم يخالفه أحد من الأئمة في هذا الإيجاب.

ويروي عن **الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان** أنه قال: **(تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض)!**

أفلا نأسف استغراباً، ونتساءل استنكاراً: لماذا وكيف يكسل العرب في إتقان لغتهم، وتقويم لسانهم في حين ينشط الهنود في تعليم اللغة العربية، ونشر ثقافتها وآدابها؟![3].

---

(١) سورة الزخرف / ٤٤

(٢) رواه ابن عساكر.

(٣) نشرتها (عكاظ) في ١٦/١/١٣٨٧هـ.

يجب أن نتعصب للغتنا العربية !!

● هذا عنوان مقال كتبته يوم ١ / ١١ / ١٣٩٩هـ في جريدة (**البلاد**) في صفحة «**مجال الـرأي**» وتحـدثت فيه عن واجبنا نحو الحفاظ على لغتنا العربية تعلُّماً وتعليماً وتخاطباً وتكاتباً في كل مكان وكل زمان .

وفي يوم ٢٢ / ١ / ١٤٠٥هـ كتبت كلمة في زاوية (**كل أسبوع**) **بجريدة** (**البلاد**) أيضاً تحت عنوان : (**ماذا عن لغتنا العربية؟**) قدَّمت لها بما أصدره **جلالة الملك فهد ـ حفظه الله ووفقه لكل خير ـ من ضرورة المحافظة على اللغة العربية في مكاتبات المؤسسات الحكومية والأهلية ومخاطباتها ومنشوراتها وكافة معاملاتها** .

ثم ثَنَّيت بالحديث عن تقصيرنا في الاهتمام بلغتنا، وتعليمها لأبنائنا، ولمن لم يتكلّمْها من أبناء المسلمين غير العرب، واشتغالنا باللغات الأخرى من قبيل التقدُّم والتحضُّر والتطوُّر.

● وختمت الكلمة برجاء وجَّهته إلى **الخطوط السعودية الجوية** أن تكتب تذاكر السفر باللغة العربية بدلاً من اللغة الانجليزية، لأن معظم ركابها من العرب، وخطوطها متجهة إلى عدد كبير من **البلاد** العربية، وبخاصة خطوطها العاملة داخل المملكة!

كان ذلك يوم ٢٢ / ١ / ١٤٠٥هـ وكم سَّرني سروراً عظيماً أن أقرأ في **جريدة (المدينة)** كلمـة للصحـافي الكبير **الأستاذ عثمان حافظ** يوم ٢٠ / ٢ / ١٤٠٥هـ أي بعد نحوشهر من كلمتي يتحـدث فيهـا بقـولـه «أحسنت» **الخطوط السعودية** في قرارها بكتابة تذاكرها باللغة العـربيـة وإعطـاء أرقام رحلاتها باللغة العربية أيضاً ـ وهي تشكر على هذه الخطوة الوطنية المباركة، فإن في ذلك تسهيلاً لركابها الذين معظمهم من العرب، ولأن اللغة العربية هي لغـة الآبـاء والجـدود، وهي لغـة قرآنـنا المجيد، وهي تراثنا الخالد، الذي يجب أن نعتزبه ونفخـر، ويجب أن نعضَّ عليهـا بالنواجذ، وأن نعمل على صيانتها وحمايتها وانتشارها بين طبقات الأمم الإسلامية والعربية» .

وأنا أشكر أيضاً **الخطوط الجوية السعودية** على خطوتها المباركة، وأرجو أن تقتدي بها المؤسسـات التجـاريـة وغـيرهـا داخـل المملكة وبخاصة (**الفنادق**) الحديثة التي يفاجئك موظف الهـاتف عنـدمـا تطلب أحـداً من النزلاء بخطابك باللغة الإنجليزية . . كأنك في بريطانيا أو أمريكا!!(١) .

---

(١) مازالت الخطوط السعودية تكتب تذاكرها باللغة الانجليزية حتى الآن (١٤١٣/٧/١) هـ

ولا بأس أن نعيد الرجاء الموجَّه إلى المدارس والجامعات . . بأن يهتم فيها المديرون والمدرسون والموظفون الإداريون . . بالمحافظة على اللغة العربية تعليماً وتخاطباً مثل اهتمامهم باللغة الإنجليزية ، بل أكثر . . لأن (العربية) لغتنا ولغة ديننا وقرآننا وسنة رسولنا ﷺ ، ولغة فقهنا وعقيدتنا وتأريخنا .

● وإنما أكرر هذا الرجاء ـ لأني عرفت ولمست ضعف الطلاب وعجزهم في الإلمام الضروري باللغة العربية كتابةً وخطاباً وإملاء ونحواً حتى على المستوى الجامعي مع الأسف الشديد(١)

هذه مسئولية الجامعات
لا المجامع اللغوية !

كتب **الأستاذ رجاء النقاش** في صفحة «الثقافة والآداب والفنون» **بجريدة «الشرق الأوسط»** مقالاً يدعو فيه ـ في عنوانه أولاً وخلال حديثه ثانياً ـ إلى هدم المجامع اللغوية العربية لأنها لم تفعل شيئاً منذ قيامها من أجل ترجمة أوتعريب المصطلحات العلمية ـ وبخاصة الطبية ـ لتسهيل استخدامها في كليات الطب والعلوم الأخرى بالجامعات العربية .

أود أن أحاور **الأستاذ النقاش** على النحو التالي :

● أولاً : إن المطالبة بتعريب المصطلحات العلمية ، وبالتالي تعريب الدراسة في كليات الطب بالجامعات العربية قديمة ومتعددة خلال ربع القرن الماضي أو أكثر، وقد تحدث بعض المطالبين عن إمكانية التدريس في كليات الطب العربية باللغة العربية ، وضربوا مثلاً لذلك **كلية الطب بجامعة دمشق** . . فهي تدرِّس الطب باللغة العربية منذ إنشائها ومازالت تفعل ذلك إلى الآن . . وقالوا : إن عدم تعريب المصطلحات الطبية الأجنبية ليس عقبة في سبيل تعريب الدراسة في كافة كليات الجامعات العربية ، وإنما تنقصنا العزيمة على الأمر، والتصميم على الهدف .

---

(١) نشرتها (المدينه) يوم ١٤٠٥/٣/١ هـ .

● ثانياً : بالنسبة إلى الملامة الشديدة التي وجهّها **الأستاذ رجاء النقاش** إلى المجامع اللغوية العربية ـ حتى إنه طالب بهدمها ـ فإني أرى الملامة تتوجه إلى الجامعات لا إلى المجامع . . فقد تكون المجامع عربّت قليلاً أو كثيراً من المصطلحات الأجنبية في كافة العلوم والآداب أو هي ـ على الأقل ـ مستعدة لذلك، ولكن الجامعات لم تنشط للمطالبة بذلك، ولم تتصل بالمجامع وتتفق معها على التعريب، شريطة أن تمارس التنفيذ . . فور قيام المجامع بمهمتّها .

وأعتقد أن هذه المهمة ـ مهمة التعريب ـ تقتضي تعاون أساتذة الكليات العلمية، وبخاصة كليات الطب مع أعضاء المجمع اللغوي، في القاهرة أو دمشق أو بغداد ـ خلال دراسة المصطلحات، ووضع الكلمات المناسبة لها من اللغة العربية .

● فالجامعات العلمية ـ في البلاد العربية ـ هي المسؤولة عن تعريب التعليم في كلياتها، وهي المطالبة بالاستعانة بمجامع اللغة العربية في مصر وسورية والعراق وهي المدعوّة إلى المسارعة لتحقيق هذا المطلب العربي الضروري المهم .

ثم ألا ترى ـ ياأستاذ رجاء ـ أن هناك ظاهرة اجتماعية خطيرة في المجال التجاري تتعلق باللغة العربية أيضاً؟! وهي أن معظم التجار في البلاد العربية يختارون لمتاجرهم ومعارضهم أسماء أجنبية مثل : «**سوبر ماركت**» كما يطلقون على أنفسهم أسماء تخالف المصطلح العربي مثل : «**سعود إخوان**» بدلاً من : «**سعود وإخوانه**» . . كما هو التعبير العربي السليم؟ .

● إن كافة مرافقنا العلمية والاجتماعية والتجارية والأسرية بحاجة ماسّة إلى التعريب[1] .

---

(١) نشرتها (الشرق الأوسط) في زاوية (هذه سبيلي) يوم ١٣/٥/١٤٠٥هـ.

تعريب الطب واجب إسلامي

كتبت وكتب غيري العديد من المقالات ـ فيما خلا من سنوات ـ في المطالبة بتعريب المصطلحات الطبية، والبدء في تدريس علوم الطب في الجامعات العربية، وبخاصة في السعودية ـ باللغة العربية، مع الاحتفاظ باللغة الإنجليزية كلغةٍ أساسية ثانية في التدريس.

وكان بعض الأطباء العرب يسخرون منا، ويستهزئون بنا، ويقولون إننا متعصِّبون للغتنا العربية حتى فيما لا تنفع فيه ولا تصلح له، ثم يزعمون أن تدريس علوم الطب بلغة غير اللغة الإنجليزية مستحيل لأن الأبحاث والدراسات المتعلقة بالفحص والعلاج واكتشاف الأمراض الجديدة والأدوية المستحدثة هي باللغة الإنجليزية أيضاً.

ولم تنفع احتجاجاتنا واستدلالاتنا ـ لإقناعهم بدعوتنا ـ بأن تدريس الطب في البلد العربي سورية يقوم على اللغة العربية منذ أسِّست كلية الطب بسورية، كما أن اليابان وألمانيا تقوم فيها كليات الطب بالتدريس باللغة القومية لكل منهما، مع أن اليابان وألمانيا ـ لغوياً ـ دولتان محدودتان بمكانهما وخاصتان بأمتهما .. في حين تمتد حدود اللغة العربية بعيداً جداً عبر مساحةٍ واسعة جداً خلال العالم العربي والعالم الإسلامي أيضاً.

واليوم تأتي هذه الدعوة بتعريب تدريس الطب في الجامعات العربية بلغة العرب ـ من طبيب معروف بثقافته الطبية الواسعة، وبارز في المجتمع الطبي وهومقدم برنامج «الطب والحياة» في التلفاز السعودي، وكان أستاذاً بكلية الطب بجامعة الملك سعود بالرياض ثم عميداً لكلية الطب بأبها ـ وأخيراً يقوم بأستاذية الطب الاجتماعي في كلية الطب بجامعة الملك فيصل بالدمام.

● إنه الدكتور زهير أحمد السباعي .. الذي كتب في جريدة «الشرق الأوسط» يوم ٢٧ / ٤ / ١٤٠٧هـ (٢٨ / ١٢ / ١٩٨٦م) - يقول: إنه يجب أن نعلِّم الطب باللغة العربية، وقد اتخذ عمداء كليات الطب العربي في مؤتمرهم الذي انعقد في عمان ـ سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - قراراً بضرورة تعليم الطب باللغة العربية، وأوصوا باتخاذ الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الهدف.

ويبرِّر الدكتور زهير وجوب تدريس الطب بالعربية في جامعاتنا بأن اللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم الطبية، والدليل على ذلك ما فعلته كلية الطب السورية إذ

نقلت إلى اللغة العربية أمهات المراجع الأجنبية، واتخذت اللغة العربية لغةً للتأليف والتدريس منذ سنة ١٩١٩م - وقد استفاد السوريون في وضع المصطلحات الطبية بالعربية من مؤلفات الطب العربي القديمة كقانون ابن سيناء وكامل الصناعة، ومفردات ابن البيطار، وتذكرة ابن داود، وغيرها من الكتب اللغوية والعلمية بالإضافة إلى المعاجم الطبية في اللغات الأجنبية، واعتمدوا على القواعد اللغوية في الاشتقاق والتعريب - ووضعوا بعد ذلك المعاجم الطبية العربية في نحو مئة مجلد في فروع الطب المختلفة، وفي آخر كل منها معجم يثبت اللفظة العربية إلى جانب اللفظة الفرنسية أو الإنجليزية أو كلتيهما.

ويؤكد الدكتور زهير أن طلاب الطب السوريين يجتازون امتحانات القبول للدراسات العليا في كندا وأمريكا بمعدلات تتساوى مع معدلات أقرانهم من البلاد الأخرى وقد تتفوق عليها . . لأنهم يدرسون اللغة الإنجليزية أثناء دراستهم للطب.

ويذكر الدكتور زهير دولاً أخرى غير ما ذكرناه آنفاً - وهي السويد والنرويج والدانمرك واليونان - تدرِّس الطب في جامعاتها بلغاتها المحلية إلى جانب لغة أجنبية أخرى . . حتى إسرائيل أحيت لغتها الميتة، وأصبحت تدرِّس بها الطب أيضاً.

وأخيراً أقترح الدكتور زهير أن نستعد لهذا الأمر من الآن لأنه يحتاج إلى تخطيط وفترة إعداد، وذلك بتخصيص أطباء سعوديين للدراسات العليا ليكونوا مهيئين للتدريس في كليات الطب والعلوم الطبية، وأن يتم ذلك أيضاً في دول الخليج العربي، وبقية الدول العربية الأخرى.

ثم يختتم مقالته: بأن التدريس باللغة العربية أصبح واجباً تقتضيه المصلحة مصلحة الطبيب ومصلحة المواطن، وهو أمر ممكن أن يخطِّط له من الآن لينفذ في سنوات قلائل.

والحمد لله . . الذي أيَّد دعوتَنا القديمة - وإن لم نكن أطباء - بدعوة طبيب مختصٍ وخبير[1].

---

(١) نشرتها الشرق الأوسط يوم ١٦/٥/١٤٠٧ هـ.

كيف نعرِّب الألفاظ الأجنبية ؟

– ١ –

يعدّ العلماء الأحفياء بتفسير القرآن ـ في القرآن من غير لغات العرب ما يفوق مائة لفظة، أخرجها العرب عن أوزان لغاتها، وأجرْوها في فصيحهم وِفَاق الذوق العربي، فصارت بذلك عربيةٍ ـ ففي القرآن مثلاً من **لغة اليونان** (إستبرق، والرس) ومن **الحبشية**: (أرائك، وقسورة) ومن **لغة النبط** (منسأة، وأسفار) ومن **الفارسية** (كافور)، ومن **لسان القبط** (هيت لك) ومن **التركية** (غساق) ومن **كلام العبران**: مرقوم[1].

ونجد في غير القرآن ـ من أمثال هذه المعرَّبات: (**طراز**) **فهي** فارسية وفلسفة وفيلسوف فهما يونانيتان. كما نجد بإزاء ذلك في غير العربية من كلماتها استعارات ونظائر تؤيِّد النظرية اللغوية القائلة «**بتغالب اللغات**» على أننا لا ندَّعي استعارة تلك اللغات من عربيتنا ولا استعارة عربيتنا منها، ولكنا نقول بتبادل الأمرين.

فلماذا يذهب المجمع إلى وضع أسماء ثقيلة أو غير مثيلة لمسمَّياتنا العربية، ويصدف عن التعريب السائغ في الشرع والطبع على سواء؟؟

أجل لماذا لا يجري على أوزان العربية وأذواقها: ترام وبطارية وتليفون؟ فيقول ترام على وزن حصان، وبطَّارة على وزن قطَّارة وتلفوان على وزن خيزران؟ ثم يشتق أفعالها: أتَرَم يُتْرِم إتراماً، وتَلْفَنَ إليه يُتلفن تلفنةً إلخ المصطلحات الحديثة مما لا نجد له إسماً عَرَبياً خالصاً .. على أننا لا نفرض هذه الأوضاع التي وضعناها، فهي قابلة للتهذيب والتركيز.

– ٢ –

والمعلوم من قواعد اللغة بالضرورة أن تكون (التسمية) حاصرةً تفيد الاستقلال، أو أغلبيةً تفيد الإنضباط، نقول هذا بمناسبة ما روته مجلة «**المنهل**» في بعض أعدادها السالفة عن **المجمع اللغوي في مصر** من أنه أطلق على (الأنتن) مرشداً، وعلى (البطارية) حاشدة، وعلى (الترام) حافلة.

---

(١) يراجع كتاب (المقرَّب من الكلام الأعجمي) لأبي منصور الجواليقي تحقيق الدكتور ف. عبد الرحيم الأستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

كما يراجع كتابنا (القرآن كتاب أحكمت آياته) جـ/١ حول دعوى ورود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم.

ويبدو لنا ـ مع إجلالنا العظيم لهذا المجمع، وإيماننا العميق بكفاية ومقدرة وعلميَّة أعضائه الفضلاء ـ أن في هذه الإطلاقات إرسالاً وارتجالاً!!

فنحن ـ أدباء وقُرَّاء ـ نعرف أن وظيفة الأنتن، جذب محمولات الأثير إلى الراديو وبعبارة أخرى إيصالها إليه، وأن وظيفة البطارية إمداد الراديو بالسائل الكهربي، ووظيفة الترام حمل راكبيه.

فأين الحصر والاستقلال في هذه التسمية؟ أومع التسامح أين الأغلبية الضابطة؟ وبماذا نضبط المرشد الديني والمرشد السفري؟ ثم أليس من الممكن أن أقول لداري أو دارك إنها (حافلة) بأهلها أو زوارها؟ أو نقول للشوارع إنها حافلة؟ وللطرقات (حافلة) أيضاً؟ وغير ذلك مما يمكن إسباغ صفة الحُفُول عليه وهو كثير لا يحصى؟ ثم أليس من المقبول المعقول لغوياً أن نقول لكل ما جمع أو جمع حاشداً أو محشوداً، أومع التسامح البلاغي نقول للحاشد محشوداً وللمحشود حاشداً، على المجاز؟

أعيدها عليهم: أين الحصر والاستقلال؟ أومع التسامح أين الغَلَبة والانضباط؟

واقترح ـ مع إيماني بضعفي وعجزي ـ أن يقال (للبطارية) المُمِدَّة إشتقاقاً من وظيفتها المعلومة فيها، و(الترام) العاجلة، اشتقاقاً من ميزتها الظاهرة وأن يقال (للأنتن) المِجْذبة أو الوسيط أو المُوصل.

فماذا ترون ياأعضاء المجمع، وياأدباء العربية، وياقراء الصحيفة؟

- ٣ -

كتب الأخ **غالب محمد أحمد الشرباتي** رسالة يطلب فيها أن أقول رأيي فيما سبق أن كتبه بجريدة «**الشرق الأوسط**» في زاوية «**رسالة اليوم**» تحت عنوان «**هل أخطأ المترجم**»؟

وقد تناول الأخ غالب في مقالته تلك التعقيب على **الدكتور (ف. عبد الرحيم بالجامعة الإسلامية)** فيما عرضه من آراء عن كلمة (تلفزيون) وما طرح من استبدالها بكلمات عربية أخرى كَمِرْئاة ورائي الخ.

● ووجهة نظري ـ إن كان يريدها الأخ غالب ـ أني أؤيد **الدكتور عبد الرحيم** في استخدام كلمة (تلفاز) بدلاً من (تلفزيون) لأنها توافق تركيباً عربياً، ولأن اللغات جميعاً تتبادل بعض الكلمات مع صياغتها على أسلوبها وقواعدها، أو بقائها أحياناً على صيغتها الأصلية، فاللغات الإنجليزية والهندية والفارسية والتركية والأندونيسية تحتفظ بكلمات

عربية في جملها، والعربية تحتفظ كذلك بكلمات من هذه اللغات أيضاً.

كما أؤيد استخدام ما اقترحه الأخ غالب من كلمة (مِشهاد) أو (مشهد) للتلفزيون فهما أفضل من كلمة (رائي) و(مرناة) وأسهل قبولاً على الألسنة والأسماع، وبخاصة أن كلمة (رائي) تحتاج إلى إدراك بلاغي، لأن مفهومها إطلاق إسم الفاعل وإرادة المفعول، ولغة التخاطب العام لا تحتمل هذا الاستخدام البلاغي[١].

ولا بأس ـ كذلك ـ من اشتقاق فعل من تلفاز، ومصدر، واسم فاعل واسم مفعول الخ فنقول: تلفز تلفزة ومتلفز ـ بالفتح والكسر، مفعولاً وفاعلاً.

ولكني لا أرى صواب ما اقترحه الأخ غالب من تسمية آلة التصوير (الكاميرا) مِعْينة ـ بكسر الميم وسكون العين ـ وتسمية المصور: مِعيان بكسر الميم وسكون العين أيضاً ـ فهذا إبعاد وإغراب.

ولا مانع عندي من بقاء كلمة (مصوِّر) لمحترف التصوير الفوتغرافي وإن كان بعض العلماء يرى أن نطلق عليه كلمة (مُصَوَّراتي) بفتح الواو وتشديدها نسبة إلى الأشياء أو الأشخاص الذين يصورهم ابتعاداً عن تشبيهه بالله عز وجل المصور الحقيقي للخلق.

وذلك لأني أفرِّق بين إطلاق (مصوِّر) على الله تبارك وتعالى على أساس معنى (خالق) وهو ما دلَّت عليه آيات القرآن الكريم من قبيل قوله عز وجل: ﴿**هو الذي يُصَوِّركم في الأرحام كيف يشاء**﴾ وقول تبارك وتعالى: ﴿**وصوَّركم فأحسن صوركم**﴾ فهما يمعنى (يَخْلُقكم) و (خَلَقكم)[٢].

.. وإطلاق (مصوِّر) على محترف التصوير الفوتغرافي فهي على أساس معنى النقل والرسم من أصل موجود.

وبمناسبة هذا الحوار اللغوي أود أن ألفت النظر إلى خطأ يُرتَكَب في هيئات الإحصاء والاستفتاء وتتبعهم الصحف والمجلات فيه، وهو استخدام كلمة (استبيان) كمصدر لفعل (استبان) بمعنى حقق أو استفتى والصواب أن مصدر استبان هو (استبانة) كاستغاثة واستعاذة واستعانة واستطاعة وأمثالها ـ وذلك لاستثقال (الياء) فاستبدلت (بتاء) في آخر الكلمة[٣].

---

(١) لفظة (رائي) هي اقتراح فضيلة الشيخ على الطنطاوي، وهو مازال يستخدمها في حديثه الأسبوعي بالتلفاز السعودي

(٢) في كتابي (يسألونك) إجابة مفصلة عن التصوير الفوتغرافي.

(٣) نشرتها الشرق الأوسط يوم ٢٠/٤/ ١٤٠٥هـ

المجمع اللغوي .. وأوهام لغوية !!

يقارب عمر المجمع اللغوي في مصر الآن عشرين عاماً[1] وعشرون عاماً تمضي على المؤسسات العلمية والخيرية، ليست عمراً قصيراً، كما هو الشأن في تقدير أعمار بني الإنسان.

وعندما نُحاسب هذا المجمع الذي يشترك في أعماله أعضاء دائمون من الأقطار الغربية والشرقية وأعضاء مراسلون ـ على ضوء تقدير عمره ـ لا نجد عملاً مذكوراً قد أدَّاه للغة العربية التي من أجلها أنشأه الملك فؤاد.

وكل ما نراه ونسمعه سنوياً هو تأبين أعضائه الأموات، في اجتماعات حافلة، ثم تقريظ خلفائهم على كراسي المجمع، وهكذا في كل سنة نسمع بعضوٍ مات ونقرأ تأبينه، ثم نسمع بعضوٍ جديد نقرأ تقريظه.

أما قرارات المجمع عن توسعة اللغة، وتعريب الكلمات والمصطلحات الأفرنجية فلا يصدرها في مجلة ولا إذاعة، وأذكر ـ بهذه المناسبة ـ أني كتبت إلى المجمع عن طريق مجلة الكتاب التي تصدرها دار المعارف في مصر اقتراحاً بنشر قراراته في الصحف والمجلات السيارة الأسبوعية والشهرية، ووعد المجمع بتحقيق ذلك، ولكن ماذا ينشر؟!

إن في المجمع لجاناً فرعية لدرس المسائل المختلفة، فما هي هذه المسائل المختلفة التي تنشر في الصحف والمجلات ليشارك فيها العلماء اللغويون بأبحاثهم!!

وللمجمع اللغوي مجلة لم تصدر إلّا مرتين خلال عشر سنوات فلماذا لا تصدر شهرياً على الأقل؟

أوهام لغوية

الوهم في اللغة وخطئها وصوابها قديم، حفلت بالجدال فيه معاجم اللغة الطويلة والقصيرة، وكتب المعلقين والمعقّبين.

وفي محيطنا الخاص تتردد نفس الأوهام القديمة، حيناً يقصر الجدل فيها وحيناً يطول وهو مرةً يعتمد إلى حُجج تختلف قوة وضعفاً، ومرة أخرى يأتي زعماً وارتجالاً، لا حجة له، ولا مثال عليه.

(١) يلاحظ أن هذا الكلام كتب ونشر سنة ١٣٦٩هـ

وأنا لا أنوي أن أعد هذه الأوهام عدّاً، ولكني أضرب المثل أو الاثنين أو الثلاثة أو ما يزيد عليها قليلاً، وكفى.

يعجب أحد كتابنا الأفاضل من إطلاق العامة والخاصة لفظة «ممنون» على معنى «شاكر»، ويحتج بأن «ممنون» معناها في القرآن الكريم «مقطوع» ويستدل بالآية المعروفة ﴿**وإن لك لأجراً غير ممنون**﴾ وقد نسي صاحبنا أن مادة «مَنَّ» تعني بجانب «القطع» معنى النعمة والتحمُّد عليها، وهو معنى قد ورد في القرآن أيضاً: ﴿**قل لا تمنُّوا عليكم إسلامكم - بل الله يمنُّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين**﴾. فحين يقول القائل للمسدي إليه يداً، أي يد: «أنا ممنون!» فهو يعني - ويصيب فيما يعني - إنه صنيعة منّه، ويصح أن يقال لفاعل المنة «منّان» كما يقال ذلك لمن يفعلها ويطلب الحمد عليها جهراً، ودليل الأول ما ورد من وصف الخالق تعالى به، ودليل الثاني ما جاء في القرآن من النهي عنه.

ويفرِّق بعضهم بين «إخوة» و«إخوان» فيقول إن الجمع الأخير إنما يوصف به من التأموا بعد أن اختصموا، ويستدل بالقرآن!! وينسى الحديث النبوي والاستدلالات اللغوية الكثيرة.

إن إخوة وإخوان هما مثل فِتية وفتيان، وشيخة وشيخان، وغلمة وغلمان، وصبية وصبيان وغيرهما من جموع اتفقت معاجم اللغة الكبرى، وكتب الدراسة الصغرى على أنها تختلف قلة وكثرة، فيوصف بهذا القليلون، ويوصف بهذا الكثيرون.

وقد جاء في الحديث النبوي - في **البخاري ومسلم** - «.. **وكونوا عباد الله إخوانا**» كما جاء «**إخوانكم خولكم**».. **بل** إن «إخوان» أطلق في القرآن على معنى الأشقاء وغير الأشقاء. وإذا، فليس شرطاً لإطلاق «إخوان» على جماعة أن تكون هذه الجماعة قد تباغضت من قبل كما توهَّم ذلك بعض القدامى وبعض المحدثين.

ويظن غير واحد من الأدباء والمتأدّبين أن «كتّاب» وهو الاسم المطلق في موضع تعليم الأطفال: لفظ عامي، وهو ظن قد سبقوا إليه بنحو ألف وثمانين سنة والصحيح أن «كتّاب» عربي تقوم عليه الأدلة اللغوية، ورد على لسان **ابن مسعود في مسند الإمام أحمد «قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة، وان زيد بن ثابت له ذؤابة في الكتّاب»** - كما ورد على لسان **عمر بن عبد العزيز «عليك بدين النبي الذي في الكتّاب، ودين الأعرابي ودع ما سواه»**.

وتوجيهه اللغوي أن الشيء قد يطلق على من له علاقة به فالكتّاب أصله جمع كاتب

ثم أطلق على موضع تعليم الصبيان الكتابة والقرآن للعلاقة المحلية أو الجوارية من قبيل إطلاق الحال وإرادة المحل[1].

تصحيحات لغوية

في نفسي من كلمة «مدراء» شيء قديم، يتجدَّد كلما رأيت بعض كُتَّابنا الفضلاء يصرون على استعمالها في مقالاتهم بالصحف، ولقد هممت مراراً أن أعلن رأيي فيها، ولكن يحدث ما ينسيني أو يشغلني عنها، فأهملها إلى حين.

أما وقد سألني الآن شاب متأدِّب كان يطلب العلم **بمدرسة تحضير البعثات**، ثم انسلك في سلك الشرطة، لِمَ يصرُّ بعضُ كتابنا على استعمال «مدراء»؟ وما رأيك فيها؟! - فقد آن أوان الحديث.

إن «مدراء» ليست من دار يدور الثلاثي حتى تأتي منه صفة المبالغة على وزن فعيل. ويكون الجمع فعلاء، كرئيس وكريم وأمثالها.

ولكنها من (أدار) الرباعي. واسم الفاعل من الرباعي على وزن مُفْعِل إطراداً كمعُجِب ومُطِرب ومُقْبِل ومُدْبِر - ومُدِير مثلها، مع ملاحظة انتقال حركة الياء إلى ما قبلها، وهي الكسرة استثقالاً، كما هو معروف.

وعلى ذلك لا يسوغ أن تقول عجباء وطرباء وقبلاء ودبراء، كما يقول كتابنا في جمع مدير: مدراء.

وهناك تعابير خاطئة، كأمثال هذه نذكر بعضها الآن بالمناسبة: كقول بعضهم: يسدُّ الرمق، والرَمَق لا يُسَدّ وإنما يُمْسَك لأن سده معناه القضاء عليه، أما إمساكه فهو الإبقاء عليه، كما هو مراد المعبِّرين بهذا التعبير.

وتفصيل ذلك أن الرمق معناه بقية الحياة في حي مريض أو ضعيف أو جائع أو ظمآن، فهو - على ذلك - بحاجة إلى ما يمسك حياته أو نفسه لا ما يقضي عليها.

وأحسب أن سر الوقوع في هذا الخطأ هو فهم الرمق بأنه الحاجة، ولذلك استعملوا لها كلمة «سد أو يسد»[2].

---

(١) كتب هذا المقال في ربيع الأول ١٣٦٩هـ ونشر بجريدة (البلاد السعودية).

(٢) نشرت بجريدة (عكاظ) في ٢٣/٤/١٤٠٢هـ.

جـدراء . . غير مـدراء

كتب الصديق الأستاذ عزت إبراهيم في «الندوة» (العدد ١٧٢٣) كلمة حول (مدراء) وقـال إن الأستـاذ الكبـير أحمـد عطـار أتعب نفسـه في تصحيحهـا دون جدوى فالصحافة مازالت تستعملهـا ـ ثم ذكـر أني استعملت كلمـة (جـدراء) وأنهـا مثلها واستعدى الأستاذ العطار لتصحيحها الخ .

والحقيقـة أن (جُـدراء) جمع (جـديـر) والجمـع صحيح لا غبار عليه مثل كريم وغريم تجمع على كرماء وغرماء ـ أما (مدراء) فقد استعملت خطأ جمعاً (لمدير) التي يجب أن تجمع على (مـديـرين) لأنهـا من الفعـل الرباعي (أدار) والفاعل منه (مدير) والجمع (مديرون) والقياس في ذلك مطرد لا شذوذ فيه .

ولا أدري لِمَ حضرني هذا المثل وأنا أرد على الأستاذ عزت استعداءه : (ما كل بيضاء شحمة)، وشكراً له فقد أتاح لي فرصة لغوية ثمينة .

مســـائل ومشــاكل

الأستاذ الجليل علي الطنطاوي يقدم تحت هذا العنوان : (مسائل ومشاكل) في الإذاعة السعـوديـة حديثـاً رائعـاً للمستمعـين يجيب فيـه على مسـائلهم ، ويحـل لهم ما تعقّـد من مشـاكلهم . . وهـو أخٌ للبرنـامـج التلفـازي الـذي يقـدمـه فضيلته كل جمعة بعنوان (نور وهداية) وكلا البرنامجين نافع ورائع ، وممتع ومفيد . .

وقـد انتقـده بعض المستمعين لإطلاق كلمة (مشاكل) بدلاً من (مشكلات) لأن هذا اللفظ الأخير هو الجمع الصحيح لكلمة (مشكلة) ـ . . واعترف الأستاذ الطنطاوي بهذا الخطأ ووعد المنتقد بإصلاحه .

والذي أعلمه أن هذا الإطلاق ليس خطأ . . بل هو من وجوه البلاغة العربية . . فقد قرأت هذا النوع من الإطلاق ، وقرأت بعض الأمثلة عليه في كتاب (الكامل) للمبرد ، قبل أكثـر من ربـع قرن تقـريبـاً ، أن من وجـوه البلاغة العربية : ما يسمونه «الإتباع» أي إتباع الكلمـة التـاليـة للسـابقة في الجمع ، وإن لم يكن موافقاً للقاعدة ، وضرب مثلاً لذلك هذا الشطر من بيت شعر معروف : (هتّاك أحجبــة . . . ولاّج أبوبةٍ)

وقال إن جمع باب هو أبواب ولكنه أتبع جمعه كلمة ـ حجاب ـ للمشاكلة . .

وعندما كنت أتحدث إلى أستاذي الجليل السيد أحمد العربي عن ذلك أيّده وقال : إنه

قرأ ذلك في كتاب «**فقه اللغة**».

وهنـاك أمثلة أخـرى جاء بعضهـا في حديث نبـوي صحيح رواه الامام البخاري عن ترحيب الرسول ﷺ بوفد عبد القيس حيث قال: (مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى).

وجاء في شرح الحافظ ابن حجر نقلاً عن الخطابي: ان أصل (ندامى) نادمين، ولكنه خرج على الاتبـاع كما قالـوا عشـايـا وغـدايـا إذ أن أصـل غدايـا غدوات ولكنهـا اتبعت بالعشايا)[1].

تعريب التكنولوجيـا

القـارىء (**يحيى بن سنـد الـزهـراني**) **من الطائف** كتب إليَّ يسألني عن «**التكنولوجيا**» ولمـاذا يحاول بعض الكتـاب العـرب تعـريبهـا إلى لفظـة **تقنية** أو «**تكنية**» ويشير إلى مقال نشرته مجلة (**العربي**) يؤيد هذا التعريب ـ ثم يقول ألا توجد كلمة عربية الأصل تقوم مقام هذا الاصطلاح العلمي الحديث؟

والجواب ـ بإيجاز ـ أن التكنولوجيا معناها: الوسائل أو الطرائق الفنية التي تستخدم في تحقيق الأعمال الصناعية العلمية.

ولقد نقل هذا الاصطلاح «التكنولوجيا» إلى كلمة عربية أصيلة **الأستاذ محمد قطب** وذلـك في كتـابـه «**جاهلية القرن العشرين**». **فقد عرَّبها إلى لفظة (الأداء)** ولم يشرح سبب اختياره وإن كان مفهوماً للقارىء المتأمِّل الفاهم لمدلول الاصطلاح الغربي.

وأنـا أؤيـد **الأستـاذ محمـد قطب في** تعـريبه أو ترجمته (للتكنولوجيا). . (بالأداء). . ولكني أختـار الكلمـة الأخـرى المشتقـة من فعل (أدَّى) وهي (التأدية) **فهي** أنسب وأقرب لفظاً وجرساً ووزناً إلى تركيب المصادر الصناعية ـ كما يسميها اللغويون.

وهي خير، ولا شك. من لفظـة «**تكنيـة ـ أو تقنيـة**»[2] المشتقـة من نفس الاصطلاح الغربي. . هذا رأيي ـ وفوق كل ذي علمٍ عليم، وشكراً للسائل الكريم.

---

(١) فتح الباري جـ/١ ص/ ١٣١

(٢) فضيلة الشيخ علي الطنطاوي ـ في حديثه الأسبوعي بالتلفاز السعودي ـ يؤيد اختيار كلمة (التقنية) بدلاً من التكنولوجيا القريبة، وتخريجه له من (قَنَى) أي حصل والمصدر التقنية.

أعضـــاء وأعضـــاد :

قرأت للبحـاثـة **الأستـاذ عبدالقدوس الأنصاري** مقالة يستحب فيها استخدام كلمة (**أعضـاد**) على كلمـة «**أعضـاء**» ويقـول : إن الأولى شائعـة في الصحـافة التونسية ، وهو يستحسنها ، وإن الثانية وردت إلينا مع الحكم العثماني الخ .

وأرجو أن يتسع صدر **الأستاذ الأنصاري** لملاحظتيْن متواضعتيْن على رأيه في «أعضاء - وأعضاد» .

● **الأولى** : أن أعضاء هي جمع عضو وهي مشتقة من فعل «عضا - يعضو - عضواً . . » الشيء فَرَّقه والشاةَ جزَّأها - وعَضًى ، بالتشديد - القوم جعلهم أعضاء ، الخ .

فهي كلمـة عربيـة أصيلة في اشتقـاقهـا ومعناها ، وتستعمل حقيقةً لا مجازاً مثل كلمة (أعضاد) كما سيأتي في الملاحظة الثانية .

وكـافـة المعـاجم العـربيـة الكـبرى والصغـرى تذكرها على النحو الذي أشرنا إليه ، ويؤيـدهـا الحـديث النبـوي «**مَثَـلُ المؤمنـين في توادِّهم وتـراحمهم وتعاطفهم . . كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» .

وفي حديثٍ نبـوي آخـر رواه مسلم : (**من أعتق رقبـةً أعتق الله بكل عضوٍ منها عضواً من أعضائه من النار**) .

● **الثانية** : أن مادة (عَضَد) في اللغة لا تفيد المعنى الحقيقي الذي تفيده مادة (عضا) فالعضد هو ما بين المرفق إلى الكتف من جسم الإنسان ، وفعل (عضد) يفيد معنى الإعانة والنصر .

ومن هنا تُستعمل (أعضاد) بدلاً من (أعضاء) على سبيل المجاز والاستعارة .

ومن حيث جرس اللفظة وصوتها . . تبدو (أعضاء) أخفّ وأرقّ من (أعضاد) لتقارب حرفي (الضّـاد - والـدّال) المتشـابهـين في كلمة (أعضاد) ومن المعروف في بعض اللهجات العـربيـة القـديمـة والحـديثـة أن الضَّاد تنطق دالاً ، والطاء تلفظ تاءً - للتشابه والتجانس الملحوظين في كل من الضاد والدال ، والطاء والتاء .

لذلك يثقل على اللسان والسمع معاً : أن يجتمعا أو يتقاربا ، هذا ما أحببت أن أعلق به على كلمة **الأستاذ الأنصاري** ، والله الموفق والملهم للصواب[1] .

---

(١) نشرتها (الندوة) في ١٣٨٤/٥/٢٧ هـ

الصواب تقديم ضمير المتكلم :

مما لا جدال فيه : أن الأسلوب العربي الفصيح الأصيل قد تداخلت فيه بعض الألفاظ والتراكيب والتعابير الفرنجية، ذلك بحكم الاقتباس والترجمة والتأثير من جانب الكتاب العرب الذين خاضوا غمار الثقافة الغربية بلغاتها المتعددة.

ولست بسبيل الإحصاء، أو حتى ضرب الأمثلة الكثيرة لتداخل الأسلوب الغربي في الأسلوب العربي.

وإنما أكتب هذه الكلمة ـ أولاً ـ شكراً وتقديراً لأستاذي الجليل السيد **أحمد العربي** الذي نبّهني إلى اقتباس خاطىء من الأسلوب الغربي إلى الأسلوب العربي جاء في بعض مقالاتي المنشورة بإحدى الصحف الأخرى وأكتبها ـ ثانياً ـ لأنبّه غيري كما فعل معي أستاذي الجليل.

هذا التعبير المقتبس الخاطىء هو قولي «عدنا ـ السيد فلان وأنا ـ إلى . . » والصحيح أن يقال : «عدنا أنا والسيد فلان إلى . . ».

وعلى الرغم من اقتناع أستاذي السيد **أحمد العربي** بوجهة نظري في اختيار هذا الأسلوب إنه يعني المجاملة والتواضع بتقديم الغير على النفس . . إلا أنه أصر ـ ووجدتني أؤيده على إصراره ـ على تصحيح هذا الأسلوب المقتبس الخاطىء وفقاً لقواعد اللغة العربية وبلاغتها.

فأنا أكتب هذه الكلمة تصحيحاً لاقتباس خاطىء، وإن كان مختاراً لما فيه من تعظيم وتكريم وإيثار للغير على النفس، وأكتبها أيضاً ـ بأمر أستاذي ـ تنبيهاً لغيري من المخطئين[1] .

---

(١) نشرت في ٢٩/٨/١٣٧٧ هـ في جريدة (البلاد السعودية).

طه حسين يتآمر على اللغة العربية

قبل بضع سنوات اقترح **عبدالعزيز فهمي** - مات غفر الله له - **أن تكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية**، خروجاً بها من مشكلات الإعجام وحروف العلة والإعراب[1].

وقد نسي أو تناسى أن اقتراحه لو أخذ به - لا قدر الله - إخراجٌ للعرب والمسلمين من كل مواريثهم الإسلامية والعربية، وإخراجٌ لهم من تأريخهم وثقافتهم وتعاليم دينهم إذ لا يعقل إمكان نقل جميع هذه المواريث الضخمة والكنوز الثمينة من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني في قرن كامل أو أكثر من قرن - ثم لا يُعقل بعد ذلك سهولة فهمها وإدراكها على الأمة العربية وعلى المسلمين جميعاً وبخاصةٍ أجيال الشباب!

وعلى أية حال .. فقد أقبر الله اقتراحه النُكْر معه..

ولكن مكائد المستعمر الأجنبي ومن يستأجرهم من أبناء العروبة والإسلام المزعومين - ومؤمراتهم على لغة الإسلام ودين العروبة لم تنته، ولن تنتهي .... ففي كل يوم، وفي كثير من الصحف والمجلات التي تصدر في بلاد عربيةٍ تطالعنا الحملات النكراء التي يشنها هؤلاء على أحكام الإسلام، وعلى قواعد اللغة العربية.

منذ شهور معدودة دعت مجلة «**الرسالة الجديدة**» إلى صرف الممنوع، وإلغاء واو الجماعة .. من النحو العربي ..

واليوم يقترح **الدكتور طه حسين** أن يكتب الإملاء العربي كما يُنْطَق فـ «طه» تكتب «طاها» و «فتى» تكتب «فتا» و «إلَه» تكتب «إلاه» وهكذا.

وأنا لا أدري لِمَ يشغل الأدباء والمفكِّرون العرب بالهم بالتوافه دون العظائم .. من شؤون اللغة والأدب والثقافة العامة؟

ألم يبق من إصلاح هذه الشؤون الأدبية إلا أن نحرِّف اللغة ونُخرجها من شخصيتها، ونبدلها باستقلالها احتلالاً، وبإعجازها وامتيازها اختلاطاً وفوضى؟

إن الذين يدخلون في العُرُوبة تعلّماً للغتها وثقافتها، ويدخلون في الإسلام تديّناً بعقيدته وشريعته - لا يعجزهم شيء من فقه الإسلام، وأصول كتابه، وحديث نبيه ﷺ.

---

(١) كان ذلك في مذكرة قدمها إلى مجمع اللغة العربية في مصر سنة ١٩٤٤م.

والـذين لا يريـدون أن يدخلوهما ـ أي العـروبة والإسلام ـ لا يفقهون منهما شيئاً، ولو بُسطت لهم علومهما كل البسط، ويُسِّرَتْ قواعدهُما كل التيسير.

وأكـبر دليـل وأقـربـه على ذلـك **المستشـرقون** عندما أرادوا فقه الإسلام وفقه العربية اجتهدوا فيهما فنجحوا نجاحاً لم ينله كثير من أبناء العروبة والإسلام أنفسهم!

كما أن هناك من العلماء والأدباء الهنود والأتراك المسلمين فاقوا إخوانهم من العرب فهماً للقـرآن والحـديث النبـوي، وللغـة العـربية، وتكلّموا بها وألفّوا الكتب، وكتبوا المقالات، ودافعـوا عن الإسـلام والعروبة بأفضل من دفاع العرب أنفسهم ـ منهم **العلامة أبو الحسن الندوي، والعلامة أبو الأعلى المودودي ـ والعلامة الدكتور فؤاد سركين وغيرهم**.

أمـا مسألـة اقـتراح الـدكتور **طه حسين** حول الإملاء العربي، فليست اللغة العربية بِدْعاً في إملائها بين اللغات الأوربية الحية.

ففي اللغـة الفـرنسيـة وإن كنت لا أتكلمهـا ـ حروف لا تنطق ـ أي أن كلماتهـا تنطق على خلاف ما تكتب.

أمـا **اللغـة الإنجليـزيـة** ـ وقـد تعلّمتها أيام دراستي ـ فمليئة بالأمثلة على أن إملاءها كإملاء عربيتنا بل هو أعسر منها أحياناً.

خذ مثلاً Knif بمعنى «سكين» تنطق «نايف» بدون الكاف المرسومة في أولها ـ ومثلها Write بمعنى «يكتب» تنطق «رايت» بدون الـواو المـرسـومـة في أولها وكذلك كلمة (Right) بمعنى حق أو صواب تنطق «رايت» كسابقتها بدون الجيم والهاء المرسومتين في وسطها مع اختلاف المعنى بين الكلمتين وهناك الحرف «A» وهو كالألف في اللغة العربية يعمل أحياناً عمل الواو في أمثال كلمة Walk بمعنى يمشي مع عدم النطق باللام، ومثلها Tall بمعنى طويل.

ولـو ذهبت استقصي الشـواذ في إملاء اللغة الإنجليزية لاحتاج إيرادها مقالاً أطول، وبخـاصـة شذوذ هذا الإمـلاء في حروف العلة التي هي منـاط اقـتراح **الدكتور طه حسين** بالنسبة للغة العربية.. فحرف «U» ينطق فتحة في كلمة «But» بمعنى لكن وينطق ضمة في كلمة «Put» بمعنى يضع.

وبعـد: فإن الأمم ـ من غيرنـا ـ يعضـون بِنـواجـذهم على تقـاليـد لغتهم وثقافتهم وأخلاقهم، ويفخرون بهذا الحفاظ على تلك التقاليد.

فما بالنـا نحن العـرب نتفلّت من عُقُـل تقـاليدنا التي تفوق تقاليد الغربيين بحكمتها

وكـرامتهـا وقـوتهـا . . كأنـما هي عيب وعـار، وكأنما نحن بِدْعٌ بين الأمم التي تفخر بكيانها االممتاز وشخصيتها المستقلة؟ ألا إنهم يكيدون للإسلام والعروبة كيداً.

ولكن الله سبحـانـه الـذي أنـزل القـرآن، وضمن حفظـه من التبـديـل والتحريف سيحفظ لغته من مكائد ذوي الهَوَس والتخريف.

وحسبنا شهادة صادرة من غير عربي وغير مسلم . . ننقلها عن كتاب (**تأريخ العرب في أسبانيا**) للمستشرق دوزي جـ(٢) ص (١٠٣) يقول فيها:

● **إن كاهن قرطبـة** يتحـدث قائـلاً: إننـا نحب أن نقـرأ الشعـر والقصص، وندرس الـدين والفلسفـة في اللغـة العـربيـة . . فنتعلم لغـة عذبـة الألفاظ، بليغة الأداء، جميلة الإنشـاء ـ ولا تكـاد تجد فينـا من يقـرأ الكتب المقـدسـة باللغة الدينية . . وشبابنا جميعاً لا يعـرفـون غير لغة العرب وآدابهم، وكلما قرأوا كتبها ودرسوا أدبها أعجبوا بها، فإذا حدثتهم عن كتـاب من الكتب الـلاتينيـة سخـروا منـه، وهكـذا نسي المسيحيون لغتهم، وجهلوا كتـابتهـا وبـلاغتهـا، وحـذقوا اللسان العربي . . حتى ليكتبونه نثراً ونظماً بأسلوب أنيق، وتصوير دقيق، يفوقون فيه العرب أحياناً[1] .

حول محنة اللغة العربية

قرأت في جريدة «الأهرام» ـ في ١٩٧٥/٧/٢٥م – ما كتبه **الأستاذ نجيب محفوظ** عن محنـة اللغـة العـربيـة، التي تتمثـل في رأيـه في **صعـوبـة قواعد النحو العربي**، ثم في جمود «الجمرك» اللغوي الذي يرفض الكلمات الحيَّة الحديثة الخ.

وقرأت بعده ما عقّب به **الأستاذ على إبراهيم الكراز** على رأي الأستاذ نجيب ـ وهو دفاع مجيد وحميد عن سلامة اللغة العربية في قواعدها وأساليبها، ولا أريد أن أكرر ما قاله الأستاذ الكراز لئلا أطيل الحديث ـ ولكني أضيف بعض الملاحظات:

● **أولاً**: ليس في اللغـة العـربيـة قصـور ولا جمود، بل هي في روعة أسلوبها، وبلاغة قواعـدهـا أجمـل اللغـات وأجلُّهـا بيـاناً وكياناً ـ وإنما القصور والجمود في الذين يريدون أن يتحدثوا أو يكتبوا بها دون أن يجدُّوا أو يجتهدوا في إتقانها وإحسانها. والأمر في شأنها كما قال **العقـاد**: «**على الـذين يكتبـون ويخطبـون، ويتـولون إدارات النشر و الإعلام أن يتعلَّموا**

(١) نشر هذا المقال بجريدة البلاد السعودية في ١٣/١١/ ١٣٧٥هـ

قواعد النحو، كما يتعلّم قواعد الرقص من يريد أن يرقص، وقواعد الطبخ من يريد أن يطبخ!».

● **ثانياً**: لقد برئت اللغة العربية - بحمد الله - من الشذوذ الواضح المتكرر في اللغات الأخرى ففي الإنجليزية مثلا، شذوذ في القاعدة، وشذوذ في النطق - ولا حاجة بي لأن أثبت الأمثلة على ذلك فكل من يتكلم الإنجليزية يعرف ذلك[1].

●**ثالثاً**: جاء في تعقيب الأستاذ كراز قوله: (والقرآن الكريم دخلته الكلمات الفارسية والهندية والرومية مثل زنجبيل وكافور وجِبْت وطاغوت الخ.

وأنا مع تأييدي للأستاذ كراز فيما يذهب إليه من وجود كلمات أجنبية الأصل في اللغة العربية لكنها طُبِّقَتْ عليها قواعد اللغة العربية، واستعملت استعمالاً عربياً - إلا أني أعد ذلك تعريباً كاملاً لهذه الكلمات الأجنبية، وأقول بأن العرب - قبل الإسلام - هم الذين أدخلوها وعرَّبوها بحكم الاختلاط بينهم وبين أمم تلك اللغات.. على نحو ما يوجد في اللغة الفارسية والأردية والتركية - مثلاً - من ألفاظ عربية محرَّفة عن أصلها قليلاً أو كثيراً.

وعلى هذا الأساس لا يصح أن نقول - كما قال الأستاذ كراز: إن القرآن الكريم دخلته الكلمات الفارسية والهندية الخ.. فليس في القرآن كلمات أجنبية إطلاقاً، وإنما هي كلمات عربية نطق بها العرب، وأدخلوها في لغتهم وتعاملوا بها قبل الإسلام، وقبل نزول القرآن حتى أصبحت من حيث العرف عربية تماماً - وهذا ما يؤيده القرآن نفسه حين يكرر في عدد من آياته الكريمة بأنه إنما أُنزل بلسان عربي مبين، ويقول من جانب آخر - ﴿**وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه**﴾ بمعنى أنَّ الرسول عربي، والقرآن نزل بلسان العرب.

●**رابعاً**: في كتابي (**محاضرات في الثقافة الإسلامية**[2]): فصل عن اللغة العربية وعلاقتها بالإسلام، وحقيقة كونها لساناً وكياناً للعرب وليس مجرد لغة، والمؤامرات التي تحاك لإفسادها وبالتالي لإفساد الحضارة العربية والإسلامية.. بكل قطاعاتها وجوانبها وصورها - كما أن كتابي الآخر (**مع المفسرين والكتاب**)[3] يشتمل على فصلٍ خاص في الرد على من يزعم أن في القرآن ألفاظاً أجنبية.

---

(١) ذكرت بعض الأمثلة على الشذوذ في المقالة السابقة من هذا الفصل.

(٢) صدرت طبعته السادسة سنة ١٤٠٣هـ (١٩٨٣).

(٣) أبدلت اسمه باسم (القرآن كتاب أحكمت آياته) وصدر في جزئين في طبعته الخامسة.

وبعد فشكراً (للأهرام) إذْ أتاحت لي الاشتراك في هذا الحوار الفكري مع الأخوين الفاضلين **الأستاذ نجيب محفوظ**، **والأستاذ علي الكراز**.

الرياء الأدبي

لا معابة في ألّا يحسن الإنسان أو الأديب لغةً أخرى، وإن كان تعدد اللغات في إنسان أو أديب تعدُّداً لأفكاره وخواطره وأخلاقه ـ وفي ذلك مغنم من التفوُّق ليس باليسير. ولكن المعابة أن يرائِي أحدنا بمعرفةٍ مُخطئةٍ عن معلومات إنجليزية أو فرنسية أو ألمانية، في حين أنه لا يعرف منها ألفاً ولا ياءً، فيسلمه رياؤه إلى الخطأ.

ومحاسبة[1] هذا الأسبوع سيقام ميزانها ضد الرياء الأدبي المخطيء المخفق في نفوس بعض أدبائنا العزيزين علينا.

فهذا أحدهم يتحدث عن أخلاق بعض خصومه، فيصفه بالإصابة بمركب النقص، ويقول إنها (حالة يسميها علماء النفس بالنيروز المحرفة Nervous نيرفس ومعناه في الإصطلاح العلمي الحديث (عُصَابي) بضم العين، أي عصبي المزاج سريع التأثر.. فأين مرض العصب من مرض النفس الذي فسَّر به الكاتب النيروز المحرفة؟ ثم ما معنى جملة (الذي يحتاج إلى علاج)؟ أحسبها من لغو التفسير الخاطيء وإلّا فكل مرض يحتاج إلى علاج.

ويصف الآخر نوعاً من التملُّق بأنه: (تواضع فني ميتافييزيقي) والميتافيزيقا علم ما وراء الطبيعة أو الغيبيات، فما وجه هذا التواضع الفني الغيبي (أي الآتي مما وراء الطبيعة)؟

المثال الثالث: سمَّى أحدهم الكتابات الفحمية على الجدران بأدب الفحالزم فأخطأ في استخدام القاعدة الإنجليزية للاشتقاق، ذلك أن Ism تزاد على بعض الكلمات الإنجليزية لتفيد الأسمية، وكان التركيب الصائب لتسمية هذا الأدب الأسود (فحميزم) أما (فحال) فلفظة لا أعرفها في لغة العرب، ولا في لغة تكرور.

وقال الرابع يصف نموذجاً بشرياً: (إنه مدفوع بعامل إكمال النقص كما يسميه علماء النفس سيكولوجياً) ولسنا ندري ما موقع سيكولوجيا من الإعراب؟ أهي مفعول ثاني

---

(١) نشرت هذه الكلمة في زاوية (محاسبات) التي كنت أكتب كلماتي خلالها في جريدة (البلاد السعودية).

(ليسميـــه)؟ أم بدل من (علماء النفس)؟ فإن كانت الأولى فخـاطئـة إذ أن سيكـولـوجيـاً Psychology معنـاه العـربي : (علم النفس) وإن كانت الثانية ففيها تحريف نقص، إذ أن الترجمة الأفرنجية (لعلماء النفس) هي سيكولوجستس Psychologists.

وثمـة نماذج أخـرى، من أولئـك الـذي يحشـرون خلال كتـابـاتهم هذه التشبيهـات الربائية : (كما قال الفرنسيون ـ كما قال الإنجليز ـ على حد التعبير الانجليزي) الخ دون معرفة أو فهم صحيح للنصوص المنقول عنها، ومن غير حاجة لهذه النقليات القولية، وهي زلـة أدبيـة عامـة قد أسلفت نقـدهـا بمجلة الإخـوان المسلمـين منذ عام تقريباً وأعيده هنا للتذكير إن نفع التذكير؟!.

إستخدام الكلمات العامية

قد تتبـاعـد فترات «المحـاسبـات» فيـما نستقبـل من أسابيع، ذلك أنني أخطأت . . أخطأت بعـدد من استعجلت حسـابهم، ولن أوضـح أكثر من أني لا أقْدِم إلّا على محاسبة أقوياء الأعصاب، الصُبرُ على المناقشة، الصُدُق عند انتهاج الصواب.

ولأن أعصـاب الـرفيق (أبي نضارة) من القوة والاتزان بحيث تطمئنني على انفساحه وارتياحه لمحاسبتي إياه فسيدخل اليوم هذا الديوان :

وسأسألـه : أي أمـر يحمله؟ على استخـدام كلمات عامية في (قرصاته) اللذيذه ـ ومن القرص ما يلذ! ـ وإنه ليخاطب فيها خاصةً الرؤ ساء والكبراء يفتتحها بأراذل المشكلات، ويختتمها بأحاسن الحلول؟

أعيدها عليه . . لماذا هذا؟!

وأحسب أنـه ـ إذا اقـترحت عليـه العودة إلى قواعده المعروفة له من فصاحة وصراحة وأسلوبٍ أدبي جميل ـ سيستجيب[1].

(١) نشرت في جريدة البلاد السعودية سنة ١٣٦٥ تحت عنوان (محاسبات).

عندما يكون التقليد أعمى أو أعور

التقليد غريزة أوخلق أصيل جميل ما ظل يفيد صاحبه في مسلك حياته أصالةَ تفكير، وجمال تعبيرٍ، ولا ملامة فيه ولا مضرة منه إلاّ إذا كان تقليداً أعمى أو أعور، فتأتي الفائدة من نوعه على سواء.

وأحسبنا ـ نحن المشارقة المسلمين ـ قد امتزنا بالتعجّل الفائق، يستهوينا البرق الخلّب، والسراب اللامع من أقوال الغير وأعماله فنهواه ونهوى فيه . . مقلِّدين لا نتفكَّر فنتخيرَّ، مسوقين لا نسأل ما الدليل؟ وأين السبيل؟

فقد أخذنا متعجلين عن الغربيين تعبيرهم هذا: (رجعيّة) ولم نَعِ دليلَها التأريخي من ماضي الغرب المظلم، وطفق الكثير منا يقول لكل سلفيَّةٍ صالحةٍ: رجعية، وينعت كل سلفيٍ صالح برجعيّ أو قديم.

ورجعية Retrogression اصطلاح غربي أطلقه الغربيون خاصاً بماضيهم، فكل محاولة من أحدهم للنزوع إلى سجية من سجايا قرونهم الوسطى المظلمة رجعية وكل نزاع منهم إلى هذه السجية رجعي أو قديم Retrograde .

أما نحن ـ المشارقة المسلمين ـ فالغابر من تأريخنا خير، والسالف من جدودتنا صالح، ومحاولة أحدنا للنزوع إلى سجية من سجايا عصورنا الراشدة الأولى: مَحْمَدة واجبة النُشدان. وإذاً (فرجعيَّتنا) فضيلةٌ ونور وليست (كرجعيتهم) ظلاماً وجهلاً، وعلينا أن نعلم بعد اليوم أن شرطيْ التقليد الناجح: صدق الفهم، وإحسان الاختيار[1] .

من أعداء اللغة العربية

من المعروف أن مصطفى كمال اتاتورك مؤسس تركيا الحديثة ـ في أعقاب سقوط **الدولة العثمانية الإسلامية** ـ بدأ أعماله السياسية بالغاء الحرف العربي الذي كانت تكتب به اللغة التركية، وأمر بكتابتها بالحرف اللاتيني . . هذا إلى جانب محاربته للدين الاسلامي تشريعاً وتعليماً، وهدمه للمساجد وتحويلها إلى كنائس أو متاحف.

---

(١) نشرت في جريدة البلاد السعودية سنة ١٣٦٥هـ تحت عنوان (محاسبات)

والآن قام **محمد زياد بري رئيس جمهورية الصومال** بالحركة نفسها، فألغى الحرف العربي من اللغة الصومالية، واستبدل الحرف اللاتيني به، وأعدم عدداً كبيراً من علماء الإسلام لمعارضتهم للقوانين الجديدة التي أصدرها بتحريم تعدد الزوجات، ومنع الطلاق، ومساواة المرأة بالرجل في الإرث[1] .

وقبله كان **(غاندي)** الزعيم الروحي للهند عدواً للغة العربية . . فقد رفض أن تكون اللغة الأردية من لغات الهند المعترف بها لمجرد أنها تكتب بالحروف العربية، وقال: إن على المسلمين أن يحافظوا على اللغة التي تكتب بخط قرآنهم!!

● وقبل ذلك بسنوات طوال كتبت جريدة **(صوت الحجاز)** تعيب على إيران أن تحذو حذو تركيا في محو الألفاظ العربية من معجم اللغة الفارسية . . في الوقت الذي تقرر بعض الجامعات الأمريكية دراسة اللغة العربية وآدابها[2] .

---

(١) كنت عضواً في وفد من رابطة العالم الإسلامي زار الصومال وعرفنا كثيراً من الأوضاع الإسلامية المؤسفة هناك، وقد تحدثت عنها في كتابي (خطوات على طريق الدعوة) الذي أصدرته الرابطة سنة ١٤٠٩هـ

(٢) نشرت هذا الخبر جريدة (صوت الحجاز) يوم ١٨ صفر ١٣٥٤هـ



الفصل الرابع

ما يراه الآخرون

في الحديث النبوي الذي يرويه الإمام مسلم رحمه الله أنه قيل لرسول الله ﷺ : (أرأيت الرجل الذي يعمل العمل من الخير . . فيحمده الناس عليه؟ فقال ﷺ : تلك عاجل بشرى المؤمن) .



آل جمـــال ؟
مكيـون أصـلاء

كتب **الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان** المدرس بجامعة أم القرى - في جريدة **(عكاظ)** يوم **٢٠ /٨/ ١٤٠٥** هـ يرثى ابن العم **الشيخ إسماعيل حسين جمال** رحمه الله - بمقال طويل عن محامده ومكارم أخلاقه - جاء في فاتحته ما يلي :

● (فهو أولاً ينتسب إلى بيت عريق من بيوتات **مكة المكرمة** له دوره الاجتماعي والعلمي في الماضي . . إذْ خرَّج عدداً من العلماء والأعيان، منهم **الشيخ عبدالرحمن جمال الكبير** المتوفي عام **١٢٤٩** هـ تحدث عنه مؤرخ مكة **العلامة الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير** بقوله[1] :

وكان إليه المنتهي في الحذق والذكاء، وقوة الاستحضار لدقائق العلوم، مع طلاقة الوجه والبشاشة وحسن التقرير، مع طرح التكلف، وُلِّي مرة **قضاء جدة في مدة الشريف غالب**.

ومن أفاضل وعلماء هذا البيت المجيد أيضاً **العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عثمان بن العلامة عبد الرحمن جمال**، وصفه مؤرخ مكة **الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير** بقوله[2] :

(كان رحمه الله من الجهابذة المُتْقِنين والعلماء المتَّقِين، صاحب سكينة، وكان عفيفاً صالحاً فقيهاً ، وانتفع بعلومه كثير من أعيان مكة الأفاضل، ومن جملة من قرأ على يده **الشيخ محمد علي مرداد، والشيخ أحمد أمين بيت المال**، وسيدي الوالد، وأخبرني بأنه توفى بالطائف في شعبان سنة ١٢٩٠هـ، وأعقب ابنه **عبد الرحيم**، ثم إنه مات عن أبنائه الموجودين الآن (في زمن المؤلف) **محمود وحسين وعبد الرحمن**).

ولازال هذا البيت من بيوت مكة حرسها الله معطاءً سخيًّا من الرجال والشباب والعلماء والأدباء والمثقفين الذين يحتلون مكانتهم الإجتماعية في هذه البلاد يأتي في طليعتهم المترجم له الشيخ إسماعيل رحمه الله تعالى، والعالمان البارزان، والأديبان المفكران **الشيخ صالح محمد جمال، والشيخ أحمد محمد جمال** والعدد العديد من شباب هذا البيت الذين يحتلون الصدارة الاجتماعية بين طبقتهم من جيل الشباب.

---

(١) المختصر من (كتاب النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر).

(٢) المصدر السابق.

كما كتب الأستاذ عبد الكريم إسماعيل جمال رثاء لوالده ـ رحمه الله ـ في (عكاظ) أيضاً جاءت فيه إشارة عن بيت آل جمال في قوله:

(وقد وجدت في مذكراته رحمه الله ترجمة لجدنا الأعلى الشيخ عارف ابن محمد جمال نقلها من كتاب (الأزهار الطيبة النشر في ذكر الأعيان في كل عصر) والشهير ـ بأزهار البستان ـ لجامعه الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي . . وهذا الكتاب مسجل في مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم (٦٥) دهلوي جاء فيه ترجمة الشيخ عارف بن مُحَمَّد جمال الحنفي المكي، قال المفتي علي الصديقي: المكي العلامة الفاضل الحبر الكامل . . قرأ بمكة المكرمة على المشايخ، ولازم الشيخ حسن العجيمي، وأخذ عنه التفسير والحديث والفقه وغيرها، وروى عنه العلامة طاهر سنبل، والشيخ محمد سنبل، والشيخ عباس سنبل أبناء الشيخ محمد سعيد سنبل، وهوجد بيت جمال المجودين الآن بمكة، وتوفي ررحمه الله بمكة المشرفة عام ١١٦٢هـ ودفن بالمعلاة.

(وفي ترجمة أخرى لجدنا الكبير الشيخ عبد الرحمن بن عثمان جمال بن العلامة عارف جمال منقولة من كتاب «فيض الملك المتعال» المخطوط تأليف عبد الستار الدهلوي الموجود ضمن مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف ـ جاء فيها:

(الشيخ عبد الرحمن جمال المكي الكبير ابن العلامة عارف جمال تلميذ الشيخ حسن العجيمي الحنفي المكي الإمام والمدرس بالمسجد الحرام العابد الناسك، أحد علماء مكة العاملين، والأئمة العظام المحقِّقين، ولد بمكة المكرمة وبها نشأ وحفظ القرآن وجوَّده، وتلقَّى العلم عن علمائنا . . منهم المفتى عبد الملك الوالقي، وطاهر سنبل، والسيد محمد التونسي، فبرع ودرَّس بالمسجد الحرام، وتصدَّر ـ وقد ولي مرة قضاء جدة في عهد الشريف غالب وتوفي المترجم عنه عام ١٢٤٩هـ وخلّف ابنه عثمان.

(وجاء في نفس المخطوط «فيض الملك المتعال» ترجمة لجدنا الشيخ عبد الرحمن بن الفاضل الشيخ عثمان جمال ابن العلامة الشيخ عبد الرحمن جمال المكي الحنفي مدرس في الحرم الشريف وإمامه وخطيبه . . هو وأبوه وجده، كان فقيهاً جيداً مفيداً . . صاحب سكينة ووقار، وعلم وحياء، وفضل لا يوصف . . قد أخذ العلم عن مولانا السيد أحمد دحلان مفتي الشافعية بمكة، وشيخ الإسلام يومها ـ وتلقى عن مولانا الفاضل مفتي الأحناف الشيخ جمال بن عبدالله شيخ عمر ـ وكان رقيق الطبع ومع ذلك كان يعاني صنعة الطوافة، ويقرأ الدروس توفي بالطائف عام ١٢٩٠ هـ رحمة الله عليه).

أحمد جمال شاعراً

بقلم : د. مصطفى إبراهيم حسين

هو أحمد بن محمد بن صالح جمال. وُلِدَ بمكّة المكّرمة عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٣م، والتحق بالمعهد العلمي السعودي. ولم يكن هناك - بالمملكة - سوى هذا المعهد، وتخرج به عام ١٣٥٩هـ، وتلّقى قسطاً من التعليم في الحلقات التي كانت تُعقدُ بالمسجد الحرام آنئذ، كما انصرف إلى القراءة والإطلاع، صانعاً لنفسه نهجاً خاصاً، وتصوُّراً خاصّاً.

وفي عام ١٣٧٥هـ ، عُيِّنَ «أحمد جمال» عُضواً بمجلس الشورىٰ، وأستاذاً لمادة «الثقافة الإسلامية» بجامعتي أم القرى، والملك عبدالعزيز، وما يزال يمارس عمله أستاذاً جامعياً. وقد أتاحَ له هذا المنصب ما تميَّزَ به من اطِّلاع واسع على الفكر الإسلامي، وما قدّمه لحقل الفكر الإسلامي من إنتاج علمي متميِّز غزير.

مؤلفاته

شارك «أحمد محمد جمال» منذ مطلع شبابه في نشر العديد من المؤلفات الإسلامية، ذات الارتباط الوثيق بواقع العصر وتحدِّياته: سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، مستلهماً القرآن والسُّنة، والنهج السلفي، مستفيداً بما قرأه من كتابات إسلامية معاصرة، لدى محمد أبي زهرة، ومحمد الغزالي، وسيد قطب، ومحمد قطب، وغيرهم ممن استقامت لهم رؤية إسلامية أصيلة على الواقع الراهن للمسلمين.

وإلى جانب المؤلفات الإسلامية الغزيرة، فقد شهدت الساحة الأدبية له أيضاً نشاطاً أدبياً إبداعياً، في مجال الشعر بصفة خاصّة . . سنشير إليه مجمِلين مرة، ومفصّلين مرة أخرى. وأبرز مؤلفات «أحمد جمال» الإسلامية هي:

* على مائدة القرآن دين ودولة
* مفتريات على الإسلام
* قضايا معاصرة في محكمة الفكر الإسلامي
* مكانك تحمدي

* كرائم النساء
* من أجل الشباب
* دراسات ولقاءات عن الشباب
* نساء وقضايا
* يسألونك
* القرآن كتابٌ أُحْكِمَتْ آياته جزءان كبيران
* نحو تربية إسـلامية
* إستعمار وكفاح
* مأساة السياسة العربية .
* نحو سياسة عربية صريحة
* محاضرات في الثقافة الإسلامية
* القصص الرمزي في القرآن
* عقود التأمين بين الاعتراض والتأييد
* نساؤنا ونساؤهم
* الاقتصاد الإسلامي
* الجهـاد في الإسلام
* الإعلام بأخبار البلد الحرام (تحقيق) .

أما عن الإسهام الأدبي ، فهوكما سلف القول ، كان في مطلع شبابه ، كما كان في مجال الإبـداع الشعـري بخـاصـة . وقـد كان «**أحمـد جمال**» ينشـر نتـاجه الشعري فى عديد من الصحف والمجـلات السعـوديـة ، ثم جمع هذا النتـاج المفرق في **أول ديوان صدر له ، وهو «الطـلائـع»** . وفي الطبعـة الثـانيـة لهذا الـديـوان ، لجأ الأديب إلى تغيـير العنـوان ، إذ جعله«**وداعـاً أيهـا الشعر**» . وهوعنوان يدل على عزوف «أحمد جمال» عن الشعرعلى نحو متعمّد ، قَصدَ به التوجُّه التّام إلى الفكر الإسلامي وقضاياه ، يختصه باهتمامه ، ويؤثره على الأدب الإبداعي بمؤلفاته . **لقد تحوّل «أحمد جمال» إذن عن الإبداع الشعري إلى «الدعوة للإسلام»** .

إن «أحمد جمال» بدأ حياته أديباً إبداعياً، ثم ما لبث أن عزف عن الشعر وودَّعه، مُتَّجهاً إلى الدراسات الإسلامية في طابعها الفكري الواقعي. ونضيف هنا قولاً ساقه في مقدمة الطبعة الثانية لديوانه «الطلائع» والذي صدر بعنوان «وداعاً أيها الشعر» . . يقول أحمد جمال: «. . أما أنا فهذا بعض شعري الذي قلته منذ صباي، ثم شبابي. وقد سمّيت الطبعة الأولى من ديواني «الطلائع» لأني كنت أحسب أني سأظلّ شاعراً، وأقول الشعر في مختلف مجالات الحياة وأحداثها ومسالكها. ولكن الله، عزَّوجل، أراد غير ذلك، فوجّهني إلى أدب الدراسات الإسلامية، فكتبت فيها المقالات، وألَّفتُ الكتب، وألقيت المحاضرات، ودرَّستها لطلاب الجامعات في مكة المكرمة وجدة، وفي المؤتمرات الداخلية والخارجية. وبذلك التوجيه الذي أراده الله لي كانت «الطلائع»: «خواتيم». ولكنها ذكريات عزيزة سيجد القراء فيها عبرة وروعة وقصة وتأريخاً».

ويذكرنا هذا التحول بما كان عليه الداعية الشهيد «سيد قطب» رحمه الله، إذ كان، قبل تحوُّله إلى الكتابة الإسلامية، شاعراً وناقداً، قدم للحقل الأدبي الكثير من ناشئة النقاد والشعراء، كما قدم إنتاجاً مرموقاً من النقد النظري والنقد التطبيقي، وعرف الوسط الأدبي «سيد قطب» كواحد من ألمع وأنبغ تلاميذ العقاد رحمه الله. ثم كان أن عزف عن الأدب والنقد إلى الدعوة الإسلامية: نضالاً بالكلمة والموقف.

وديوان «الطلائع»، أو «وداعاً أيها الشعر» كان، في الأصل، قصائد مفرقة دأب الشاعر على نشرها في المجلات والصحف المحلِّية والعربية. وترجع البدايات الأولى لشعر «أحمد جمال» إلى عام ١٣٥٦هـ، وكانت سِنّة نحو الثالثة عشرة. وديوانه يحتوي على قصائد ومقطوعات وأبياتاً مفردة تتجه أغراضها في الأعم الأغلب، إلى الواقع العربي والإسلامي، تنحى عليه بالنقد، وتصور خنوع المسلمين، وتناشدهم إحياء أمجادهم، والانتفاع بما لدى الغرب من العلوم والمعارف. يقول من قصيدة بعنوان: «لم نَبْنِ دنيا . . . ولا دينا حميناه»:

بالأمس كنا ولاة الكون نعمره	بالعدل والفضل أدناه وأقصاه
والسلم نؤثرها، والحرب نسعرها	لا نعتدي. ووغانا النصر عقباه
واليوم ما بالنا من بعد رفعتنا!	في الكون نزحف زحفاً في زواياه
أموالنا، وأراضينا، وأنفسنا	نهب العدو تجريهن كفاه
إني لأفتح عيني في مواطننا	على كثير غثاء السيل جدواه

نقلِّد الغرب، أو نلغو بسالفنا لم نبن دنيا، ولا ديناً حميناه

وقد يصرف «أحمد جمال» القول إلى «مناسبات إسلامية» ماضية وحاضرة، كما في قصائده في ذكرى الهجرة، وفي ذكرى المولد النبوي، وموسم الحج، ولقاءات زعماء العرب، حيث يذكِّر بفلسطين، ويناشد القادة العرب أن يتجهوا إلى ما ينفع أمة العرب:

فلسطين ركن في كياني ومضغة من الروح إن توخز فياحر وخزتي
فقل لملوك العرب إثر اجتماعهم بمصر، ذياداً عن حياضي وشربتي
تداولها تسع وعشرون حجّة ومبضع هود صائل أيّ صولة

وإلى جانب (الشعر الإسلامي)، يوجه «أحمد جمال» شعره إلى الجانب الاجتماعي، فيصوِّر ما يشيع في بعض المجتمعات الإسلامية الفقيرة من صور البؤس والعوز، فيقول مثلاً:

سيأزف العيد، يابشراي بالعيد يقولها فَرِحُ الأعطاف والجيد
أبوه يلقمه حلوى، ويلبسه استبرقا بين تدليل وتمجيد
وأمّه تتلقاه، بأذرعها بسَّامة، بين ترقيص وتغريد
وبيته معرض الألعاب مختلفاً ألوانها: من هدايا أو تقاليد
فأين منه يتيم غير مكتفل وأين منه شجيّ غير مودود
وأين منه فتاة غير حالية كسيفة الصدر في أهل مجاريد

ومن الملاحظ أن (الشعر الاجتماعي) لدى «أحمد جمال» يدخل أيضاً في دائرة (الشعر الإسلامي)، لأنه، هو الآخر، يلتزم الواقع الإسلامي، ويصوِّر مظاهر البؤس الاجتماعي داخل بلدان الوطن الإسلامي.

ويتناول «أحمد جمال» في شعره أيضاً جانباً آخر هو (الجانب الإنساني)، حين يصوِّر لنا ما ألمَّ بالإنسانية من ويلات الحرب والدّمار. فيقول، من قصيدته (ابتهال في الحرب):

حادثات عظمى يشيب لها الولد ان افجع بحادثات تشيب
وحروب مشبوبة ليس فيها فات من دهرنا لهن ضريب
فالبراري من الجيوش حبالى مثقلات نتاجها التخريب
والأناسي في مداها يعانو ن غلاء يمليه ربحٌ معيب

من الشعر الذاتي

وإذا كان «أحمد جمال» قد التزم بالواقع الإسلامي والعربي في شعره، فلا يعني هذا انه قد تجرد من **النزعة الذاتية**، فله أشعار في الشكوى الذاتية، كشكواه من مرضه، وشكواه من ملله، وشكواه من بعض الرفاق. غير أن «الشكوى» عند «أحمد جمال» تظل تعبيراً عن حساسية الفنَّان، وتلقائيَّة ردّ الفعل لديه. وهي لا تتجاوز هذا النطاق إلى القنوط واليأس والسخط. وهو دائم الانتهاء إلى مرفأ آمن، هو الأمل في الله، والإيمان بعدله وفرجه، الذي يذوب فيه ألمه وحسرته، حيث تستحيل «الشكاة» إلى لون من **«التبتُّل والمناجاة»**.

مرضتُ فلم أسطع على مرضي صبرا ... فقد هدَّمني الجسم والفكر والصدرا

مرضُت فقضيَّت الليالِيَ ساهراً ... أقاسي على ربوي الوساوس والذُّعرا

مرضتُ فسيَّان الدُّجى وسنا الضُّحىٰ ... لديّ، وما أشجى كمثل الذي سرا

مرضتُ ففوَّضتُ الأمور إلى الذي ... بدائي، وما يشفيه من غيره أدرى

هو الله. فاللهم رحماك بالصبا ... صباي، فكم طول السقام به أزرى

والأبيات المتقدّمة تلحُّ في الشكاة، ووصف تجربة الألم، وللتكرار دوره في إبراز هذا الألم، حيث كرر الشاعر كلمة «مرضت» وجعلها في مفتتح أكثر الأبيات المتقدمة. ولكن ابتداء قصيدته «شكوى» وانتهاءها «توجُّهٌ إلى الله ودعاء».

وإذا كانت أبياته المتقدمة قد بدأت بالشكوى، وانتهت بالدعاء، فإن غيرها قد بدأ بالابتهال والدعاء، وفي نسيج الابتهال كانت شكوى الشاعر وآلامه ومضاضاته كقوله:

سألتك ياربَّاه في ركَعَاتي ... شفاءً لأدوائي وفي سجداتي

وقبل صلاتي أرتجيك وحينها ... وإثر انتهائي من أداء صلاتي

وفي هجعات الليل والناس نوّم ... وطرفي بكاء، وفي يقظاتي

شبابي، وقد كان المشع نضارة ... يكادُ ليذوي من لظى حرقاتي

فهلا شفاء منك يكسو شبيبتي ... جمالاً كما كانت وتسعد ذاتي

ويتمثَّل الشعر الذاتي لدى «أحمد جمال» ـ أيضاً، في شعره الغزلي، ولكن **الغزل عنده «إعراضٌ عن الغزل»**، واستعلاء على الحب، مؤثراً عليه نداء الروح والعقل، ناظراً إلى الحب على أنه ضرب من الوهم والسفه، لا عالم من التباريح والوجد والالتياع، ويرى في

هذا الموقف غاية الحريَّة. فيقول:

أيها الحبُّ لا طرقتَ فؤادي | لا ولا اقتيد في سبيلك جيدي
لا ولا كنت من هواجس فكري | أيها الحُبُّ: ياسفاه الرشيد
ياهوان العزيز، دون ارتفاق | ياشقاء الخليّ بعد سعود
ياإسار الطليق ياقفص السا | رح في باحة الوجود الطليق
ياهموم الفؤاد، ياترهات | العقل يامُحْيِيَ الليالي السود

ويستعيض «أحمد جمال» عن حب الشعراء إلى حب آخر يرضاه، وهو «حب الزوجة» فيتمنى، وهو بعد في مراهقته، حليلة تقيه الزلات، وتملأ نفسه بالحلال. وذلك اتجاه غير مألوف لا عند شعراء الغزل، لا عند الجمهور الغالب من الشعراء، في القديم والحديث. إن «أحمد جمال» يوظّف الحب توظيفاً «خُلُقيَّاً». وينزع به منزعاً بعيداً عن السائد المألوف من عوائد الشعراء.

وإذا كان ثمَّة رأي ننتهي إليه كرؤيةٍ شاملة للاتجاه الشعري لدى «أحمد جمال» فهو أن «المنزع الإسلامي» كان الغالب على تجربة الشعر لديه، لم يتفلت من هذا المنزع شعره الذاتي نفسه، وسبب ذلك فيما نرى، إن «أحمد جمال» مهيأ لغير عالم الشعر، وهذا، فيما نرى أيضاً، هو السبب في هجرانه إلى عالم الدعوة والأدب الإسلامي الملتزم.

كان الشعر، لدى «جمال»، إرضاء واستجابة لنزوع فائر أملاه الشباب، وكان صدوراً عن موهبة لم يشأ أن يستجيب لها كل الاستجابة، ويفرغ لمطالبها، لأن نزعه الإسلامي كان أقوى سلطاناً، وأشدُّ أثراً في توجيهه. لذلك فإنه ألمَّ بالشعر إلماماً، ولكنه ما لبث أن تركه إلى طريق حَشَدَ لها كل طاقات الفكر والوجدان والتعبير كبداية لحياته الأدبية.

وحول صلة الأدب بالدين، يقول: «... الأدب يجب، كما قلت مراراً، أن يكون أخلاقياً، أي أن يكون محكوماً بالأمانة والشرف والصدق. والإسلام، كما أسلفت، إنما جاء متمماً لمكارم الأخلاق.. فالأدب الحق من الدين، والدين الحق من الأدب..».

ومارس «أحمد جمال» فنّ «المعارضة الشعرية». ولكن المعارضة لديه تختلف من بعض الوجوه عن «المعارضة» في تراثنا العربي قديمه وحديثه. فأحمد شوقي، مثلاً، يعارض البحتري، وابن زيدون، والبوصيري. ولكن الشاعر «أحمد جمال» يعارض قصائد لأقران له من الشعراء السعوديين، منهم، على سبيل المثال، حسين سرحان، وحسين عرب.

بالإضافة إلى معارضته لغير السعوديين من الشعراء. كمعارضته لشاعر المهجر (ايليا أبو ماضي).

وقد مارس «أحمد جمال»، على قلة «فن المعارضة» التقليدي فعارض **أبا الطيب المتنبي** في قصيدته الذائعة:

«عيدُ بأَيَّةِ حالٍ عُدتَ ياعيْدُ»

لعلَّ فيما سبق من حديث عن ممارسة «أحمد جمال» الإبداعيَّة؛ ما يلقي بعض الضوء على آرائه التي أدلى بها: **«فأحمد جمال»، مثلاً، ينزع إلى «الالتزام»: وضح ذلك في شعره، كما أسلفنا، سواء في شعره الاسلامي، أم في تجاوبه مع أحداث العصر ومواقفه، أم في غزله الذي اعتبرناه «إعراضاً عن الغزل».**

ووقفة على ما صرح به من آراء تكشف عن المطابقة بين النظريِّة والتطبيق. يقول «أحمد جمال» مثلاً: «... الشعر لا يقل أثراً وتأثيراً وقيمة عن النثر في تأدية رسالة الفكر والوجدان، إلا أن النثر أسهل أداء، وأيسر إلقاء. ولذلك تحوَّل كثير من الشعراء إلى كُتَّاب، وأصبح الموقف بالنسبة لهم هموماً ثقالاً، يضيق الشعر عن القيام بها».

وبعد، فلا على «أحمد جمال» ألّا يكون شاعراً. ولا عليه أن تكون موهبته الحقيقية في النثر. فلقد كسبه **«النثر الإسلامي»** داعية وباحثاً ومفكراً، أثرىٰ **«النثر الإسلامي»**، وأخصبَ الدعوة الإسلامية بالأصيل الراسخ من فكره ونتاجه[1].

(١) نشرته مجلة (قافلة الزيت) سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م

أحمد محمد جمال قصصياً ؟

بقلم : الأستاذ محمد قطب عبدالعال

الحديث عن القصة في الأدب السعودي حديث تكتنفه بعض المحاذير، التي تتبدَّى في افتقارها إلى الدراسة التنظيمية والبيلوجرافية التي تحاول أن تتقصى بداياتها الأولى ، تلك البداية التي ارتبطت بظهور الصحف والمجلات الأدبية ارتباطاً وثيقاً ، فالقصة هي بنت الصحيفة ونتاجها الطبيعي . ولا شك أن عدداً وفيراً من القصص قد عرف طريقه إلى الصحف وبرزت أسماء أدبية في بواكير النهضة الأولى في الحجاز قد ساهمت في إرساء هذا اللون الأدبي بطريقة أو بأخرى .

وقد بدأت القصة بداية واقعية حيث استقى الأديب موضوعه الأدبي من الواقع ، وكأنما القصة بديل عن عدسة المصور ـ فلم يكن للأديب الواقعي أن يطلق العنان لخياله ، لأن عليه تصوير ما يرى من مناظر وشخصيات حوله وعليه أيضاً أن يعالج الأحداث الجارية والمُعَاصِرة، والتقاليد والعادات التي تؤثر في سلوك المجتمع .

من هذه البدايات القصصية كتاب صغير وقع في يَدِي ، ذو حجم صغير وورق أصفر يكاد يتقصف بين الأصابع لطول الزمن الذي مضى عليه ، وجاء غلاف الكتاب يحمل صورتين لشيخ وقور يرتدي الغترة والعقال ، شيخ تظهر من عينيه نظرة تأمل عميق مصحوب بإشفاق ـ كأنه التأريخ ـ وهو ينظر إلى فتى وسيم ، يرتدي الملابس الحديثة وهو يتطلع إلى أفق بعيد بنظرة تخترق الحجب ، تلازمها حيرة وزمة شفتين توحي بالإصرار، وخلفية الصورةَ صفرة الرمال المتراكمة والممتدة يطل على حافتها نخلتان سامقتان تضربان بجذورها في أعماق الرمال بحثاً عن الخصب والري ، وصولاً إلى العطاء في النهاية ، وتجلل الصورة شمس ساطعة بلون الرمل واصفرار المكان كله .

والحقيقة التي تقولها الصورة تكشف تماماً عن المعنى الذي يحتويه الكتاب ، ويحاول أن يقوله في أسلوب خاص وبناء أكثر خصوصية ـ ذلك الكتاب الصغير خرج إلى الوجود في صفر عام ١٣٦٤هـ . . أي مضى عليه حتى الآن . ما يقرب من خمسين عاماً ، وهو زمن طويل طويل . . انقلبت فيه الحياة انقلاباً كاملاً وتغيَّرت التضاريس الحياتية في كل شيء مما يعطيه قيمة كبرى في مجال القصة والرواية .

والكتـاب مطبـوع بدار الكتـاب العـربي بمصـر سنـة ١٣٦٤هـ ـ مما يعطي دلالـة التواصل المعرفي بين بيئة الحجاز وغيرها من البيئات الأخرى وهو ما سنلمحه أثناء عرض الكتـاب : والكتـاب مرسـوم بعنـوان (سعـد . . قال لي) لمؤلفـه أحمـد محمد جمال المفكر الإسـلامي المعـروف فأضـاف بذلـك جديـداً كنـا نجهله عنه ، فمعلوم عنه اهتمامه البالغ بالقضايا الفكرية الإسلامية ، ورصده للنواحي الاجتماعية والأسرية والشبابية ، فضلاً عن دراسـاتـه حول القـرآن الكـريم في أجزاء متوالية . . مما يجعلنا نطرح سؤ الاً حول السبب الـذي ألجأ الكـاتب في بواكير شبابه الأولى إلى أن يتخذ النهج القصصي الحواري مدخلاً فِكـريـاً له؟! ولا إخـال الإجابة صعبة ، فالمعنى العميق وراء الكتابة هومعاناة الكاتب من الواقع بما يمثله من شطط في السلوك الاجتماعي ، يتنافى مع جوهر الدين الإسلامي أولاً ، ويخالف الفطرة البشرية ثانياً ـ ويهدر الجهود الخلاقة في إقامة مجتمع متطور ومتحضِّر ثالثاً . . ومخـاطبـة الذات في أخص خصائصها ، موقفها ، وجدانها ، مشاعرها ، مسلكها ، والقبض عليهـا وصـولاً إلى التطهـير والتعـديـل ـ هدف الدعوة ـ أميل إلى الدخول إلى عالم الفن القصصي بما فيـه من مواقف حيـاتيـة ، وتصـويـر لجوانب الحيـاة ، ووقوف على الأحداث المتلاطمة ، والصراع المشتجر بين الذوات الفاعلة ـ وإبراز الصورة العامة للذات البشرية في مواقف متشابهة ومتماثلة . . مما يعطي القارىء مزيداً من التشويق لمتابعة القصة . ومن ثم للاندماج فيها لإحداث هذا الغرض الفني : التطهير والتعديل .

إذن ، فمنطق الكـاتب منطق فكـري يبر ز اهتـمامـه بالإصـلاح الاجتماعي ، ويندرج تحت الـواقعيـة النقـديـة التي تطمـح إلى التغيـير في أنماط الحياة والبشر . ولنلق نظرة على الموضوع الذي شغل الكاتب في بواكيره الأولى .

في الأمسيـة الـرابعـة . . يطرح الكاتب موضوعه عن الحج ؛ فسعد بطل القصص أو راويهـا يتحـدث عن سفرة له إلى القاهرة والتقائه ببعض الأصدقاء فماذا سمع منهم سعد؟ (إن الـرحلة إليكم مبـاركـة حقاً ـ كلها متع روحية ، لا تدانيها متعة دنيوية ، ولكنها كالجنة حفت بالمكـاره . إن الله لم يكتب الحـج على عباده ليلاقوا عندكم مالا يطيقون من اعتلال واختلال واستغلال[1] وتتمثل الشكوى في رداءة الماء ، وكثرة الذباب والبعوض ، وانتشار القـذارة . . ومعـانـاة حجـاج البواخر والبحث عن المطوفين (وحدث ولا حرج عن ازدحام الحجاج في مضيق السؤال بمرضاهم وشيوخهم ونسائهم وأطفالهم بين نهر العسكر وزجرهم) .

---

(١) سعد قال لي / ص (٣١) .

ثم انظر إلى النقدة الصارخة عن ازدحام المسعى بالمتاجر والباعة والشُراة[1] مما يفقد الحاج متعة اللذة الدينية ويقترح (نزع ملكيتها وضم مساحتها إلى المسجد الحرام) ، وتتعدد النقدات الجريئة فتتناول التموين والمؤن الضرورية ، وخلو الطريق بين جدة ومكة من استراحات ، وافتقاد الأماكن إلى شبكة للمجاري تصون الصحة العامة فضلاً عن سوء الشوارع وزرايتها[2] .

وإذا كان الفن في جوهره اختياراً فإن الاختيار هنا ينبيء عن موقف الكاتب الآني واستشرافِهِ إلى أفق أفضل ، ومستقبل زاهر - إن الأمسية تصوير واقعي رائع لمعاناة الحجيج حمل الكاتب همه وأبرزه فنياً ، وتطلع إلى غد تتحقق فيه اقتراحاته التي أبداها من نصف قرن أو يزيد فهل ثمة تغير واستجابة ! !

نعم - فالفن هو الحياة كما يؤمن الكاتب في إهدائه - والحياة نمو وتطور ، ولقد حدثت الإستجابة في ظل الحكم السعودي الذي أبرز الاهتمام البالغ بالحرمين الشريفين ، وبالأماكن المقدسة وبكل ما له اتصال بمناسك الحج . . إن التوسعة الهائلة التي حدثت بالمسجد الحرام فتلاشت الشكوى ، واهتمت الحكومة بالنظافة داخل المسجد وخارجه ، ومن يطوف بالمسجد وبساحاته يلمس هذا التطور الهائل في هذا المجال الذي يضرب به المثل فقضى على الأوبئة وعمت النظافة - وكثرت المؤسسات الصحية لرعاية الحجيج ، وبذلت الدولة إمكاناتها الهائلة لتوفير الراحة لهم من إنشاء شبكة هائلة للحياة الصحية وللمجاري وتوفير المؤن والطعام والشراب ومحاربة الغلاء ، وحفر بطون الجبال أنفاقاً ، وشق الطرق والجسور ، وإحداث أماكن واسعة لتجمع الحجاج عبر الطرق الرئيسية حتى بدت الطرق المضاءة ليلاً . . المبسطة كراحة الكف . . وسيلة غايةً في الرقي والتحضر ، تحسب لهذه المملكة التي ما بخلت يوماً لرعاية الحجيج ، والاهتمام بكل ما يتصل بالأماكن المقدسة ، كما أنها قامت بتنظيم عمل المطوفين ، وأحدثت مؤسسات تنظيمية خاصة توفِّر الراحة والأمان لكل حاج . . وتجنبهم المعاناة القاسية التي كانوا - يستشعرونها قديماً !

ولعل الكاتب قد استراح قلبه ، وقرت عينه ، واطمأن فكره العقلي وهو يرى الأحلام التي صاغها قولاً وكتابةً قد تحققت ، وتبين بالدليل المادي والملموس قياس النبض اليومي لحركة الآمال التي تجيش في الصدور ، والعمل على تحقيقها في دأب موصول لا يكل .

---

(١) ضمت الدولة (المسعى) إلى المسجد الحرام والحمد لله .

(٢) كل ذلك تم إصلاحه وقامت الطرق الحديثة بين مدن المملكة كلها ، وأنشئت مجاري عامة للصرف الصحي .

وتتـواصـل أحلام الكاتب مع أمسياته الجميلة . . وتتوالى دعواته إلى الإصلاح والنهضة، وعينـه ترصـد الضعف البـادي في مظـاهر الخدمات المتاحة ـ ففي **الأمسية التاسعة** يكشف الكـاتب عن القصـور الظـاهـر في مجال الصحـة والمستشفيـات فحين أصاب سعداً داء في الصدر استعجل أبواه الشفاء في المستشفى العام . . وبعد عمل الأشعة أخبره الطبيب بأنه مريض بالسل (فما ألهمه شيطانه الجاهل سؤالاً يستتم به فحصي إلا أن يسألني هل مات أحد من أسرتكم متأثراً بالسل؟)[١] ويحمل سعد همومه وشكواه إلى طبيب البعثة المصرية في الحج (فأكرم طبيبها وفادتي، وتلطَّف معي، وفحصني في دقة نادرة) ثم أخبره الطبيب بأنه مصـاب بضعف ولا أثـر للسـل فيـه . . ويسرد الكاتب مواقف جزئية متشابهة مثل حكاية الشاب الذي توفي إثر (عملية جراحية أجراها له طبيب المستشفى العام لمرض كان يكفي لشفـائـه جرعـة من دواء مشـروب، وينهي الكـاتب الأمسيـة بما يوحي باليأس من إمكانية التغيـير لتغلغـل القصـور وتمـدده، (فعاجلته بالنظر إلى الشمس فلم أر لها شعاعاً) فقلت ياسعد وداعاً.

ولو قارنًا هذه اللوحة القديمة جداً بما هو عيني اليوم . . لهالنا هذا التطور الهائل الذي طال مجال الخـدمـة الصحيـة من بنـايـات مجهـزة بأحـدث الأجهزة إلى إنشاء مستشفيات متخصصة في فروع الطب المختلفة، وانتشار المراكز الصحية في كل حي، والسعي الدائب إلى أن يجد المواطن ضالته ـ مهما دقت وصغرت ـ في أماكنها الطبية الصحيحة ومعروف أن المسؤلين في المملكة قد أولوا هذا الجانب اهتماماً كبيراً.

وحفلت **الأمسيـة السـادسـة** بنقدات متنوعة تتناول جهازاً مهماً وضرورياً وهو التليفون . . ولا شك أن الخـدمـة في مجال الاتصـال عنوان على رقي الأمة وتحضرها (فلا تكاد تتحدث معه حتى تعرف أن مائة آخرين يتكلمون معك . . وويل لأعصابك وحسك وعقلك مهما كنت هادئاً قوي الأعصاب) . . وحين يسأل سعد صاحبه الصحفي الذي عانى كثيراً من بطء الاتصال وخلله: عما إذا كان ثمة حل؟ انطلق صاحبه هادراً: لابد من خبراء فنيين، ولابد من رَصْد مبلغ لإصلاح هذه الأوضاع الشاذة . . وإن أصحاب السعادة لا يشعرون بما يشعـر به التجـار والمـوظفـون الصغـار، إنهم يريـدون عمـلاً يصل به كلامهم إلى جدة والطائف والمدينة . . وإلى أهليهم وأصدقائهم وشركائهم . .)[٢]

---

(١) سعد قال لي ص / ١٩

(٢) سعد قال لي ص / ٥٠

ومن يلق نظرة على هذا المجال الاتصالي الذي بلغ حداً راقياً من التطور والرقي يلمس الفارق الهائل بين الأمس البعيد والحاضر الذي تعيشه المملكة، لقد أصبح العالم بعيده وقريبه ملموساً في قبضة اليد . . وعلى مشارف الأذن ـ ولا ننكر ونحن نستقرىء الكتاب تلك التبعة الفكرية التي ناء بحملها المؤلف وسعد بمعاناتها فجأر بالشكوى ونادى بالإصلاح في أكثر المجالات حساسيةً وحرجاً ـ إنطلاقاً من أن الكاتب موقف . . موقف يحسب له وليس عليه مثل الذين تركوا هذا المجال النقدي الاجتماعي في قطبيه الكبيرين الراعي والراعية، وانشغلوا بقضايا رومانسية في واقع يحتاج إلى التغيير.

وأمسيات الكاتب أحمد محمد جمال تؤرخ لمرحلة زمانية في بيئة مكانية محددة وهي مكة، وجاءت أمسياته عاكسة لصورة المجتمع بكل ما يحتويه من تناقضات وأعراف ضاغطة كاشفة عن المآسي الناتجة عن هذه التناقضات ومردودها على الذات والوجدان . . وهما محوران كبيران يشكلان العمل الأدبي كله . . محورا الخارج والداخل ومن خلالهما تتمشى مع الكاتب في الأزقة وفي حنايا النفوس، ووراء أسوار البيوت . . يُعرِّي ويفضح ويستأصل بحد القلم أمراضاً اجتماعية خطيرة لاتزال تعربد بالنفوس والمشاعر حتى الآن.

ولقد حاول الكاتب أن يقترب في عمله من طبيعة المجتمع الذي هو فرد منه يعيش همومه وآماله . . يحاكيه، ويتجاوزه، يقترب منه فيكتشف أنماطاً من العادات يلتقطها ويبرزها عملاً فنياً، يحدد من خلاله المواقف والشخصيات الأخلاقية، ثم يتجاوز ذلك كله بنظرة مستقبلية إلى الآتي من الأيام.

ولقد التقط شخصياته التي تحمل قضاياه وأفكاره من واقع الحياة ومن مستويات مختلفة عبر عدسة الراوي اللاقطة . . وللمرأة في كتابه أمسية جميلة أخاذة هي **الأمسية العاشرة** ـ ونظرة الكاتب إلى المرأة تنطلق من الفهم العميق لهذا الكيان الرقيق إسلامياً ونفسياً . . فللمرأة الحق في التعلُّم والشعور بالكيان المستقل، وبالحرية في أمر نفسها ومالها في حدود ما رسمه الإسلام من حقوق، ولكن أين ذلك من الواقع الظالم للمرأة؟ إنه يجأر بالشكوى من هذا الظلم البيِّن الذي هو نتيجة لِتعسُّف الآباء تجاه بناتهم في موضوع الزواج . . مما أدَّى بالشباب إلى الإنصراف عن الزواج، وجعل الفتاة رهينة بالبيت تقتات السأم، وينخرها الزمان، فتقع فريسة صراع نفسي رهيب بين متطلبات الفطرة، وقسوة الواقع الجهم.

والأمسية تأملات يرويها سعد عن أمه: (قالت أمي إن الفتاة إذا جاوزت طور الغرام، ولم تضم إلى شطرها الثاني تهالك الأمل . . وأتى اليأس على أعصابها فجعلها وقوداً ما

ينطفيء له أوار)[1] وتنحى الأم باللائمة على الآباء الذين يرتكبون خطأ جسيماً في حق البنات حين يرفضون الشاب الخاطب لعلل واهية من منصب أو ثراء أو مهر أو نسب، وتعطي المرأة رأيها كأنثى فتقول: (وتالله إن الفتاة لترضى بشبابه وجماله ودينه مع كفاف عيشِهِ، ولو كانت بِنْتاً نُشِّئت في الحلية والترف بقصر ضخم، وحياة رغيدة).

وتكشف الأمسية تلك الصراعات النفسية التي تضغط على البنت فضلاً عن الاحتياج العاطفي الذي لا تحمد عقباه، ويتخطَّى الكاتب واقعه يستشرف المستقبل في إبداء رأي غاية في الجمال والتوافق الديني فيقول (وماضر الآباء إن لم يأت لفتياتهم من يخطبهم: أن يخطبوا هم أنفسهم لفتياتهم من يرضون جماله وكماله وماله في حدودٍ وسطى لا فسيحة ولا شحيحة) بذلك نحفظ للفتاة حقها في حياة أسرية كريمة - وكم كان جميلاً من الكاتب أسلوبه البلاغي وهو يصف تلك المأساة التي استحكمت وتأصلت: (إن في بيوت كثير من الناس موءودات ولا كموءودات الجاهلية!!) ثم أنظر إدانته لطريقة الخِطبة والزواج في **الأمسية الأخيرة**، وإذا كان الوضع الاجتماعي هذا شأنه من نصف قرن ولا تزال ظلاله متواجدة وكثيفة فإن إمكانية التغيّر فيها ضئيلة فالتغيّر المادي كشكل حضاري أمر سهل وميسور أما بناء الإنسان وتحريره من العرف الخاطيء فدونه صعوبات جمة[2].

ويندرج تحت هذا المحور عدة قضايا اجتماعية وتعليمية وتربوية، فهو يدين تلك العلاقات الثنائية الشاذة التي تحدث بين الأشخاص، وتعيد إلى الذهن نقمة الله على المتصفين بها، ويدعو الكاتب إلى إنفراج حقيقي يتمثَّل في توفير وسائل الترفيه والتثقيف والتربية (**الأمسية الأولى**) ويحارب الكاتب المظاهر الخادعة التي غزت البيئة العربية الإسلامية بادعاء التقدم بهدف إبعاد الشباب عن الدين ذلك النبع الثر الصافي، إن الجري وراء الشكل الخادع والتزيِّي بأزياء ذات بهرج استدعاء لمظهر جمالي أنثوي لا يضفي إلا ميوعة: قصورٌ في التربية والتوعية، وإهدار لطاقات يحتاج إليها المجتمع، وإدانة لمواقف الآباء في رعاية الأبناء الرعاية التربوية الواجبة (**الأمسية الخامسة**) كما أن التقليد الأعمى الذي أصاب بعض الفئات خاصة المبعوثين منهم وقد عادوا إلى البلاد بقشور حضارية تتبدّى في رطانة في القول واغتراب في المسالك - هذا التقليد يفرز مفاسد كثيرة، ولننظر ماذا يقول الكاتب في سخرية دامعة: (ذلك صديق لي، وقد رجع من بلد النور، وليس من نورها إلا اخضرار عارضيه لكثرة ما أجرى عليهما من موسى الحلاقة، والا إكتناز كتفيه

---

(١) سعد قال لي ص/ ٧٤.

(٢) انظر مجلة فصول يوليو ١٩٨٢ القصة القصيرة في الخليج والجزيرة د. نورية الرومي.

شحماً ولحماً لفرط ما أكل هنيئاً، وطرب ولعب . . وإلا عوينات زرقاء ونعال لمّاعة . . ولسان طويل يندلع بوصف ما رأى وما سمع . . (**الأمسية الثانية**[1])

ولكن . . هل غاب الكاتب في عمله القصصي الحواري عن تبعة الدعوة التي نذر نفسه لها؟ لا إخالني مبالغاً إذا قلت إن الدعوة هي المعنى العميق لهذا العمل، وأن قضاياه التي كتب فيها كثيراً وجدت بداياتها في تلك الصياغة القصصية لأنها أعلق في الذهن، وتجري إلى القلب، وادعى إلى إثارة الوجدان[2].

أحمد محمد جمال صحفياً ؟

بقلم الأستاذ: عثمان شوقي

شخصية هذه الزاوية اليوم هو شاب من خيرة شباب العرب ـ من خيرتهم خُلُقاً وديناً ـ من خيرتهم ثقافةً وعلماً وأدباً، ولا أغالي إذا قلت، ولا أجامل أو أحابي إذا صرَّحت ـ وليست لي حاجة عنده ـ إني فخور كل الفخر بهذا الشاب! ولكم تمنيت أن أجد من بين شباب هذا البلد عشرةً مثله . . عشرة فقط في مثل ما ألمس وأحس، ويلمس غيري ويحس في شخص **أحمد محمد جمال** . . من عزة في النفس وفي الوطنية، ومن قوة في الخُلُق والأدب، ومن براعة في القلم، وذرابة في اللسان، وحصافة في العقل، ومتانة في الدين، وضخامة في الثقافة والعلم، وبعدٍ عن الهوى والغرض والمرض، حتى كان المثل الأعلى لشباب اليوم في عفته وفطانته، وفي علمه وثقافته، وفي دينه ووطنيته . . ولا أريد أن أزيد عليه أكثر من ذلك، فأخجل تواضعه وقد أملي عليَّ ما أملى الحقُ والإنصاف.

● ولد الأستاذ أحمد محمد جمال في عام **١٣٤٣**هـ وتخرَّج من السنة الأولى **للمعهد العلمي السعودي** – مرحلة ثانوية ـ وبدأ (حياته العملية عام **١٣٥٩**هـ).

● اشتغل في وظائف حكومية متعددة : في **رئاسة القضاة، والمحكمة الشرعية الكبرى، وكاتب العدل بمكة**، ثم عمل في **وزارة الداخلية** ـ ومنذ عام **١٣٧٥**هـ اختير **عضواً في مجلس الشورى** وإلى الآن، إلى جانب **عضويته في المجلس البلدي بمكة المكرمة، وعضويته في اللجنة الثقافية العاملة برابطة العالم الإسلامي، وعضويته في**

---

(١) المجموعة ص ١٨ .

(٢) نشرت المقال جريدة (الندوة) يومي ٣ و ١٠/٦/١٤١٠ هـ.

اللجنة التي وكل إليها وضع النظام الأساسي للحكم عام ١٣٨٢هـ[١] .

● بدأت حياته الأدبية والصحفية في جريدة «البلاد السعودية» التي كان يرأس تحريرها الأستاذ عبدالله عريف - أمين العاصمة اليوم - والتي كان يعود امتيازها للشركة العربية للطبع والنشر.

● ولما أصدر شقيقه الأستاذ صالح جمال جريدة «حراء» فجريدة «الندوة» كان مديراً لتحريرهما على التوالي إلى أن أعطي امتياز الصحف إلى مؤسسات جماعية - كما هو الوضع الآن.

● وللأستاذ أحمد مؤلفات شعرية ونثرية عديدة منها: ديوان شعر «الطلائع» وكتاب «على مائدة القرآن» أربعة أجزاء و«استعمار وكفاح» و «نحو سياسة عربية صريحة» وعدد من الكتب الاجتماعية عن المرأة : «مكانك تحمدي». بالإضافة إلى فيض من المحاضرات السياسية والاجتماعية والدينية وهي جميعها مطبوعة ومنشورة.

● والقارىء اليوم يقرأ للأستاذ أحمد كثيراً في مختلف الصحف . . التعليقات السياسية، والمقالات الأدبية والاجتماعية، بالإضافة إلى زاويته المعروفة «وجهة نظر» في جريدتي (الندوة) و(عكاظ).

● إنه فلتة من فلتات الدهر، وقوة هائلة من النشاط لا تكلّ ولا تملّ . . وليته يعود من جديد بلبلاً غريداً في الخميلة التي هجرها ليوزع علينا الألحان والأنغام حيث لا يكفينا ويشبعنا ويغنينا ما نسمع منه اليوم على كثرته لتشتيته هنا وهناك[٢] .

عثمان شوقي

---

(١) هذه اللجنة كان يرئسها الأمير مساعد عبدالرحمن - رحمه الله - وهو يومذاك وزير للمالية - ومن أعضائها الأساتذة أحمد زكي يماني وزير البترول والمعادن، وعبدالرحمن أبا الخيل وزير العمل والشئون الإجتماعية، وإبراهيم السويل، ومحمد بن جبير وزير العدل.

(٢) نشرت هذه المقالة في جريدة (البلاد) يوم ٢/ ٥/ ١٣٨٧هـ وكاتبها الأستاذ عثمان شوقي صحفي سوداني كان يحرر الزاوية الأدبية بجريدة البلاد.

تحية شعرية من
الأستاذ الغزاوي

الأستاذ **أحمد إبراهيم الغزاوي** شاعر رائع البيان والموسيقى . . يظنه الكثير أنه شاعر مناسبات ـ لانه اشتهر بقصائد المديح للملوك في مناسبات استقبالهم وتوديعهم وزياراتهم وانتقالاتهم .

والحقيقة أنه شاعر ممتع المعاني والألفاظ . . في كل ألوان الشعر وفنونه . . وقد طالبت بعد وفاته ـ رحمه الله ـ أن يطبع ديوانه لتظهر حقيقته ، وتتأكّد عبقريته الشعرية . . ولكن الدعوة لم تجب ، والنداء لم يسمع .

لقد كان يؤثرني وأستاذي الجليل السيد **أحمد العربي** بإطلاعنا على قصائده العاطفية والاجتماعية والوطنية والسياسية ـ يقرؤ ها علينا في فترات الراحة بمجلس الشورى ، كما كان يتحفنا ببعض تحياته وموداته ممثلةً في قصائد قصيرة لطفاً منه وعطفاً .

وهذه بعض عواطفه الأبوية نحوي ـ جزاه الله عني ألف خير ، وغفر له ورحمه وأكرم مثواه :

- ١ -

استمع صباح يوم السبت ١٣٨٣/١١/٨هـ إلى حديث إذاعي لي من الإذاعة السعودية وعندما حضر إلى المجلس قدَّم إليَّ هذه الأبيات :

هنيئاً لك (التقوى) ، وبشراك دائماً ... بأنك تستوحي (المثاني) وتنطق

بيانك كالسحر الحلال ، وإنه ... (لذكرى) وفيها كل نفع يحقّق

لرجعك فينا يا ابن (زمزم) حجة ... بأنا بما يرضي به الله نسبق

وما (مكة) إلا بمثلك تزدهي ... وفيك لها البرهان ـ وهو مصدَّق

(أأحمد) إن المجد ـ لامجد غيره ... (هدىً) يتهادى من حمانا ـ ويُشرق

وما هو إلا الرَعْي ـ والسَعْي دائباً ... وحيث (كتاب الله) حقاً يطبَّق

وأنت بما تسديه خيرُ مجاهدٍ ... لأنك فينا ما هتفتَ موفَّق

وقد رددت تحيته الطيبة . . ببعض أبيات من الشعر حضرتني حينذاك قلت فيها :

لك الشكر أضعافاً، وما أنا قادر ... لأجزي (أباً بالروح) يحنو ويرفقُ

وما أنا إلا باخع النفس، آسف ... على (سفه) يجتاحنا، وهو مُطْبِقُ

عسى الله أن يأتي بفوز لدينه ... فيعلو أبرارٌ، ويحبط فُسَّقُ

وإني لا هوى فيك شاعر دعوة ... إلى الحق نرجو أن يسود ـ وتصدق

سلِ الله مثلي أن يُوفِّق (حاكماً) ... لدينا و(محكوماً) لخيرٍ يُحَقَّق

- ٢ -

(إلى أخي العزيز . . ابن مكة البار . . الأستاذ الجليل أحمد محمد جمال حفظه الله) .

هكذا يستقيم ما أعوج منا !!!

قرةٌ أنت للعيون ـ ورأيٌ ... صائب، نيِّر، وقلب سليمُ

في إباء كادت به تتوارى ... مَثُلات بها (الحفاظ) كليمُ!!

لست اعتز في (الفتوة) إلا ... بك في «منطقٍ» هو التسليم؟!!

ومن الناس من يطأطِئ عجزاً ... وقصاراه في الصراع الوجوم؟!

هكذا يستقيم ما اعوج منا ... ويزول الرياء . . والتهويم

ولئن شفني السقام . . وأوهى ... عزماتي فما أكاد . . أقوم؟!!!

فبحسبي وأنت من أنت منا ... أنك المدره . . الأبُّي . . الكريم

ورجائي إليك حيّاً ومَيْتاً ... حفظ هذا التراث وهو عظيم

إنه وارف الظلال (بوادٍ) ... زرعه (أنت) والهدى، لا الهشيم

(أخي : أرجو فضلاً الاحتفاظ بها لديك كذكرى تقدير للفضل والنبوغ، والإباء والشمم، وإعطائي نسخة منها مع الشكر) .

- ٣ -

كان ـ رحمه الله ـ من بين الحضور الكرام، ليلة إلقائي محاضرة بالموسم الثقافي لرابطة العالم الإسلامي يوم ٢٥ / ١١ / ١٣٨٥هـ - فكانت منه هذه التحية :

بمثلك تزهو (مكة) وتُبَاهِي ... وتذكرنا الآفاق، وهي سواهي

ويظفر فيها الدين والعلم والهدى ... بأسْلَمَ ذي قلب وصاحبِ جاهِ

وفيك أرى الإيمان تجني ثماره ... مكارم أخلاق، وبيض جِبَاهِ
وما قلتها إلا اغتباطاً (بمؤمنٍ) ... يروح ويغدو في (سبيل الله)
وأرجو به أن نستعيد على المدى ... (مكانتنا) طوعاً . . وبالإكراهِ

وهذه تحية شعرية أخرى منه بعد عودتي من السودان في ٨/٩/ ١٣٩٢هـ:

مفاخرُ مكة هيهات تُحْصَى ... وأعظم ما بها البيتُ الحرامُ
ومنها النور أشرق في البرايا ... بدينِ الحق، وانجابَ الظلام
وإن محمداً منها ـ وفيها . . . ... رسول الله والدنيا قيام
ومنها أمْنُها من كلِ خوفٍ ... إذ الدنيا وحوشٌ أو طَعَام
وإن لأهلها رغم العوادي ... جوار لا يضام ولا يرام
ولم تبرح بها الأجيال تثرى ... بمن خشعوا، ومن صلَّوا، وصاموا
ومنهم من رآه بلا رياء ... بقية من بهم حُفِظَ الذمامُ
تَسمَّى أحمداً وسما جمالاً ... ومن سحر البيان له وِسام
أجل هو قدوة في كل خيرٍ ... وبرٍ، وهو في الجُلَّى الهُمَام
فبورك فيه مهتدياً ويَهْدِي ... وبورك في بنيه بما استقاموا
وزاد الله نعمته، وأربى ... وحالَفَه التقدُّم والسلام

أستاذ ينتقد تلميذه

تلقيت هذه الرسالة الأبوية الكريمة من أستاذي الجليل السيد أحمد العربي ا لتي ينتقد فيها ديواني (الطلائع) وكتابي (سعد قال لي).

(عزيزي الأديب الفاضل الأستاذ أحمد محمد جمال المحترم

(تحية إعجاب وتقدير . . وبعد فقد تلقيت هديتك الغالية بما هي جديرة به من شكر وثناء، واستقبلت طلائعك الغراء بما هي قمينة به من حفاوة وترحيب، ولقد دفعني الشوق إلى اجتلاء (طلائعك) والأسماع إلى حديثك ياسعد ـ دفعني ذلك أولاً إلى اقتنائهما قبل وصول النسخة المهداة، وثانياً إلى أن أفرغ لهما سويعاتٍ من أمسياتي، أناجيهما وأصغى

إلى ما فيهما من ألحان رائعة، وأحاديث شجية في هدوء وروية. ولقد كان اغتباطي وإعجابي بهما عظيماً. وإني إذ أهنئك بهذه الباكورة الطيبة أهنىء نفسي بتحقق أملي، وصدق فراستي فيك، فقد توسَّمت فيك وأنت بعد طالب في ميعة الصبا فتى لوذعياً وأديباً عبقرياً، وكنت أصارح بذلك بعض الزملاء، وكنت أبدي أسفي لانقطاعك عن المدرسة، ولكنك عكست أسفي إلى غبطة، وزدت أملي فيك ازدهاراً.

(على أني أود وأنا أسجل إعجابي وتقديري بصدق وإخلاص ألا يفوتني تسجيل بعض مآخذي على الديوان والرسالة إيفاء لحقهما وحق صاحبهما وحقي على صاحبهما في زعمي على الأقل، ويمكنني أن أجمل ذلك في مأخذيْن (**أولهما**) على الديوان فقد كنت أفضِّل أن يتنزه عن بعض القصائد والمقطوعات وبخاصة ما أوردته في آخره من أهاج ومعارضات مع **الأديب** (ح. س) لأن ذلك في اعتقادي أشبه بخُلُقك ونبل نفسك - (**وثانيهما**) ما ورد في أحاديثك عن مدرسة **تحضير البعثات** فقد قسوت بعض الشيء في حملتك عليها، وأنا لا أنكر ما في بعض الطلاب من نزق وغرور وميوعة إلّا أن الذي أنكره أن تخص طلاب هذه المدرسة بإنكارك عليهم وحدهم ما هو شائع في غيرهم من طلاب المدارس الأخرى، بل هو أكثر شيوعاً بين جمهور الشبان عندنا، ولا أظنك تجهل ما انحدر إليه شبابنا من تدهور في الخُلُق، وتحلّل في الرجولة، وانغماس في الرذيلة وما يزخر به مجتمعنا من أمثال ذلك الحادث، وما ينوء به البيت والأسرة في بلادنا .. من علل ومساوىء. ولا شك أنك في مقدمة من يدرك ما للبيئة والمنزل من أثر قوي في الناشيء. وسلطان قاهر في توجيهه، وماذا عسى أن تعمل المدرسة؟ وهي تكابد من نقص الوسائل، وكثرة الخصوم، وقلة النصير؟ ماذا عسى أن تضع إلى جانب تلك العوامل الهدَّامة والأمراض الفتاكة؟.

متى يبلغ البنيان يوماً تَمَامَه - إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟!

وأخيراً: أكرر تهنئتي لك، وأعلن إعجابي بنزعتك إلى الإصلاح، وشجاعتك في الحق، وأرجو أن تكون طلائعك طليعة لكتائب من الشعر الحجازي الرفيع، لا تلبث أن تغزو آفاق العالم العربي، وتمثِّل فيه المقام اللائق بها في هذه البلاد، ومركزها من العروبة والإسلام - كما أرجو أن تتري أحاديثك السعدية حول إصلاح المجتمع، وأن يكون لها

صدى يهز المشاعر، ويوقظ الضمائر، ويشحذ العزائم، ويحفزها للتسابق في هذا المضمار حقق الله فيك الأمل وأنجح بك الرجاء، وحفظك ورعاك[1] .

الطائف في ١١/٧/١٣٦٦ هـ

أحمد العربي

لُطفٌ من أستاذ جليل

تفضل أستاذي الكبير السيد **أحمد العربي** بتوجيه الرسالة التالية إليَّ يوم ٢٥/١٢/ ١٣٨٦هـ :

(سيادة الأبن الفاضل الكاتب الألمعي الأستاذ أحمد جمال حفظه الله

سلام الله عليك ورحمته وبركاته ـ وبعد فقد مررت ضحى أمس الثلاثاء **بمكتبة الثقافة**، وذكَّرت السيد[2] . بما عهدتَ به إليه من إهدائي نسخة من محاضرتك القيمة (**تأريخنا الإسلامي لم يقرأ بعد**) فما لبث أن قدَّمها إليَّ جزاك الله وجزاه خيراً. وما إن عدت إلى المنزل، واسترحت بعض الوقت حتى كنتُ مأخوذاً بأسلوبك المشرق، وبراعتك في التقاط تلك الصور الرائعة المشرقة من تأريخ الإسلام الخالد، وعرضها ذلك العرض الأخاذ، بالرغم مما اقتضاه من إيجاز.

(وقد دفعني إعجابي المتجدد بإيمانك وألمعيَّتك ونشاطك إلى تحرير هذه الرسالة إليك بالرغم من فتور همتي، وكلال ذهني، وانقباض نفسي عن الكتابة في هذه السنوات، دفعني هذا الإعجاب أن أقترح عليك الإقتراح التالي، وإن كنت أعتقد بأنك فكَّرت فيه، وربما باشرت بعض أسبابه ـ وذلك الإقتراح يتلخص في أن تأخذ نفسك ـ إن لم تكن أخذتها بالفعل ـ بوضع سلسلة جديدة للتأريخ الإسلامي بأسلوبك الرائع الصادر عن قلبك المؤمن، وروحك العالي، مما يجعل أثر هذه السلسلة نفاذاً إلى أعماق القلوب بإذن الله، لانها ستكون بحول الله رائعةً بأسلوبها، مشرقةً بأمجاد الإسلام، سليمةً من مواطن الطعن المدسوسة على الإسلام من بعض خصومه وأعاديه، بعيدة عن النزاعات والإنحرافات المتأثِّرة بسوء العقيدة أو بأضاليل بعض المستشرقين.

---

(١) كان أستاذي الجليل السيد أحمد العربي يومئذ مديراً للمعهد العلمي السعودي ومدرسة تحضير البعثات معاً، ثم في سنة ١٣٧٥هـ شرفت بزمالته عضوين في مجلس الشورى، فكان نعم الناصح الأمين خلال التلمذة وخلال الرفقة.

(٢) يقصد موظف المكتبة السيد محسن العطاس رحمه الله

وأني لأعتقد بأنك أهل لأن تضطلع بهذه المهمة، ولا بأس بأن تستعين بمن تثق به وتراه أهلاً لذلك، وإني أعتقد أن سلسلة كهذه ستسد فراغاً كبيراً في مكتبتنا الإسلامية، وسينفع الله بها الكثير من شبابنا الحائر أو المخدوع مادام الإخلاص لُحمتها وسُداها، والغيرة على الإسلام رائدها.

(وإني لآمل أن يقع اقتراحي هذا منك موقع القبول، وأسأل الله العلي القدير لك المزيد من التوفيق، وأن يثبتك على الحق، ويؤيدك به، وأن يكثر من أمثالك في أمتنا الفقيرة إلى العلماء المؤمنين، المخلصين لعقيدتهم وأمتهم، كما أسأله أن يتولاَّك برعايته وأن يحفظك لمحبيك).

وقد عقبت على رسالته الكريمة بالرسالة التالية يوم ٢٨/ ١٢/ ١٣٨٦هـ.

أستاذي الجليل فضيلة السيد أحمد العربي حفظه الله ورعاه

.. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ـ وبعد. فقد شرفت برسالتكم الأبوية الكريمة .. التي كانت حلقةً جديدة في سلسلة عطفكم وتوجيهكم لإبنكم وتلميذكم المحب المخلص، فقد تعودت ذلك منكم منذ عهد الطلب، ومازلت أحتفظ برسالتكم الأولى التي تفضلَّتم بها عليَّ عند صدور كتابي (سعد قال لي) في عام ١٣٦٥هـ أي قبل عشرين عاماً تقريباً.

وأحمد الله كثيراً على نعمة الولاء والوفاء بين الأستاذ وتلميذه، ولقد كان من حسن حظي وتوفيق الله الكريم: أن يسعدني بزمالتكم على غير جداره مني في الوظيفة[1]، وبعد عهد التلمذة، لأزداد أنتفاعاً بعلمكم وأخلاقكم، ومنهج تفكيركم وسُلُوككم القويم.

أما بالنسبة لإقتراح فضيلتكم: أن أعمل لإعداد سلسلة تأريخية إسلامية على طريقة محاضرتي **(تأريخنا لم يقرأ بعد)** وأسلوبها .. فهو سديد ووجيه، **وأنا أقوم حالياً بتوفيق الله** وعونه بجانب منه، وهو إلقاء المحاضرات ـ ثم طبعها ـ **في موضوعات إسلامية، فيها** للتأريخ جانب كبير، ولكنها ليست تأريخية الصبغة والعنوان والموضوع بقدر ما هي ـ **دفاعٌ** وتجليةٌ، وردٌّ للشبهات، وإظهار للحقائق الإسلامية ـ كمحاضرة **(الإسلام أولاً)**، و**(مجتمعنا العربي)**، و **(تأريخنا لم يقرأ بعد)**، و **(مسؤلية العلماء في الإسلام)**، و **(مهمة**

(١) الأستاذ والتلميذ عضوان في مجلس الشورى منذ سنة ١٣٧٥هـ.

الحاكم في الإسلام)[1].

هذا عدى الأحاديث الإذاعية في الرد على أكاذيب المستشرقين الحاقدين على الإسلام وسأجمعها ـ بإذن الله ـ في كتاب مستقل[2].

(والمؤسف حقاً أن الأقبال على قراءة ـ أو شراء ـ هذه المحاضرات الموجزة قليل جداً، فالمكتبات لا توزع أكثر من (٣٠٠) نسخة بينما المطبوع (٣٠٠٠) وفي حين تحجم الوزارات والادارات المختصة بالتربية والتوجيه والإعلام والدعوة الإسلامية عن شرائها وتوزيعها كما تفعل بكتب أدبية وشعرية ودعائية لا تصلح فساداً، ولا ترعى شباباً على الهدى والصلاح، وأخيراً أكرر شكري، وأؤكد ودي، وأدعو لفضيلتكم بالصحة والهناء حفظكم الله وأبقاكم لمحبكم). أحمد محمد جمال

حوار شعري

أهديت الشاعر السوري الدكتور زكي المحاسني بعض مؤلفاتي فحيَّاني بهذه الأبيات:

عزيزي، جاءت الكُتُبُ ... وفيها الفِكْر والأدَبُ
تجلى في مواهبها ... (جمالٌ) فيضه القُرَبُ
أتاني العيد في ملأٍ ... بمكة قربهم نَسَبُ
كفاهم أن فيهم أنت ... كي يسمو لهم حَسَبَ
سأكتب عنك رائعةً ... يزين كؤوسَها الحَبَبُ
تراها فضةً ذهَباً ... يزيد بهاءها العَجَب

وقد رددت عليه بالأبيات التالية:

لك الشكران يصطحب ... سلاماً ملؤه رَغَبُ
لقد أحببتُ فيك أخاً ... (زكياً) زانه الأدب

---

(١) جمعت هذه المحاضرات وأخرى مثلها في كتاب (محاضرات في الثقافة الإسلامية) وكنت أدرسه لطلابي في جامعتي أم القرى بمكة والملك عبدالعزيز بجدة خلال ربع القرن الماضي.

(٢) وهذه أيضاً جمعت في كتاب (مفتريات على الإسلام) وقد تعددت طبعاته سنة ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.

(محاسن) طبعه توحي نظِيماً رجعه طَرَبُ
ومنشوراً من الأقوال للألباب يختلب
وتحديثاً على المنبر للأسماع يجتذب
فخذها غير خادعةٍ مودةَ مسلمٍ تجب
أدام الله أسمارا للقيانا هي السبب
وعشتَ بمكة تشدو قصيداً بيته العَرَبُ
تعود بهم إلى الإسلام حيث المجدُ والغَلَبُ

أحمد محمد جمال

الفهرست المفصل


دار الثقافة للطباعة
DAR ALTHACAFA PRINTING PRESS
مكة المكرمة / الزاهر / هاتف ٥٤٢٥١٩٢ / ٥٤٤٨٥٤٦